جامعـــة الأزهـــر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة
الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها - بلاغة ونقد

البلاغة القرآنية في تفسير " التحرير والتنوير " (سورة البقـــرة)

رسالة علمية لنيل درجة التخصص
(الماجستير)

إعداد الباحث
محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوى

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود محمد السيد حسن
أستاذ البلاغة والنقد بالكلية

١٤٢٣ هـــ - ٢٠٠٢ م

إهـــداء

❁ إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذى علم المتعلمين

❁ ثم إلى والدي الكريمين اللذين صفا قدمي على طريق الخير

❁ وإلى طلاب العلم وأهل القرآن

شكــــر وتقديـــر

❁ إلى أساتذتي الذين استفدت من نصائحهم وتوجيهاتهم

❁ إلى اللجنة الموقرة التى تولت الإشراف والمناقشة

❁ إلى إخواني الذين جمعني بهم الحب فى الله والعمل

على طاعته سبحانه

❁ إلى هؤلاء جميعاً أتقدم بعميق الشكر والتقدير

دعـــاء وابتهـال

❀ أدعوا الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

{الآية (١٨) من سورة الزمر}

❀ أدعوه سبحانه أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته .

❀ أدعوه سبحانه أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا والحمد لله على كل حال .

❀ أدعوه سبحانه أن يجزى عنا أساتذتنا ومشايخنا ووالدينا وإخواننا خير الجزاء إنه سميع قريب مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة :

﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَا قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[1]

أحمده حمداً يليق بجلاله وكماله على نعمائه ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، إمام الهدى ومصباح الدجى محمد ﷺ النور الذي أشرق على الأرض فبدد ظلامها وعلى القلوب فأضاء بصائرها ، وعلى العقول فهداها سبلها ، صاحب الشريعة الغراء ، والملة السمحاء ، والكتاب المبين الذي ، ﴿ لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]

وبعـــد

فلا شك أن أفضل ما توجه إليه الجهود ويصرف إليه الاهتمام هو خدمة كتاب الله تعالى الذي أنزله على خير خلقه ليُخرِجَ ﴿ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾[3]

وهذا الكتاب العظيم الذي ارتضاه الله منهاجاً للبشرية جمعاء يخاطب العقول والقلوب ويبدد ظلام النفوس بما فيه من روائع البيان ، وأوابد النظم الذي أعجز أهل الفصاحة واللسان ، يقول عنه الإمام الرافعي : ((إن هذا القرآن هو ضمير الحياة العربية ، وهو من اللغة كالروح الإلهية التي تستقر في مواهب الإنسان فتضمن لآثاره الخلود ...))[4]

ومن هنا فالبحث حول بلاغة القرآن وإعجازه من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى مولاه ؛ خدمة لعقيدة الإسلام ، ومساهمة في الكشف عن بلاغة القرآن التي أعجزت أهل الفصاحة والبيان ، والبحث حول القرآن وبلاغته وتفسيره قد توفر عليه العلماء من لدن عبد الله بن عباس[5] (رضي الله عنهما) حبر الأمة وترجمان القرآن إلى يومنا هذا ، وما زال القرآن

(١) الآيتان (٢،١) من سورة الكهف .
(٢) الآية (٤٢) من سورة فصلت .
(٣) من الآية (١) من سورة إبراهيم .
(٤) إعجاز القرآن للإمام مصطفى صادق الرافعي صـ١٧٩ باختصار طـ مكتبة الإيمان - طـ أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
(٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم النبي ﷺ حبر الأمة ومفسر كتاب الله ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة . البداية والنهاية ٨/ ٢٩٧ طـ دار التقوى - طـ أولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

غضاً طرياً لا يخلق على كثرة الرد ، وكلما قلب العلماء النظر فيه ، وأمعنوا في البحث خرجوا بضروب من الإعجاز ولا عجب فهو كلام العلي القدير !

والبحث حول بلاغة القرآن وإعجازه - في هذا العصر - من أوجب الواجبات ، لما يواجهه القرآن من حملات شرسة يقودها أصحاب العقول المأفونة من المستشرقين وذيولهم في بلاد الإسلام ، هؤلاء الذين يريدون أن يجردوا القرآن الكريم من وجوه إعجازه وبلاغته ؟! وهيهات هيهات !!

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]

كما أن البحث والكشف عن بلاغة القرآن طريق من طرق الدعوة إلى الله في هذا العصر ، وخاصة من خلال الطريقة التمثيلية الرائعة والتصويرية الدقيقة التي استخدمها القرآن الكريم مخاطباً بها القلوب والعقول والأسماع والأبصار .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2]

وعن هذه الطريقة التمثيلية وأهميتها يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني[3]: ((إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شئ آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المر كوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه
غاية التمام كما قالوا : (ليس الخبر كالمعاينة) ...))[4]

ولقد أشار الأستاذ / سيد قطب – رحمه الله – إلى أهمية هذه الطريقة التصويرية في الدعوة إلى

---

(١) الآية (٩) من سورة الحجر .

(٢) الآية (٣٧) من سورة ق .

(٣) هو : أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة (٤٧١هـ) الإمام النحوي البياني المفسر المتفق على إمامته وفضله من مؤلفاته دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ينظر ترجمته في بغيه الوعاه ١٠٦/٢ وروضات الجنات ٢٢٠/٤.

(٤) ينظر أسرار البلاغة صـ١٢١ باختصار تحقيق أ / محمود شاكر طـ المدني – طـ أولى والحديث رواه أحمد في المسند برقم (١٨٤٢) .

الله بقوله : ((ولهذه الطريقة فضلها ولا شك في أداء الدعوة للعقيدة))[1]

ويقول في كتابه (التصوير الفني في القرآن) : ((إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل .. وهو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالسورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية))[2]

وذلك من أهم الأسباب التي دعتني إلى البحث حول القرآن الكريم وبلاغته بشكل عام .

أما عن سبب اختياري لموضوع البحث بشكل خاص وهو:

(البلاغة القرآنية في تفسير التحرير والتنوير) (سورة البقرة) : فذلك لعدة أسباب :-

الأول :

عناية الإمام الطاهر في تفسيره بالبلاغة القرآنية ووجوه الإعجاز ، حتى يمكننا القول بأنه من أبرز المفسرين المعاصرين الذين عنوا في تفاسيرهم بالبلاغة القرآنية ووجوه الإعجاز ، والدليل على ذلك أن الأبحاث ما زالت مستمرة حول تفسير الطاهر من الناحية البلاغية ومن النواحي الأخرى منها بحث حول (التفسير العقلي للقرآن عند الطاهر) ، و(الإمام الطاهر ومنهجه في التفسير) وعن الناحية البلاغية (الاستعارة التمثيلية في تفسير الطاهر)[3]

الثاني :

اهتمامه البالغ بتفسير سورة البقرة والكشف عن وجوه الإعجاز في آياتها ، ولقد أولى الطاهر هذه السورة العظيمة عناية كبيرة ، وأظهر من خلال تفسيرها طول باعه وسعة إطلاعه وإلمامه بأقوال البلاغين.

الثالث :

ما حفل به تفسير الطاهر من بلاغة قرآنية ودراسات أسلوبية ، وعناية بنظم القرآن .

الرابع :

ما أضافه الطاهر إلى ميدان البحث البلاغي من جهود ، وهي جهود فيها جدة وابتكار وآراء جديدة تخدم بلاغة القرآن.

---

(١) ينظر مشاهد القيامة في القرآن صـ ٩ طـ دار المعارف - طـ خامسة ١٩٧٥.

(٢) ينظر التصوير الفني في القرآن صـ ٢٤٩ ط دار الشروق ط الثالثة عشرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣.

(٣) البحث الأول رسالة ماجستير بجامعة عين شمس والثاني بجامعة الإسكندرية والثالث رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية.

إضافة إلى استدراكاته وتعقيباته على البلاغيين وهى في مجملها تخدم بلاغة القرآن فضلاً عن أنه لم يسبق إليها فعلى سبيل المثال سيتضح لنا أثناء البحث ما أضافه إلى بحث الاستفهام من علم المعانى وبحث التشبيه من علم البيان وبحث الإدماج من علم البديع وغيرها من البحوث القيمة ، والجهود البلاغية التى لم يسبق إليها ، وسيأتى الكلام عن ذلك عند الحديث عن جهوده في تفسيره موضوع البحث .

الخامس :

من أسباب اختيار الموضوع ما عقَّب به الطاهر على البلاغيين وناقشهم فيه من المسائل البلاغية وهى مناقشات دقيقة تحل كثير من الإشكالات عند الباحثين اليوم كما سنرى في بحث تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى من علم المعانى ، والاستعارة المكنية والتخيلية من علم البيان ، والمشاكلة من علم البديع ، وسنراه يدخل في الحكومة بين كثير من البلاغين عارضاً وجوه الاتفاق والاختلاف بينهم مرجحاً ما يستحق الترجيح من الآراء مدلياً برأيه إذا تطلب الأمر ذلك .

السادس :

من دواعى اختيار البحث عناية الطاهر بتفسير الكشاف وكما هو معلوم ما لصاحب الكشاف من أثر في ميدان البحث البلاغى ، فلقد شرح كثيراً من آرائه البلاغية التى فهمها البلاغيون فهماً يخالف مقصده[1] وسنراه في مواضع كثيرة يعقب عليه ، ويناقشه ، ويخالفه في كثير من المسائل البلاغية ، وتلك إضافات جديدة إلي ميدان البحث البلاغى تستحق العناية والاهتمام لما لصاحب الكشاف من سابقة وقدم راسخة في هذا العلم ، ولما للطاهر من ذوق وفهم سديد في نفس الميدان في العصر الحديث .

لهذه الأسباب مجتمعة قمت باختيار هذا الموضوع .

والبحث فيه يتضمن مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

أما المقدمة التى نحن بصددها ففيها أسباب اختيار الموضوع ، وأثر القرآن في نمو الدراسات البلاغية .

---

(١) أى مقصد صاحب الكشاف .

أما التمهيد:

فيتضمن ترجمة موجزة للإمام الطاهر أبين فيها نسبه ، ومولده ، ونشأته وشيوخه ، وتلاميذه ، وعصره من الناحية العلمية ، وجهوده لإصلاح التعليم ، وجهوده الأدبية والبلاغية واللغوية، كذلك جهوده في تفسيره موضوع البحث والجهود التي سبقته ومدى إفادته منها ، ومؤلفاته ، ووفاته .

أما عن الفصل الأول :

فعنوانه :

البلاغة القرآنية في تفسير التحرير والتنوير (سورة البقرة) من خلال مسائل علم المعانى ويتضمن تسعة مباحث :

ويتضمن تسعة مباحث :

المبحث الأول : النظم وأسراره في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث الثانى : الإسناد الخبرى وأسراره البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث الثالث : المسند إليه وأسراره البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث الرابع : المسند وأسراره البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث الخامس: أحوال متعلقات الفعل وأسرارها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث السادس: القصر وطرقه وأسراره البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث السابع : الإنشاء الطلبي وأسراره البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث الثامن : الفصل والوصل وأسرارهما البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .
المبحث التاسع : الإيجاز والإطناب والمساواة وأسرارها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير .

الفصل الثانى :

بعنوان : البلاغة القرآنية في تفسير التحرير والتنوير (سورة البقرة) من خلال مسائل علم البيان ويتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول : التشبيه وأسراره البلاغية في تفسير التحرير والتنوير
المبحث الثانى : المجاز المرسل وأسراره البلاغية في تفسير التحرير والتنوير
المبحث الثالث : الاستعارة وأسرارها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير
المبحث الرابع : الكناية وأسرارها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير

الفصل الثالث :

بعنوان : البلاغة القرآنية في تفسير التحرير والتنوير (سورة البقرة) من خلال مسائل علم البديع.

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول : المحسنات المعنوية وأسرارها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير

المبحث الثاني : المحسنات اللفظية وأسرارها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير

أما عن الخاتمة :

فتناولت فيها أهم نتائج البحث مبيناً ما أضافه الطاهر إلى ميدان البحث البلاغي ، وتعقيباته على البلاغيين ، كذلك نظرته إلى صاحب الكشاف وتفسيره ، وآرائه ، ونظرته إلى آراء البلاغيين، وما عقب به عليهم وعارضهم فيه كما ذيلت البحث بفهارس كاشفة تساعد القارئ على الوصول إلى بغيته بأيسر السبل ، هذا ولقد اعتمدت طريقة للبحث – فيما يبدو لي - أنها نافعة إن شاء الله .

فالبحث يسير وفق ترتيب علوم البلاغة بداية بعلم المعاني ثم البيان ثم البديع ، وطريقة البحث تقوم على حصر الآيات التي كشف الطاهر عما فيها من لطائف وأسرار بلاغية في (سورة البقرة) ، وهي الآيات التي بذل الطاهر جهداً كبيراً في الكشف عن أسرارها وبلاغتها ، وبعد ذلك يتم تصنيف هذه الآيات تبعاً لعلوم البلاغة ومسائلها وفق الترتيب المعهود لعلوم البلاغة علماً بأن البحث لا يتناول كل الآيات فهي كثيرة ، ولكن يتناول الآيات التي تمثل خطة الطاهر وطريقته التحليلية في الكشف عن البلاغة القرآنية ، كما أن كل مبحث من مباحث علوم البلاغة التي تناولها الطاهر يسبقه تمهيد يتناول باختصار بحث هذه الفنون البلاغية عند البلاغيين قبله ، وهذا التمهيد حرصت فيه على الإقلال من النقل عن البلاغين فيما لا يحتاج البحث إليه فضلاً عن أن الطاهر لم يتعرض له أو يشر إليه فبحث هذه المسائل مقيد ببحث الطاهر لها ، فما تناوله من هذه الفنون يسبقه تمهيد عن بحث هذا الفن عند البلاغين قبله .

وذلك حتى يتسنى لنا الوقوف على الروافد التي أمدت الطاهر في تفسيره ، والجهود التي سبقته في هذا الميدان ومدى إفادته منها ، وتأثره بها ، وما أضافه وعقّب به على البلاغيين وطريقته

التحليلية التي تتناول كل جزئية من جزئيات الآية موضوع التفسير ، والطريقة التي سيسير عليها البحث كما سبق هي الطريقة المعهودة لترتيب علوم البلاغة ، ولقد سرت على ترتيب صاحب الإيضاح نظراً لشهرته البلاغية ، ولأنه المنهج الذى استقر البحث عليه ، ولا أخرج عن ترتيب الخطيب إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك حرصاً على تنظيم البحث وارتباط مباحثه بعضها ببعض .

فضلاً في المبحث الرابع من الفصل الأول :(مبحث أحوال متعلقات الفعل) ضممت إليه بحث تقييد الفعل بالمفعول وبالشرط علماً بأن الخطيب قد بحثهما في أحوال المسند ولكن ، لا يخفي أن بحث تقييد الفعل أولى بأحوال متعلقات الفعل منه بأحوال المسند.

أما عن بحث الآيات نفسها ، فالمنهج الذى يسير عليه البحث يقوم على ذكر الآية موضوع البحث ثم أنقل عن الطاهر ما ذكره حول ما فيها من البلاغة القرآنية ، وطريقته في الكشف عنها ، ثم أعقب علي الطاهر فيما يستحق التعقيب مبيناً من سبقه إلى ما ذهب إليه - إن وجد - مع التركيز على جهوده الخاصة وقيمتها من الناحية البلاغية كذلك ما عقَّب به على البلاغيين في ثنايا البحث ومناقشاته لهم أتناولها بالشرح والتحليل مع بيان قيمتها وأثرها في البحث البلاغي مزيلاً كل مبحث من المباحث وفصل من الفصول بالنتائج وما أضافه الطاهر إليه ، وجهوده فيه وما يؤخذ عليه من خلال كلام البلاغيين الذين سبقوه ، وإذا نقل الطاهر عن مصدر من المصادر يتم الرجوع إليه للوقوف على النص بكامله ، وذلك لأنه غالباً ما ينقل باختصار ، ولا يعزوا الأقوال إلى أصحابها كما أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره[1] فضلاً عن أن الطاهر في بعض الأحيان قد يفهم من النص فهماً يخالف فيه البلاغيين كما حدث كثيراً فيما يتعلق بصاحب الكشاف وكلامه في تفسيره ، وسيأتي الحديث عن ذلك في خاتمة البحث إن شاء الله.

أما عن منهج الطاهر في تناول الآيات فله طريقة تحليلية خاصة تتناول كل جزئية من الجزئيات في الآية موضوع التفسير .

ومن هنا يصعب في بعض الأحيان اختصار كلامه أو التصرف فيه بسبب ارتباط بعضه ببعض، وأحياناً أنقل كلامه كاملاً لأهميته من الناحية البلاغية كما سيتضح إن شاء الله في بحث التمثيل البلاغي ، ونشأته ، وتاريخه ، وكيف انتقل إلى ميدان البحث البلاغي ، كذلك في بحث

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١/٧ ط دار سحنون للنشر ١٩٩٧م

التشبيه وغير ذلك من المباحث ، وأحياناً اختصر كلامه طالما لم يخل بمقصده مع التنبيه على ذلك في كل موضع من المواضع .

ومن هنا فقد كثر النقل عن الطاهر في بعض المباحث إما لأهمية كلامه من الناحية البلاغية أو لارتباط بعضه ببعض ، وغالباً ما يكون ذلك في مباحث علمي المعاني والبيان اللذين أطال الطاهر فيهما وأفاد !

ومما تجدر الإشارة إليه أن الآيات التي لا يتم بحثها وتتصل بالموضوع أشير إلي مواضعها في نهاية كل مبحث لمن أراد التوسع في الموضوع وإتماماً للفائدة ، وفي بعض المباحث لا تتم الإشارة إلى مواضع أخرى ، لأنه لا توجد مواضع غير التي ذكرت في صلب البحث كما سنرى إن شاء الله في بحث البديع وفنونه، فالمواضع التي ذكرت في الطباق ، والتقسيم ، والمبالغة ، والتوجيه ، والاحتباك من المحسنات المعنوية هي كل المواضع في (سورة البقرة) - فيما أعلم - وختاماً أحرص على إظهار رأى الطاهر ومنهجه وطريقته في الكشف عن البلاغة القرآنية.

هذا وقد بذلت ما في وسعي ليخرج البحث على هذه الصورة ، وهو جهد المقل إن كان فيه خطأ فمن نفسي ، والتمس من الله العفو والصفح، وأسأله أن يهيأ لي من أمري رشداً.

وأن يعلمني ماينفعني ، وينفعني بما علمني إنه سميع قريب مجيب.

ويطيب لي في هذا المقام أن أقدم خالص شكري وتقديري لأساتذتي الذين أمدوني بتوجيهاتهم ونصائحهم السديدة وأخص منهم الأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون عميد الكلية والأستاذ الدكتور / فوزي السيد عبد ربه وكيل الكلية ، والأستاذ الدكتور / محمود محمد السيد حسن الذي شرفت بالتتلمذ على يديه، ونفعني الله بتوجيهاته الطيبة ، وأسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته يوم القيامة انه سميع قريب مجيب .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعلنا من ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1]

---

(١) الآية (١٨) من سورة الزمر

• **أثر القرآن الكريم في نمو الدراسات البلاغية :**

قبل أن أترجم للإمام الطاهر يجدر بنا أن نقف وقفات سريعة عند أثر القرآن في بنــاء صــرح البلاغة العربية فمما هو معلوم أن علم البيان من العلوم العربية التى نشأت بتأثير القرآن الكريم، وكان له دخل واضح في تطورها وتنوع مباحثها ، وذلك من أهم العوامل المؤثرة فــي نشــأة البيان العربى ، وخاصة حين سرت إلى الأمة عوامل التشكيك بفعل التنافس بين العرب وبيــن الأمم التى دخلت في الإسلام ، وظهرت الشعوبية بوجهها السافر معادية للبيان العربى ، منكـرة لفضله ومزاياه ، كما كان لحركة الترجمة وامتزاج الثقافات ونقل العلوم إلى اللسان العربى أثـر كبير في نمو الدراسات البلاغية .

((وكان الكلام في القرآن وإعجازه من أهم مظاهر الخصومة بين العــرب وغــيرهم ، وتعـدد مذاهب القول فيه فكان أهم الدواعى التى دعت إلى الكلام في البيان العربى الدفاع عن القــرآن ضد الذين تصدوا لإنكار إعجازه))(1)

كذلك القول بالصَّرْفة الذى دان به بعض علماء الكلام مثل أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ت (٢٢٧)(2) أحد رؤس المعتزلة ، وشيخ الجاحظ ت (٢٢٧) وكان لهذا القول أكبر الأثــر فــي نمو الدراسات البلاغية حول جهات إعجاز القرآن ، وعن ذلك يقول الرافعي - رحمـــه الله -: ((لما فشت مقالة بعض المعتزلة بأن فصاحة القرآن غير معجزة ، وخيف أن يلتبس ذلك علــى العامة بالتقليد أو العادة ، وعلى الحشوة(3) من أهل الكلام الذين لارسوخ لهم في اللغة ولا سليقة لهم في الفصاحة ولا عرق لهم في البيان مست الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحتـــه ونظمه ووجه تأليف الكلام فيه)).(4)

وتتالت الجهود حول البحث في إعجاز القرآن ونظمه إلى أن استوت على سوقها على يد الإمـام عبد القاهر الجرجانى ت (٤٧١) هــ .

---

(١) ينظر البيان العربى للأستاذ الدكتور / بدوى طبانه صــ٢٣ باختصار طــ مكتبة الأنجلو - طــ سادسة ١٣٩٦هــ - ١٩٧٦

(٢) ينظر في أقواله وموقف العلماء منه كتاب الفرق بين الفرق للإمام البغدادى صــ١١٨ - ١٣٥ تحقيق أ / محمد عثمان الخشت طــ مكتبة ابن سينا بدون تاريخ .

(٣) الحشو من الناس الذى لا يعتمد عليه .

(٤) إعجاز القرآن صــ١٣٠ باختصار .

والإمام الزمخشري ت (٥٣٨) هـ[1] ، والإمام السكاكي ت (٦٢٦) هـ[2]

وكل ذلك كان بتأثير القرآن والبحث في إعجازه وبلاغته[3]

وعن ذلك يقول العلامة ابن خلدون ت (٨٠٨) هـ : ((واعلم أن ثمرة هذا الفن (علم البيان) إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن ، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقه ومفهومه ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ باختصار انتقائها وجودة رصفها وتركيبها ، هذا هو الإعجاز التي تقصر الأفهام عن دركه ، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه ... وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير ، وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض[4] من إعجازه ، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير ...))[5]

هذا ولقد أشار الطاهر إلى شئ من ذلك في المقدمة العاشرة للتفسير عن إعجاز القرآن بقوله : ((... إن علاقة هذه المقدمة بالتفسير هي أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آيه المفسرة بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار ، فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته ، وما فاقت به آي القرآن في ذلك ... فمن أعجب ما نراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول إلى هذا الغرض الأسمى إلا عيون التفاسير ...)) التحرير والتنوير ١٠٢/١

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن علم البيان أثر من آثار القرآن فلقد ظهرت علومه ومباحثه بسبب ما دار حول القرآن وإعجازه ، وكانت هذه الحملات الشرسة التي قامت ضد إعجاز القرآن في العصر العباسي على ما في ظاهرها من الشر كانت في باطنها يمن وبركة على البحث في البلاغة العربية ، كما وجهت أنظار المفسرين إلى البلاغة القرآنية ، ورأينا ما بذله صاحب الكشاف من جهود هو ومن تلاه في هذا المضمار إلى عصر الإمام الطاهر.

وبعد هذه العجالة عن أثر القرآن في نمو الدراسات البلاغية أنتقل إلى ترجمة الإمام الطاهر بن عاشور.

---

(١) هو الإمام اللغوي المفسر أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ولد سنة (٤٦٧) هـ وتوفي سنة (٥٣٨) هـ من مؤلفاته (الكشاف ، وأساس البلاغة ، والفائق في غريب الحديث) ينظر ترجمته في مقدمة الكشاف ومراجعة تحقيق عبد الرازق المهدي طـ دار إحياء التراث العربي طـ أولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م .

(٢) هو الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ت (٦٢٦) هـ .

(٣) تجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك جذور للبلاغة العربية في الجاهلية، وفي صدر الإسلام ، تناولها كثير من الباحثين المعاصرين بالتحليل ، وهي جهود لها قيمتها ، والمرحلة التي أتحدث عنها هنا مرحلة لإكتمال البلاغة العربية كفن له أصوله وقواعده .

(٤) المشهور أن الألف واللام لا يدخلان في بعض وكل لأنهما معرفتان بغير الألف واللام ينظر اللسان مادة (بعض) ٣١٢/١ .

(٥) ينظر مقدمة ابن خلدون صـ ٤٠٧، ٤٠٨ باختصار طـ دار ابن خلدون .

تمهيـــد :

ترجمــة الإمــام الطاهــر

هذه الترجمة ليست تحليلية ، وإنما نقف بها عند الخطوط العريضــة فــى حياة الطــاهر ، والروافد التى أمدته بثقافته اللغوية والشرعية الواسعة ، وربت فيه ملكة الذوق والنقد ، وتتنــاول هذه الترجمة نسبه ، ومولــده ، ونشأته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وعصره من الناحية العلميــة ، وجهوده فــى إصلاح التعليم ، وجهوده البلاغية والأدبية ، كذا جهوده فــى تفسيره موضـــوع البحث ، والجهود التى سبقته ومدى إفادته منها ، ومؤلفاته ، ووفاته.

نسبــه :

هو الإمام محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن عاشور ، شــيخ جــامع الزيتونــة وفروعه ورئيس المفتين المالكين بتونس ، وهو فقيه أديب مؤرخ امتدت حياته الســعيدة بيــن عامي (١٢٩٦-١٣٩٤)هــ الموافقين لعامين (١٨٧٩-١٩٧٣) م[1]

نشأ فــى بيت علم وفقه ، فجده محمد الطاهر (الأول) بن محمد الشاذلي بن عبد القادر (١٢٣٠-١٢٨٤)هــ عالم أديب أقبل على حفظ كتاب الله ، وزاول العلم فــى جامعة الزيتونــة علــى كبار علماء عصره ، ونبغ فــى النحو والبيان ، والأصول ، وعلــوم الأدب، وتولــى القضاء والفتيا ، ونقابة الأشراف بتونس وتوفــى بها ومن آثاره :

(١) حاشية على شرح التفتازانى لتلخيص القزوينى .

(٢) حاشية على القطر لأبن هشام سماها " هدية الأريب " .

(٣) حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى[2] .

(٤) حاشية على شرح العصام لرسالة البيان[3] .

(٥) حاشية على عبد الحكيم على المطول سماها " الغيث الأفريقي "[4] .

(٦) شفاء القلب الجريح فــى شرح بردة المديح .

---

(١) ينظر فــى ترجمته الأعلام لخير الدين الزركلي جــ ٦/١٧٤ ط دار العلم للملايين ط تاسعة –١٩٩٠م

(٢) مخطوط بمكتبة الأسرة تحت رقم (٦٦١٠)

(٣) مخطوط بمكتبة الأسرة تحت رقم (٢٣٥٢)

(٤) ولقد أفاد الطاهر من هذه المخطوطة فــى دراساته البلاغية وأخذ عليها ووافقها كثيراً وهى موجودة فــى مكتبة الأسرة تحت رقم (٢٤٢١)

هذا ولقد نقل عنه الطاهر في مواضع من تفسيره[١] .

أما عن جده لأمه فهو العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز بوُ عتُّور (١٢٤٠-١٣٢٥) هـ الموافق (١٨٢٥-١٩٠٧) م ، ولقد أشاد به الطاهر في تفسيره ونقل عنه في عدة مواضع من تفسيره[٢]

وستأتي ترجمته عند الحديث عن شيوخ الطاهر وكما يتضح من نسبه أن جديه لأبيه وأمه من العلماء ، فهو من أسرة عريقة لها تاريخ علمي حافل ، وجهود كبيرة في خدمة علوم الإسلام.

مولده ونشأته :

ولد الطاهر ببلدة المرسى إحدى بلاد تونس سنة (١٢٩٦) هـ الموافق سنة ١٨٧٩ م وحفظ القرآن وعمره ست سنوات ، كما حفظ الأجرومية وغيرها ، وفي سنة (١٣١٠) هـ التحق بالزيتونه ، وقد تلقى العلم بالزيتونة على كبار علماء عصره ، وعرف باستقلال شخصيته ، وألقى ختماً في الحديث في مجلس العلماء بعد أربعة أعوام من التحاقه بالزيتونة ، وتخرج فيها نابغاً مشهوداً بفضله سنة ١٨٩٦ م ، وكان شديد العناية باللغة والأدب ، كما تعلم الفرنسية وارتقى بعد ذلك إلى التدريس في " الصادقية " وهي ذات منهج مدني غربي ، ولقد كان له جهود كبيرة في تحويلها عن هذا المنهج سنذكرها فيما بعد ، وفي سنة (١٣٢٥) هـ سما نائباً عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة وتنقل بعد ذلك في وظائف التدريس والقضاء إلى أن عين شيخاً للإسلام مالكياً سنة ١٩٣٢ م ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في القاهرة ودمشق .[٣]

شيوخه :

وقبل الحديث عن شيوخ الطاهر لابد من التفريق بين نوعين من الشيوخ :-

أ- شيوخ عاصرهم وجلس إليهم وتلقى عنهم .

ب- شيوخ انتفع بكتبهم وما خلفوه من تراث ولم يعاصرهم .

---

(١) ينظر في ترجمته معجم المؤلفين لعمر كحالة جـ ١٠ / ١٠١ ، ١٠٢ ط دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ ، ومقدمة رسالة الاستعارة التمثيلية في تفسير الطاهر للدكتور / علي العطار صـ٤٢ نقلاً عن تراجم الأعلام للشيخ محمد الفاضل بن عاشور نجل الطاهر ، والتحرير والتنوير جـ٣ / ٦٩ .

(٢) مقدمة التفسير جـ ١ / ٢١ ، ١٨٥ ، ١٩٣ . جـ ٢٠/١٩ .

(٣) ينظر الأعلام للزركلي جـ٦ / ١٧٤ ومجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة (١٤٢١) صـ ٨٨٢ المقال الأول عن الطاهر للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي .

فمن النوع الأول سأكتفي بترجمة موجزة لأشهر علماء عصره الذين تتلمذ عليهم ، وذلك لقلة المصادر التي تحدثت عنهم .

(١) محمد العزيز بوُ عتُّور : (١٢٤٠ ـ ١٣٢٥) هـ = (١٨٢٥ ـ ١٩٠٧) م

محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن الوزير محمد بن محمد بوُ عتُّور الصفاقسي التونسي ، جد الطاهر لأمه ، وكان وزيراً من العلماء الكتاب أصله من صفاقس ، ومولده ووفاته بتونس ، ولي الكتابة في حكومتها سنة (١٢٦٢) هـ ، وتقدم فكان كاتباً خاصاً لأسرار الملك ، وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص ، وكانت الخطب الملكية والرسائل الهامة والمنشورات كلها من إنشائه ، وكان من العاملين في تأسيس المدرسة الصادقية ، وجمعية الأوقاف ، وفي تنظيم المحاكم الشرعية ، ثم تقلد منصب الوزارة الكبرى سنة (١٣٠٠) هـ فقام بالأعباء قياماً حسناً ، ولما توفي أمر المولى محمد الناصر بدفنه في مقبرة الأسرة المالكة[١] .

(٢) محمد النجار : (١٢٥٥ ـ ١٣٣١) هـ = (١٨٣٩ ـ ١٩١٣) م

محمد بن عثمان بن محمد النجار (أبو عبد الله) فقيه أصولي محدث مفسر ، تخرج بجامع الزيتونة ، وتولى فيه منصب الإفتاء مع التدريس ، وتوفي في رمضان ، ومن مؤلفاته :

(١) بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق

(٢) الفتاوى في ثمان مجلدات

(٣) مجموعة إملاءات على أمهات أحاديث صحيح البخاري

(٤) مصنف في رؤية الهلال

(٥) مصنف في شرح حديث لا عدوى .[٢]

---

(١) ينظر الأعلام جـ ٦ / ٢٦٨ باختصار .

(٢) ينظر معجم المؤلفين جـ ١٠ / ٢٨٦ ، ٢٨٧

(٣) محمد عبده : (١٢٦٦ - ١٣٢٣) هـ = (١٨٥٠ - ١٩٠٥) م

وهو الإمام محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمان ، ويعد شيخ المجددين فـي العصـر الحديث ، ولقد ولد فـي قرية حصة شبشير من قرى محافظة الغربية ، حفـظ القـرآن وهـو صغير ولما بلغت سنه الثالثة عشرة حمله والده إلى بلدة طنطا إحدى مراكز التعليم الديني فـي هذا الوقت ، ولقد ضاق محمد عبده بالطـريقة العقيمة التى كان عليها التعليم فـي الأزهـر فـي ذلك الوقت ، ورجع إلى قريته فزوجه أبوه وفـي ذلك الـوقت هيأ الله عز وجل له شيخاً أثر فـي نفسه ، وفـي توجهه نحو العلم مما دفعه إلى مواصلة الدراسة والتحصيل وهو الشيخ " درويش خضر " صاحب الاتجاه الصوفـي الذي أثر فـي سلوك الإمام ، وتصادف أن نـزل مصر سنة ١٨٧١م السيد جمال الدين الأفغاني يحمل فـي صدره وعلى لسانه دعوته للنـهوض بالإسلام والمسـلمين ضـد الاستعمار والمستعمرين فتأثر الإمام به وبدعوتـه ولاقـى فـي سبيلها ما لاقى من الأذى ، حتى نفـي خارج البلاد وعاد إلى وطنه سنة ١٨٨٨م وتقلب فـي مناصب القضاء حتى أصبح مستشاراً بمحكمة الاستئناف ثم عين مفتيا للديار المصريـة سـنة ١٨٩٩م وظل فـي هذه الوظيفة إلى وفاته[١]

أمـا عـن آثـاره فمنهـا :

(١) الإسلام والنصرانية

(٢) تفسير (جزء عم)

(٣) حاشية على شرح لكتاب (العقائد العضدية)

(٤) رسالة التوحيد وغيرها من المؤلفات

أما عن علاقة الطاهر بالإمام محمد عبده ، فقد نقل عنه الطاهر فـي موضع من تفسـيره [٢] ، وكانت بينهما مراسلات ووجدت رسالة محفوظة تحتها " رسالة من الإمام محمد عبـده إلـى الشيخ عاشور يرشده فـيها كيف يصبح من علماء البلاغة والنقد " [٣]

ويقول الأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى : ((زار الإمام محمد عبده تونس مرتين ، واجتمـع بشيوخ الزيتونه وشبابها ومنهم الطاهر ، فكان طبيعياً أن يعرف الكثير من وجوه الإصلاح التى

---

(١) ينظر الأعلام جـ ٦ / ٢٥٢ ، ومعجم المؤلفـين جـ ١٠ / ٢٧٢ ، والأدب العربـي المعـاصر فـي مصـر للأستاذ الدكتور / شوقي ضيف صـ ٢١٨ . ٢٢٧ طـ دار المعارف طـ عاشرة .

(٢) التحرير والتنوير جـ ١ / ١٥١ .

(٣) عثر على هذه الرسالة الدكتور / على العطار فـي مكتبة الأسرة فـي تونس ينظر مقدمة رسالة الاستعارة التمثيليـة فـي تفسير الطاهر .

نادى بها الأستاذ الإمام[١]

هذا ولقد عده الأستاذ الدكتور / عبد الغفار عبد الرحيم من تلامذة الإمام ومدرسته فـى التفسير يقـول عن الطاهر : ((إنه أحد أبناء هذه المدرسة ولكن على نمط آخر فريد ، فـهو يعنـى بعرض آراء أئمة التفسير ويركز بعض التركيز على الجانب اللغوي والإعجاز القرآني ثم تـأتى بعد ذلك المباحث الأخرى علمية أو أخلاقية أو اجتماعية أو تاريخية بشكل يجعلك تحس كـأنك فـى روضة من رياض المعرفة وارفة الظلال يانعة الثمار دانية القطوف))[٢].

(٤) سالم بو حاجب : (١٢٤٣ ـ ١٣٤٢) هـ = (١٨٢٧ ـ ١٩٢٣) م

سالم بن عمر بو حاجب النبيلى (أبو النجاة) فقيه مالكي من أفاضل العلماء ، وهو مـن أهـل تونس شارك فـى أنواع من العلوم ، كما تولى التدريس بجـامع الزيتونـة ثـم الفتيـا سـنة (١٣٢٣)هـ ، ثم عين كبيراً لأهل الشورى المالكية ، واشترك مع خير الدين باشا فـى تحريـو كتاب " أقوم المسالك فـى معرفة أحوال الممالك" وكان نحريراً فـى العلـوم التـى تـدرس بالزيتونة ومن آثاره :

(١) تقريرات على البخاري

(٢) تقريرات على الأشمونى

(٣) شرح على ألفـية ابن عاصم فـى الأصول [٣]

هذا ولقد نقل عنه الطاهر فـى مواضع من تفسيره [٤]

(٥) عمر بن الشيخ : (١٢٣٧ ـ ١٣٢٩) هـ = (١٨٢٢ ـ ١٩١١) م

عمر بن أحمد المعروف بابن الشيخ أبو حفص عالم فاضل من أهل بلـدة رأس الجبـل وكـان متبحراً فـى التفسير والكلام والفقه والمنطق والفلسفة ، ولقد درَّس للطاهر تفسـير البيضـاوى والمواقف ، وأخبر الشيخ الفاضل نجل الطاهر أن الإمام محمد عبده حضر له بعض الـدروس فـى الزيتونة ومن آثاره بعض الرسائل فـى مسـائل من العلوم الشرعية [٥]

---

(١) ينظر مجلة الأزهر عدد رجب (١٤٢١) المقال الثاني للأستاذ الدكتور محمد رجب عن الطاهر صـ١٠٣٤ .

(٢) الإمام محمد عبده ومنهجه فـى التفسير للأستاذ الدكتور / عبد الغفار عبد الرحيم صـ٣٥٤ طـ الحلبي بدون تاريخ .

(٣) ينظر معجم المؤلفـين جـ ٤ / ٢٠٣ ، والأعلام جـ ٣ / ٧١ ، ٧٢

(٤) التحرير والتنوير جـ ٢/ ٣٦٣ ، جـ ١٢ / ١٢١

(٥) معجم المؤلفـين جـ ٧ / ٢٧٣

وهؤلاء هم أشهر العلماء الذين تتلمذ عليهم من علماء عصره ، أما عن القدامى الذين تأثر بمؤلفاتهم ونقل عنهم فهم كثير ، وعلى رأسهم :

(١) الإمام عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١) هـ وستراه في مواضع كثيرة ينقل عنه ويناقشه ويحتج بكلامه[١] وللطاهر كتاب " الإيجاز على دلائل الإعجاز " أشار إليه في تفسيره[٢].

(٢) الإمام جار الله الزمخشري ت (٥٣٨) هـ ولقد تأثر به في تفسيره تأثراً كبيراً فنقل عنه ، وعقب عليه وشرح بعض آرائه ، وعارضه في مسائل بلاغيه كثيرة[٣] .

(٣) الإمام أبو يعقوب السكاكي ت (٦٢٦) هـ وللطاهر تعقيبات على بعض آرائه البلاغية[٤]

وهؤلاء هم أبرز من تأثر بهم من البلاغيين القدامى ، وهناك بعض البلاغيين الآخرين الذين تأثر بهم في مواضع من تفسيره أمثال : التفتازاني ت (٧٩١) هـ ، والقزويني ت (٧٣٩) هـ وأبي حيان الأندلسي ت (٧٥٤) هـ[٥] ولكن تأثر بهؤلاء وغيرهم ليس بنفس الدرجة التي تأثر بها بعبد القاهر والزمخشري والسكاكي .

تلاميذه :

قبل الحديث عن تلاميذ الطاهر لابد من الإشارة إلى العلاقة الوثيقة والصداقة الحميمة التي جمعت بين الطاهر وبين الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر في مصر[٦] ، وذلك في عهد طلبهما للعلم بجامع الزيتونة ، ولقد كان الطاهر يحرر مجلة مع الخضر حسين ،

---

(١) من هذه المواضع بحث الكناية والتعريض الآية (٢٨٢) وبحث القصر الآية (١١) وغيرها من المواضع .

(٢) التحرير والتنوير جـ٣/٩٢ .

(٣) من هذه المواضع التي يوافقه فيها بحث التأكيد الآية (٥) ، وعطف القصة على القصة الآية (٢٥) ومن المواضع التي يعارضه فيها بحث الاستفهام الآية (١٣٣) ، وبحث الاستعارة التبعية الآية (٣) وبحث المشاكلة الآية (٧) وغيرها من المواضع .

(٤) من هذه المواضع بحث حذف المسند إليه الآية (١٨) وتعريفه بالإشارة آية (٢) .

(٥) ينظر خاتمة البحث .

(٦) ولد بمدينة نفطة بتونس سنة (١٢٩٣) هـ في أسرة كريمة أصلها من الجزائر وتنتمي إلى أسرة الأدارسة التي كونت دولة بالمغرب ، نال شهادة العالمية من جامع الزيتونة سنة (١٣١٧) هـ وانتقل إلى مصر وعين أستاذاً بكلية أصول الدين فأفاد طلابه ، ونال عضوية جماعة كبار العلماء برسالته (القياس في اللغة العربية) وتولى مشيخة الأزهر سنة (١٣٧١) هـ ومن مؤلفاته (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) ، و(آداب الحرب في الإسلام) ، وديوان شعر (خواطر الحياة) ، وتوفي سنة (١٣٧٧) هـ الموافق سنة ١٩٥٨ م ينظر في ترجمته الأزهر في ألف عام د / أحمد عوف صـ ١٣٣ ط مجمع البحوث الإسلامية ، وشيوخ الأزهر صـ ٤٢

وكانا يكتبانها بخطهما ، ولقد ذكر الخضر فـي أنباء رحلته من أوروبا إلى تونس ما يدل علـى الصداقة الحميمة التي جمعت بينه وبين الطاهر ، يقول[1] : ((ركبنا الباخرة قرطاج ، وعندما أتينا على سمت بلد " المرسى" وانكشف من مبانيـها وبساتينها ما عظم بتشـوقي إلـى طلعـة صاحبي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، وتضاعف عندي تذكار عهده الوثيق أنشـأت أقـول مناجياً لفضيلته :

قلبـي يحييـك إذا هبـت سفـينتُنَا	تجاه مطلعـك المحـروس يـا علـم
تحيـة أبـرق الشـوق الشـديد بـها	فـي سلك ود بأقصى الروح ينتظـم

أمـا عـن تلاميـذه :

فهم كثير جداً فـي تونس وغيرها من بلاد العالم الإسلامي سواء عن طريق التلقـي المباشـر عليه أو من خلال كتبه ومؤلفاته ومن أبرز هؤلاء التلاميذ نجل الطاهر .

الإمـام محمد الفاضل بـن عاشـور :

وله تاريخ علمي حافل ، ولقد ترجم لحياته ترجمة موجزة ، جاء فـيها أنه ولد فـي أكتوبـر سنة ١٩٠٩، وابتدأ القراءة وهو ابن ست سنين فتعلم الهجاء بكتب مصرية ، وابتدأ حفظ القرآن منذ التاسعة وبدأ بحفظ الأجرومية ، والألفـية ، والعاصمية ، والرسالة ، كما تعلـم الفرنسـية على يد معلمين بالمنزل مع دراسات فـي مبادئ القراءات والتوحيد والنحو أهلته إلى اجتيـاز امتحان القبول بالزيتونة وبعد تفوقة فـي الدراسة انتسب إلى كلية الآداب بالجزائر سنة ١٩٣٢م ولقد كان عضواً بارزاً فـي مجمعي اللغة العربية والبحوث الإسلامية ، وكانت له فـي هذيـن المجمعين بحوث قيمة [2] كما كان للفاضل جهود فـي إصلاح التعليم فـي تونس متأثراً بوالـده وبدعوة الإمام محمد عبده ، وأسهم فـي مؤتمرات عديدة منها مؤتمر طلبة شمال أفريقيا المنعقد بقاعدة الخلدونيه سنة ١٩٣١م كما أنتخب عضواً فـي لجنة التعليم العربي وألقى بحثاً شافيـاً عن الوضع العلمي السائد فـي الشمال الإفريقي وانتقد طريقة المتون ، والشروح ، والحواشي ،

---

(١) مجلة الأزهر عدد رجب (١٤٢١) هـ السابق صـ ١٠٣٨ .

(٢) منها بحثه الفقهي الأصولي اللغوي الذي قدمه إلى مجمع اللغة العربية فـي إحدى دوراته السنوية تحت عنوان المصطلح فـي الفقه المالكي وهو بحث قيم رصين . ينظر البحوث والمحاضرات للدورة الرابعة والثلاثين .

والتقارير السائدة لدى بعض المعاهد العلمية ، داعياً إلى نهج طريف فـي التأليف والتدريس كما ألح على وجوب الاهتمام بالثقافة العامة ، والعلوم الحديثة بجوار ما يدرسه الطلاب من علـوم الشريعة واللسان.

أمـا عـن مؤلفاتـه :

فللفاضل مقالات كثيرة بمجلتي " الثريا " والمجلة " الزيتونية " كما أن له كتباً عديدة أشهرها :

(١) أعلام الفكر الإسلامي فـي تاريخ المغرب العربي .

(٢) أركان النهضة الأدبية فـي تونس .

(٣) تراجم الأعلام . (٤) التفسير ورجاله .

وبعد هذه الرحلة العلمية والجهود المتواصلة لقي ربه فـي العشرين من إبريل سنة ألف وتسعمائة وسبعين ١٩٧٠/٤/٢٠ وكانت وفاته العاجلة مصدر أسى شامل فـي الدوائر العلمية فـي شتى ربوع العالم الإسلامي ولقد نعته الصحف المصرية والعربية ، وتلقى والده الشـيخ الإمـام آلاف البرقيات المواسية[١].

عصر الطاهـر من الناحيـة العلميـة :

إن من ينظر فـي حياة الطاهر وعصره يدرك بوضوح ما بذله من جهود لإصلاح المجتمـع ، وإصلاح التعليم والنهوض به ، فلقد مضى أنه تلقى العلم بالزيتونة على كبار علمـاء عصـره وتخرج نابغاً مشهوداً بفضلـه ، وتناوبته وظائف التدريس والقضاء حتى صار شيخاً لجـامع الزيتونة سنة ١٩٤٤م .

أما عن عصره من الناحية العلمية فلقد كانت الطريقة التعليمية فـي تونس لا تختلف عن مصر قبل دعوة الإمام محمد عبده ، وكانت الدراسة هناك تفتقد الخطة التعليمية إضافة إلى الفوضـى وإهمال الضبط فـي ترتيب الكتب ، وعدم ملاءمتها لمستوى الطلاب فالمدرس يشرح ما يروق

---

(١) مجلة الأزهر عدد رجب (١٤٢٠) هـ صـ١٠٢٠ وعدد شعبان (١٤٢٠) هـ صـ١٠٦٣ وفـي العددين مقـالان عـن الفاضل للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي .

له من الكتب وإن ارتفع عن مستوى الطلاب - متجاهلاً اختـلاف مداركـهم بالإضافـة إلـى الخروج عن قواعد اللغة العربية نحواً وصرفاً فـي الحديث العلمي ، كذلك خلو المنهج الدراسي من مواد حية كالتاريخ ، والنقد ، وعلوم الأدب إلى آخر السلبيات التى كانت موجـودة فـي الحياة العلمية فـي ذلك الوقت ، هذا ولقد مضى أن الطاهر عمل مدرساً بالمدرسـة الصادقيـة فـي بداية حياته العلمية ، وأنها كانت ذات منهج غربي تعنى باللغة الأجنبية وآدابها ، والعلـوم العصرية لا تتفق مع مزاج طلاب الزيتونة فكان عمله بها كعمل الإمام محمد عبده فى إصـلاح التعليم فـي مصر ، وبدا أثر الطاهر فـي طلابه بمدرسة الصادقية مما دفعهم إلى أن يصبحـوا كأبناء الزيتونة فـي توجههم وحرصهم على علوم الإسلام .

أمـا عـن إصـلاح التعليـم :

فلقد مضى أن الإمام محمد عبده زار تونس مرتين واجتمع بشيوخ الزيتونـة وشـبابها ومنـهم الطاهر ، فكان طبيعياً أن يعرف الكثير من وجوه الإصلاح التى نادى بها الإمام ، ولقـد ألـف الطاهر كتابه (أليس الصبح بقريب) مفصلاً خطة الإصلاح التعليمي كما رآها ، وأرجع أسباب التأخر التعليمي إلى ما سبق ذكره عن عقم المناهج ، وعدم مناسبتها لمستوى الطلاب ، وسـوء أداء المدرسين إلى غير ذلك من السلبيات ، ولقد كان متقدماً فـي عصره حين اقترح مسـائل التربية الحديثة ، فتحدث عن الغاية التكوينية فـي تربية التلاميذ ، وعن الغاية الفوقيـة فـي إنتاج قادة للأمة من طلاب المعهد الديني العريق ، والغاية الاجتماعية التى تسعى إلى الارتفـاع بالمستوى الخلقي والاجتماعي بين البشر ، فتكون هناك أهداف ينشدها الجميـع ، ويحرصـون على تحقيقها ، ثم اتجه الشيخ إلى المطالبة بتدريس العلوم الحديثة كالرياضيات ، والفلسـفيات ، وسائر ما يدرس فـي الكليات الناهضة بالأمم العريقة ، وتلك أهم آراء الطاهر فـي كتابـه (أليس الصبح بقريب) .

ويقول الأستاذ / عبد العزيز بن يوسف عن الطاهر وكتابه السابق : ((والشيخ ابن عاشور في كتابه قد لاحظ واقترح ، وهدم وبنى في جرأة تبلغ أحياناً حد الثورة إذ تكررت بصورة مكثفة في كلامه كلمات الفساد والنقض ، كما تنوعت فيه أساليب الثورة على المحافظة والمحافظين والجمود والجامدين مما يجعل حركته الإصلاحية تتجاوز الحركة السلفية إلى بناء تصور مستقبل عقلي بإنشاء تعليم عصري يلائم بين مقومات الدين الصحيح ومتطلبات العصر ، وتستجيب لحاجة البلاد والنهوض بالأمة ومن درس الكتاب يدرك الجرأة الكبيرة في آراء الشيخ ، وخاصة إذا وضعناها في إطارها التاريخي ، وقدرنا نفوذ المحافظين ، والتفاهم حول السلطة الحاكمة وما يمكن أن تلحقه به من أذى))[1]

تلك باختصار شديد أبرز ملامح دعوة الطاهر للنهوض بالتعليم في تونس .

جهوده البلاغية والأدبية :

إن من أبرز جهود الطاهر البلاغية تفسيره الرائع الذي يعد بحق من أبرز تفاسير المعاصرين التي عنيت بدراسة إعجاز القرآن ، وإظهار مزايا النظم ، والبحث في علوم البلاغة ومسائلها المختلفة من خلال آيات القرآن الكريم .

وعن هذه الناحية من التفسير يقول الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي :

((وللشيخ فيها جولات صائبة لأنه مع تعمقه الرصين في كتب الحواشي والتقارير البلاغية قد درس ما قبل الحواشي دراسة مستوعبة تعرف البلاغة العربية والأعجمية معاً إن جاز هذا التعبير)) .

ويقول الأستاذ الدكتور / محمد المهدى العروسى [2] : ((... أما عن أبواب الفصل والوصل والإيجاز والإطناب ، فقد وجدت تطبيقها الشافي في تفسير التحرير والتنوير ..كما فَصَّل الإمام وجوه الإعجاز القرآني موضحاً كيف أتجه الإعجاز إلى العرب في الأسلوب البياني

---

(١) ينظر مجلة الأزهر عدد رجب السابق صـ ١٠٣٥ نقلاً عن كتاب (الطاهر وإسهامه في تجديد الفكر الديني) صـ ٢١١ سلسلة آفاق إسلامية رقم (٩) صادر عن وزارة الشئون الدينية بتونس .

(٢) في كتاب الطاهر وإسهامه في تجديد الفكر الديني .

ولغير العرب فــي الأفكار العلمية والأحداث التاريخية سابقاً ولاحقاً)) وسيأتي تفصيل ذلك عنـد بحث النظم فــي تفسيره ، هذا ولم تقتصر جهود الطاهر البلاغية على تفسيره ، بل كانت لـــه مؤلفات خاصة بدروس البلاغة قررت النظارة العلمية للجامع الأعظم وفروعه تدريسها بـــها ، واعتمدت فــي برامج التدريس فور تأليفها ، كما كان له تأليف فــي دروس الإنشاء والخطابة ، وكتاب الشيخ فــي هذا المجال نظري قاعدي ، وهو خطوة فــي مجال الحديث عن الأســلوب الأدبي ، وأمثلته الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله وروائع الأدب العربي شعراً ونــثراً ، وهــذا الكتاب الذي وضعه الطاهر فــي دروس الإنشاء هو "أصول الإنشاء والخطابة" ، ولقد أشار إليه الطاهر فــي مواضع من تفسيره"[١] ، كما كان له تعليق على دلائل الإعجاز للإمام عبد القــاهر سماه " الإيجاز على دلائل الإعجاز " أشار إليه فــي مواضع من تفسيره [٢] .
إضافة إلى كتاب " موجز البلاغة " [٣] وسيأتي الحديث عن مؤلفات الطاهر البلاغية والأدبية بعد ذلك .

أما عن جهوده الأدبية :

فالطاهر رغم دراسته الدينية ، وتبوئه مشيخة الإسلام وزعامة الفقه المالكي فــي بلده وعصــره ، فإن الدراسة الأدبية نالت قدراً كبيراً من اهتمامه ، وترك فــي ميدانها آثاراً جمة مثل :
" شروحه لديوان بشار ، والنابغة الذبياني ، والحماسة لأبي تمام ت (٢٣١) هـــ وقصيـدة الأعشى الأكبر فــي مدح المحلق ، كما حقق كتاب " قلائد العقيان " للفتح بن خاقـان تـ (٢١٧) هــ وذلك بعض ما له فــي مضمار الدراسات الأدبية وعن هذه الناحية الأدبية فـــي دراســة الطــاهر يقــول الدكتور / البيومي :
((ولو أن الرجل قد ترك هذه الآثار الأدبية فقط دون أن يتجه إلى طوفانه الزاخر فــي دراسات التشريع والتفسير لكان علماً من أعلام اللغة كالمرصفــي والشنقيطي فــي عصره)) [٤]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٤١٨ ، ٤٢٧

(٢) ينظر التحرير والتنوير جـ ٣ /٩٢

(٣) ينظر الأعلام للزركلي جـ ٦ / ١٧٣

(٤) مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة (١٤٢١) هـ صـ ٨٨٢

ويقول الدكتور / علي الشابي عن الطاهر : « إنه قضى على القطيعة التي روجها بعضهم بين الآداب ، والعلوم الدينية على اعتبار أن الأدب لا غناء فيه ، وأنه مضيعة للوقت ، حتى قال قائلهم مؤنباً ولده حين اتجه إلى قراءة الشعر :

إن الزمانَ الذي تغنيه في الأدبِ ... يراهُ أهلُ النُّهى مِنْ جُمْلَةِ العبثِ

أما عن بعض القضايا الأدبية التي تعرض لها الطاهر فمنها دفاعه عن بشار بن برد[١] فلقد رد الإمام كل الأخبار التي تؤكد زندقته وإلحاده بالرغم من تواترها ، وانتصر لفنه ، ولم يحذف أي كلمة من ديوانه مهما يكن فحشها ، واعتبر خلاعته ومجونه وغزله المادي غير ماسة بعقيدته ، وصدق إيمانه ؛ لأن الفن في نظر الشيخ لا يعدو أن يكون مجلي لرقة الإحساس والكلف بالجمال وروعة التصوير ، ومن ثم فإنه لا يكون بأي حال سبيلاً إلى مصادرة الضمائر ، والكشف عن السرائر التي لا يعلمها إلا الله .
هذا ولقد عقب الدكتور / الشابي على رأى الطاهر السابق معارضاً نشر المجون الكثير الممتد في كتب الأدب دون تهذيب أو حذف وأضاف أن الشعراء وحدهم ليسوا مرآة عصرهم كما يرى الطاهر فجوارهم تجد الفقهاء والمحدثين والمفسرين وأئمة الكلام وجلهم أصحاب الدين والعفاف ، وهؤلاء أصدق من يمثلون عصرهم ! [٢]
أما عن دعوة الطاهر إلى نشر كتب الأدب وشعر الشعراء من مجون قد سبقه إليها ابن قتيبة ت(٢٧٦) هـ كما دعا إليها من المعاصرين محمد محيي الدين عبد الحميد - رحمة الله - [٣] .

أما عن جهوده اللغوية :

فنجد هذه الناحية واضحة جداً في تفسير الطاهر من خلال الجولات النحوية واللغوية التي كان فيها الطاهر ذا استقلال تام عن كل ما قيل من قبل ، ويسوق الأستاذ الدكتور / محمد المهدى العروسى

---

(١) كان شاعراً مشهوراً ، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية توفى سنة ١٦٧ هـ يـنظر البداية والنهاية ١٠/١٧٢ ، ١٧٣.

(٢) مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة السابق نقلاً عن كتاب الطاهر وإسهاماته في تجديد الفكر الديني وقد تناول الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى هذا الموضوع بشئ من التفصيل في مقاله السالف.

مثالاً لجهود الطاهر اللغوية استخرجه من تفسيره ، يقول :

((إن الأستاذ فـي مجال اللغة العربية يوجه تفسيره للألفاظ واشـتقاقها ومدلولاتـها ومعانيـها واستعمالات العرب لها ، وقد أتى الإمام أحياناً بالجديد الذي لم يسبق إليه ، ومن ذلك تفسـيره لكلمة " شيطان " حيث جاوز المألوف المتعارف ، وهو أن الاشتقاق من كلمـة شـاط بمعنـى احترق ، أو شطن بمعنى بعد ، إلى قوله : ((إنه اسم جامد شابه فـي حروفه مادة مشتقة ودخل فـي العربية من لغة سابقة إذ كان هذا الاسم متعلقاً بالعقائد والأديان ، وقد عُرِف عند عـرب العراق قبل انتقالهم إلى الحجاز واليمن))[1]

أما عن جهوده النحوية فلقد كان للطاهر آراء جديدة ومناقشات عديدة فـي مواضع كثيرة مـن التفسير ، ومن هذه المواضع ما جاء فـي تفسيره لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِـرِ وَعَمِـلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2]

يقول : ((... وإعرابها ينعقد إشكاله بوقوع قوله "والصابئون " بحالة رفع بالواو فـي حين أنـه معطوف على اسم - إن - فـي ظاهر الكلام ... فالذي أراه أن يجعل خبر " إن " محذوف وحذف خبر إن وارد فـي الكلام الفصيح غير قليل ، كما ذكر سيبويه فـي كتابه[3] ... ويكون قولـه " والذين هادوا " عطف جملة على جملة ، فيجعل " الذين هادوا " مبتدأ ، ولذلك حق رفـع مـا عطف عليه ، وهو " والصابئون ". وهذا أولى من جعل " والصابئون " مبدأ الجملة وتقدير خبر له أي والصابئون كذلك كما ذهب إليه الأكثرون))[4] .

---

(١) ينظر مجلة الأزهر العدد السابق صـــ ٨٨٢ نقلاً عن الكتاب السابق .

(٢) الآية (٦٩) من سورة المائدة .

(٣) (مثل سيبويه لحذف خبر إن بقولهم : (إن مالاً وإن ولداً وإن عدداً) أي إن لهم مالاً . فالذي أضمرت (لهم) ينظـر الكتـاب ٤١/٢ ط دار الجيل .

(٤) ينظر التحرير والتنوير جــ ٦ / ٢٦٩ باختصار شديد .

أما عن جهوده فـــى تفسيره موضوع البحث :

فلقد عُنى الطاهر فـــى تفسيره بنواح علمية مختلفة مما جعل تفسيره موسوعة علمية فضلاً عـن عنايته بإعجاز القرآن وبلاغته ، نراه لا يتقيد فـــى تفسيره بما قاله الأقدمون إذا كـــان هنـــاك مجال للقول أو الرأي ، كما حرص على إبراز نكت فـــى التفسير لم يسبق إليها، ولذلك ســـمى تفسيره " تحرير المعنى السديد ، وتنوير العقل الجديد ، من تفسير كتاب الله المجيد " .

ولقد أشار إلى ذلك فى مقدمة التفسير بقوله :

((... جعلت حقاً على أن أبدى فـــى تفسير القرآن نكتاً لم أرَ من سبقني إليها ، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها فإن الإقتصار على الحديث المعـــاد تعطيلاً لفيض القرآن الذي ما له من نفاد . ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين : رجـــل معتكف فيما شادهُ الأقدمون ، وآخر آخذ بمعولهُ فـــى هدم ما مضت عليه القرون ، وفـــى كلتـا الحالتين ضر كثير ، وهناك حالة أخري ينجبر بها الجناح الكسير ، وهى أن نعمد إلى ما شـــاده الأقدمون فنهذبه ونزيده ، وحاشا أن ننقضه أو ننبذه عالماً بأن غمض فضلهم كفران للنعمـــة ، وجَحْد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة ، فالحمد لله الذى صَدّق الأمل ، ويسّرَ إلى هـــذا الخير ودلّ))[١]

وعن عنايته بالمسائل العلمية فـــى التفسير يقول :

((وقد ميزت ما يفتح الله لى من فهم فـــى معانى كتابه ، وما أجلبه من المسائل العلمية ممـــا لا يذكره المفسرون ، وإنما حسبى فـــى ذلك عدم عثورى عليه فـــى ما بين يدى مـــن التفاســير فـــى تلك الآية خاصة ، ولست أدعى انفرادى فـــى هذا الأمر فكم من كلام تنشئه تجـــدك قـد سبقك إليه متكلم ، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١ / ٧ باختصار .

وقديماً قيل :

هَلْ غَادَرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ؟ .[١] [٢]

أما عن الأمثلة التى تشهد لكلام الطاهر فستتضح إن شاء الله أثناء البحث

ومما تجدر الإشارة إليه المقدمة التى وضعها الطاهر للتفسير ، وهى مقدمة تستحق أن تفرد فى كتاب مستقل نظراً لأهميتها تناول فيها الطاهر مباحث علوم القرآن من علم أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات ، وإعجاز القرآن ، وقصص القرآن ، وغير ذلك من المباحث[٣]

ولقد نقل الطاهر فى هذه المقدمة عن كثير من المفسرين والبلاغيين فضلاً عما أضافه مما فتح الله به عليه .

كما عنى الطاهر فى تفسيره بالبلاغة القرآنية وهذه العناية الكبيرة التى أولاها لبلاغة القرآن مما لفت أنظار الباحثين إلى تفسيره ، والبلاغة القرآنية فى تفسير الطاهر تحتاج إلى جهود متواصلة ، وبحوث متوالية للكشف عن طريقته فى إظهار إعجاز القرآن ، وما أضافه إلى ميدان البحث البلاغى من جهود ، ولقد أشار إلى ذلك فى مقدمة التفسير بقوله : ((وقد اهتممت فى تفسيرى هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال ، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ... ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر فى تفسير القرآن مقصوراً على مفرداته ومعانى جمله))[٤]

كما كان للطاهر عناية بالناحية اللغوية فى التفسير ، ويقول عن هذه الناحية :

((واهتممت ببيان معانى المفردات فى اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن حفظ كثير منه قواميس اللغة ... فإنى بذلت الجهد فى الكشف عن نكت من معانى القرآن وإعجازه خلت

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٨٠٧/١ باختصار .

(٢) صدر البيت الأول من معلقة عنترة ، وعجزه . أم هل عَرَفْتَ الدار بعد تَوَهُّم ؟. ينظر شرح المعلقات السبع للزوزنى صـ ١٤٦ طـ الحلبى طـ ثالثة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ م .

(٣) ينظر مقدمة التفسير ١٠/١-١٣٠

(٤) ينظر مقدمة التفسير ٨/١ باختصار .

عنها التفاسير ، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير ، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره[١] مطولات القناطير ...)) [٢]

أما عن الجهود التى سبقته ومدى تأثره بها :

فما أكثر المفسرين الذين سبقوا الطاهر علماً بأنه لم يستفد من جهود كل المفسرين ، بل نقل عن بعضهم ، وتأثر بهم ، وترك آخرين فلم ينقل عنهم ، ومن أشهر المفسرين الذين تأثر بهم وظهرت آراؤهم فى تفسيره من القدامى الطبرى ت (٣١٠)هـ ، والزمخشرى ت (٥٣٨) هـ ، والرازى ت(٦٠٦)هـ ، والقرطبى ت(٦٧١)هـ ، والتفتازانى ت (٧٩١)هـ ، وأبى السعود ت (٩٨٢)هـ، والشهاب الخفاجى ت (١٠٦٩)هـ ، والألوسى ت (١٢٧٠)هـ ولقد أشار إلى ذلك فى مقدمة التفسير[٣] ، وللطاهر تعقيبات عليهم ،ومناقشات لآرائهم ، وأكثر من نقل عنه وناقشه وعارضه وعقَّب عليه منهم صاحب الكشاف ، وسيظهر ذلك من خلال البحث ، وفى نتائجه إن شاء الله .

أما عن المفسرين المعاصرين فلقد تقدمه الإمام القاسمى ت(١٣٣٢)هـ صاحب محاسن التأويل ، والإمام محمد عبده ت(١٣٢٣)هـ والشيخ رشيد رضا ت (١٣٥٤) هـ صاحب " المنار فى تفسير القرآن "

أما عن القاسمى فهو وإن اتفق مع الطاهر فى المنهج من الناحية العلمية بحيث إن كل منهما لا يقتصر على آراء السابقين ، ويحقق ما مضى من آراء السلف ، ويعقب على ما يستحق التعقيب إضافة إلى المقدمة الطويلة التى مهد بها كل منهما لتفسيره نجد أن القاسمى لم يولِ الناحية البلاغية فى القرآن عناية كبيرة ، بخلاف الطاهر الذى اهتم ببلاغة القرآن وإعجازه كما تقدم ، ولكن القاسمى أشار فى مقدمة تفسيره إلى عدة قواعد تتعلق ببعض المسائل

---

(١) تفسير الطاهر ثلاثون جزءاً فى خمسة عشر مجلداً ، ومكث فى تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر ينظر خاتمة التفسير ٦٣٦/٣٠

(٢) ينظر مقدمة التفسير ٨/١ باختصار .

(٣) ينظر مقدمة التفسير ٧/١

البلاغية المتصلة بالقرآن منها : هل فـي القرآن مجاز أم لا؟[١] ومطلب فـي "سر التكرير"[٢] و "ذكر بديع أسلوب القرآن"[٣]

أما عن العناية بالبلاغة القرآنية فـي تفسيره ، فهو ينقل عن صاحب الكشاف فـيما يتعلق بهذه الناحية .

أما عن الإمام محمد عبده فلقد مضى أثره فـي شخصية الطاهر ، وفـي دعوته إلى الإصلاح والإحياء والتجديد ، بيد أنَّ استقلال الطاهر فـي الناحية البلاغية عن الأستاذ الإمام واضح جداً فـي تفسيره ، فهو لم ينقل عن الشيخ محمد عبده إلا فـي موضع واحد من تفسيره[٤] ، وهـو موضع لا يتصل بالبحث البلاغي فـي القرآن ، ويبقى أثر الإمام على الطاهر فـي الخطة والمنهج التحليلي الذى يقوم على تحقيق أقوال السلف ومناقشتهم والتعقيب علـى ذلـك عند اللزوم ، والاهتمام بالنواحي العلمية التى أغفلها السابقون أو لم يصل إليها العلم فـي زمانهم .

ويبقى بعد ذلك تفسير الطاهر نقطة تحول فـي تاريخ التفسير البياني للقرآن الكريم ، وإن كـان لصاحب الكشاف فضل التقدم والإمامة فللطاهر فضل الاتباع والإحياء والتجديد !

مؤلفاتـه :

مؤلفات الطاهر كثيرة ما بين مطبوع ومخطوط ، ومن أشهرها ما ذكره صاحب الأعلام،وهي :

(١) "أصول النظام الاجتماعي فـي الإسلام"

(٢) "أصول الإنشاء والخطابة" وأشار إليه في تفسيره ٤١٨/١ ، ٤٢٧

(٣) "الإيجاز على دلائل الإعجاز" وأشار إليه فـي تفسيره ٩٢/٣

(٤) "تحقيق لكتاب قلائد العقيان" للفتح بن خاقان

(٥) تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي

(٦) تفسير التحرير والتنوير

---

(١) ينظر محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي ١٣٥/١ -١٥٥ تحقيق محمد باسل - ط دار الكتب العلميـة - ط أولـى - ١٤١٨هـ -١٩٩٧م .

(٢) السابق ١٥٩/١-١٦٩

(٣) السابق ١٦٩/١-١٧٨

(٤) جـ١/١٥١

(٧) " شرح ديوان بشار بن برد "

(٨) " شرح ديوان النابغة الذبياني "

(٩) " شرح حماسة أبي تمام "

(١٠) " شرح قصيدة الأعشى الأكبر التي قالها فـي مدح المحلق "

(١١) " شرح الواضح فـي مشكلات شعر المتنبي "

(١٢) " مقاصد الشريعة " وأشار إليه فـي تفسيره[١]

(١٣) " موجز البلاغة "

(١٤) " الوقف وآثاره فـي الإسلام "

(١٥) " أليس الصبح بقريب " [٢]

وتلك بعض مؤلفاته فـي الأدب ، والبلاغة ، والتفسير ، والشريعة ، إضافـة إلـى المقـالات العلمية والأدبية والإصلاحية فـي مجلة " الهداية " وغيرها من المجلات ، وكما يقول الدكتور / البيومي :

« إن مؤلفاته ومقالاته ، ومحاضراته جاوزت الحصر ؛ لأنه لم يترك يوماً واحداً مـن عمره السعيد دون اطلاع حتى فـي أوقات المرض ، وفـي مناسبات الحزن المفاجئ » [٣]

وفاتـه:

بعد هذه الرحلة العلمية المباركة ، والبحث المتواصل انتقل الإمام الطاهر إلى جوار ربـه سنة (١٣٩٤) هـ الموافق سنة ١٩٧٣ م عن عمر يناهز ثمانية وتسعين عامـاً قضاها فـي محراب العلم ، وخدمة القرآن وبلاغته، ولقد قال عن نفسه [٤] : « إنـي أحمد الله على أن أودع فـي محبة العلم والتوق إلـى تحصيلـه وتحريـره ، والأنـس بدراسـته ومطالعته ، سجية فطرت عليها حتى أصبحت لا أتعلق بشئ مـن المنـاصب والمراتـب تعلقي بطلب العلم ، ولا أنس برفقة ولا حديث أنسي بمسامرة الأساتيذ والإخـوان فـي دقائق العلم ، ورقائق الأدب ، فلا تكاليف الحياة الخاصة ، ولا أعباء الأمانات العامة التي حُمِّلتها فاحتملتها فـي القضاء وإدارة التعليم حالت بيني وبين أنسي فـي دروس تضئ منها بروق البحث الذكـي والفـهم الصـائب » [٥] رحمـه الله وأجـزل لـه العطـاء .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣/١٣٥

(٢) ينظر الأعلام ٦/١٧٣،١٧٤

(٣) ينظر مجلة الأزهر عدد (جمادى الآخرة) ١٤٢١هـ صـ٨٨٢

(٤) فـي الكلمة التي ألقاها يوم أخذ جائزة الدولة التقديرية

(٥) ينظر مجلة الأزهر عدد رجب (١٤٢١)هـ صـ١٠٣٧

الفصـــل الأول

البلاغة القرآنية فــى تفسير

التحرير والتنوير

(سورة البقــرة)

مـــن

خلال مسائل علم المعانى

المبحث الأول

النظم وأسراره البلاغية

فـــى تفسير التحرير والتنوير

(سورة البقــرة)

نظرية النظـــم

نظرية النظم قبل الإمام الطاهر

علم المعاني من العلوم التي يستفاد منها في الكشف عن إعجاز القرآن ، وقبل البحث في مسائل علم المعاني لابد من الحديث عن نظرية " النظم " لما لها من أثر وصلة وثيقة بمسائلة ، ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية :

الأولى :

((إن من فوائد علم المعاني الوقوف على إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به مـــن جـودة السبك ، وحسن الرصف ، وبراعة التراكيب ، ولطف الإيجاز ، وعزوبة الألفاظ إلى غير ذلـك من محاسنه))[١]

الثانيـــة :

((إن دراسة علم المعاني قد ازدهرت على يد الإمام عبد القاهر ت (٤٧١) هـ حتــى عـده البلاغيون واضع علم المعاني)) [٢]

الثالثـــة :

وهي تتعلق بالصلة بين نظرية النظم وعلم المعاني وعنها يقول الأستاذ الدكتور / شـــوقي ضيف : ((إن عبد القاهر سمي علم المعاني في الدلائل باسم " النظم " وهو اصطلاح كـان يشيع في بيئة الأشاعرة ، إذ كانوا يعللون إعجاز القرآن بنظمـــه)) [٣] ويقـول الأسـتاذ الدكتور / محمد أبو موسى : ((... وعلماء المعاني هم الذين يستخرجون من النص مراميـه ومعانيه ، ويحددون مدلولاته لخبرتهم بالأساليب وخصائص الصياغة ، وعلم المعاني فـي المدلول الأخير يطابق علم النظم أو علم محاسن النظم بل هما شئ واحد ... وبهذا تتلاقـى مفاهيم الفصاحة والبلاغة والنظم وعلم المعاني وعلم البيان)) [٤] ولأجل هذه الصلة الوثيقـة بين النظم وعلم المعاني سأتناول تاريخ هذه النظرية في عجالة سريعة حتى نقـف علـى الروافد التي أمدت الطاهر برأيه في نظرية النظم .

أولاً : مما هو معلوم أن علم البلاغة من العلوم التي نشأت في بتأثير القرآن الكريم فهو يقـوم على إبراز ما فيه من وجوه الجمال التي يمتاز بها كلام الله من كلام البشر ، ويبين ما فيه مـن أسرار الإعجاز .

---

(١) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للأستاذ / السيد الهاشمي صـ ٣٨ ط دار ابن خلدون .

(٢) ينظر محاضرات في البلاغة العربية للأستاذ الدكتور / محمود شيخون صـ ٤٦ ط بدون تاريخ .

(٣) ينظر البلاغة تطور وتاريخ صـ ١٦١ بتصرف يسير ط دار المعارف ط ثالثة ١٩٧٦

(٤) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري صـ ٢٥٢ ، ٢٥٥ بتصرف واختصار ط مكتبة وهبة ط ثانية سنة ١٤٠٨ هـ .

((وهذا العلم تأثر فى نشأته بهذا العامل الدينى))[١] وهذا سبب من الأسباب التى ساهمت فى نمو الدراسات البلاغية .

ثانياً : كان لحركة الترجمة ، ونقل العلوم إلى اللسان العربى أثر فى هذا العلم ، حيث كان الكلام فى القرآن وإعجازه من أهم مظاهر الخصومة بين العرب وغيرهم ، ويضاف إلى ذلك النزاع الذى قام بين أهل السنة والمعتزلة حول إعجاز القرآن هل هو بالنظم؟ أو بالصَّرفة؟[٢]والصواب الذى عليه جمهور العلماء أن إعجاز القرآن بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه [٣] .

" فهو معجز من جميع الوجوه نظماً ومعنى ولفظاً ، ولو لم يكن للقرآن غير معنى واحد من تلك المعانى لكان معجزاً ، فكيف إذا اجتمعت فيه جميعاً ؟ وأول من ألف فى نظم القرآن والاحتجاج له الجاحظ ت (٢٥٥) هـ [٤] .

فلقد ذهب إلى أن إعجاز القرآن فى نظمه وذلك فى كتابه " نظم القرآن " وهو من النفائس المفقودة من تراثنا العلمى ويقول عنه أبو الحسين الخياط [٥] : ((لا يعرف كتاب فى الاحتجاج لنظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، وأنه حجة لمحمد على نبوته غير كتاب الجاحظ))[٦] ولقد أشار اليه الزمخشرى فى مقدمة الكشاف بقوله : ((لا ندرى ماذا كان يتصور الجاحظ عن النظم فى كتابه هذا))[٧] واقتفى الجاحظ بعد ذلك أبو بكر بن أبى بكر داود السجستانى ت (٣١٦) هـ ، وأبو يزيد المبلجى ت(٣٢٢) هـ ، وأبو بكر أحمد بن على المعروف بابن الإخشيدى(٣٢٦) هـ

---

(١) ينظر البيان العربى للأستاذ الدكتور / بدوى طبانه صـ ٢٢،١٩ باختصار ط مكتبة الأنجلوط سادسة سنه ١٣٩٦ هـ .

(٢) المشهور أن أول من قال بالصَّرفة أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام أحد رؤوس المعتزلة توفى فى خلافة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ ينظر الإتقان للسيوطى ٣١٥/٤ ط دار الفكر ط أولى سنة ١٤١٦ ـ ١٨٩٦ .

(٣) ينظر البرهان ٩٣/٢ ـ ١٠٧ ط دار التراث بدون تاريخ ، والإتقان ٤ / ٣١٤ ، ٣٢٤

(٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أحد شيوخ المعتزلة وإمام من أئمة اللغة من مؤلفاته الحيوان ، والبيان والتبيين، والبخلاء وغيرها توفى سنة ٢٥٥ هـ ينظر فى ترجمته البداية والنهاية ٢٣/١١ ، ٢٤

(٥) عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، أبو الحسين ابن الخياط أحد شيوخ المعتزلة ببغداد ت (٣٠٠) هـ .

(٦) ينظر المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبين للأستاذ الدكتور / فوزى عبد ربه صـ ٢١٦ ط دار الثقافة ١٩٨٣ م .

(٧) ينظر الكشاف ٤٢/١ دار إحياء التراث العربى ـ ط أولى ١٤١٧ ـ ١٩٩٧م .

فتكلموا عن إعجاز القرآن فى كتب تحمل عنوان (نظم القرآن) كما اختاره الجاحظ [١]
أما أول من جوَّد الكلام فى إعجاز القرآن فهو عبد الله محمد بن يزيد الواسطى ت(٣٠٦) هـ فى كتابه " إعجاز القرآن فى نظمهُ " ولقد شرحه الإمام عبد القاهر شرحاً كبيراً سماه " المعتضد " وشرحاً آخر أصغر منه ، والغالب أن الواسطى بنى على ما ابتدأه الجاحظ ، ولولا أن الإمام عبد القاهر وجد فى كتاب الواسطى ما يوافق فهمه للنظم ما شرحة مرتين[٢]
وممن ألفوا فى الإعجاز على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما الإمام الخطابى ت (٣٨٨) هـ فى كتابهُ " بيان إعجاز القرآن " ثم وضع أبو عيسى الرمانى ت(٣٨٦) هـ رسالته " النكت فى إعجاز القرآن " [٣] ثم جاء القاضى أبو بكر الباقلانى ت(٤٠٣) هـ فوضع كتابه المشهور " إعجاز القرآن " والرمانى والباقلانى اللذان سبقا عبد القاهر وإن كان يتفق معهما فى فكرة الإعجاز إلا أنه يختلف معهما فى أنه جعل النظم الوجه الوحيد لإعجاز القرآن ، أما هما فقد جعلا النظم وجهاً من وجوه الإعجاز وعبد القاهر وإن كان مسبوقاً - إلا أن دراسته كانت أوسع وأعمق وأشمل من دراسة السابقين له ، وتوسع فى الكلام عنه فقدم لنا بحوثاً لبلاغة طيبة [٥]
أما عن الإمام عبد القاهر فحين بسط نظرية " النظم " بناها على ارتباط الكلام بعضه ببعض ، وبناء الثانى على الأول ، وأن يجعل هذا بسبب من تلك يقول : ((واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم فى الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك وهذا ما لا يخفى على أحد من الناس ...)) [٦]

---

(١) خطوات التفسير البيانى للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ١/ ٩٩ ، ١٧٣، ١٧٤ ط مجمع البحوث الإسلامية ط أولى١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

(٢) ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى صـ ١٣١ ، ونظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربى الحديث للأستاذ الدكتور / محمد نايل ط دار المنار ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

(٣) وهما مطبوعان مع الرسالة الشافية فى إعجاز القرآن للإمام عبد القاهر ط دار المعارف .

(٤) ينظر إعجاز القرآن للرافعى صـ ١٣١

(٥) دراسات فى اللغة العربية للأستاذ الدكتور / محمود شيخون صـ ١٥٣ ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

(٦) دلائل الإعجاز صـ ٥٥ بتحقيق الأستاذ / محمود شاكر ط المدنى ط ثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

ثم يوضح أن النظم لا يكون إلا بتوخي معاني النحو ، فيقول :

((اعلم أن ليس " النظم " إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشئ منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : " زيد منطلق " و " زيد ينطلق " ، و " ينطلق زيد " ، و " منطلق زيد " ، و" زيد المنطلق " ، و " زيد هو المنطلق ...))[١]

أما عن الإمام الزمخشري ت (٥٣٨) هـ فلقد استمد فهمه مما ذكره الإمام عبد القاهر الذى تعتبر جهوده تلخيصاً مركزاً لجهود من سبقه ، فنظم القرآن كما يتصوره الزمخشري ((يعني بيان الروابط بين العلاقات والجمل ، وكيف يدعوا الكلام بعضه بعضا ، وكيف يأخذ بعضه بحُجَزَة بعض)) [٢]

وممن ألفوا في الإعجاز على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما الإمام فخر الدين الرازي ت (٦٠٦) هـ [٣] والأديب ابن أبي الأصبع المصري ت (٦٥٤) هـ [٤] ثم تكلم عن الإعجاز بعد ذلك الإمام عز الدين بن عبد السلام ت (٦٣٠)هـ في كتابه (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز)[٥]

وبعز الدين بن عبد السلام نصل إلى خاتمة المشاهير الذين تكلموا عن الإعجاز في القرآن ولقد جاء بعد ذلك علماء تناولوا هذا الجانب لكن جهودهم اقتصرت على نقل وجمع آراء السابقين ، ومن هؤلاء الزملكاني ت (٧٢٧) هـ [٦] والزركشي ت (٧٤٥) هـ في كتابه " البرهان في علوم القرآن " ، والعلوي ت (٧٤٩) هـ في كتابه " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " ، وابن قيم الجوزية ت (٧٥١) هـ في كتابيه " بدائع الفوائد " " والتبيان في أقسام القرآن " .

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز صـ ٨١ باختصار .

(٢) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى صـ ٢٣٦

(٣) في كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز .

(٤) في كتابيه " البرهان في إعجاز القرآن ، وبديع القرآن " والأول من النفائس المفقودة والثاني مطبوع بتحقيق الدكتور / حفني شرف طـ دار النهضة للطبع والنشر .

(٥) وكتابه مطبوع متداول .

(٦) في كتابه التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن .

ثم الفيروزابادى ت (٨١٧) هـ في كتابهُ " بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز " ، والإمام السيوطى ت (٩٠٩) هـ في كتابيهُ " الإتقان فى علوم القرآن " ، و" معترك الأقران فى إعجاز القرآن" ومن علماء القرن الثالث عشر الهجرى الإمام الألوسى[1] ت (١٢٧٠) هـ فى تفسيره

" روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى " أما عن عصرنا الحديث فلقد كتب فى إعجاز القرآن كثيرون منهم الإمام محمد عبده ت (١٣٢٣) هـ ، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا ت (١٣٣٥)هـ وذلك فى تفسير " المنار" ، والإمام مصطفى صادق الرافعي ت (١٣٥٦) هـ فى كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية "

وبهذا نصل إلى الإمام الطاهر الذى عاش حياته السعيدة بين عامى (١٢٩٦ - ١٣٩٤) هـ الموافق (١٨٧٩ - ١٩٧٣) هـ [2] .

وبعد هذا العرض الموجز لتاريخ البحث فى نظرية النظم التى تعد من صميم علم المعانى أنتقل إلى تفسير الطاهر لنقف على ما أضافه إلى البحث فى هذه النظرية .

نظرية النظم عند الإمام الطاهر :

الإمام الطاهر أولى بحث النظم ووجوه إعجاز القرآن قدراً كبيراً من اهتمامه ، وكماً كبيراً من تفسيره ، ولقد أشار إلى ذلك فى مقدمة التفسير بقوله :

((ولقد اهتممت فى تفسيرى هذا ببيان وجوه الإعجاز ، ونكت البلاغة العربية ، وأساليب الاستعمال ، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ...))[3]

ويشير فى موضع آخر إلى إعجاز القرآن وأنه بالنظم ، فيقول :

((فقد نسج نظمه نسجاً بالغاً منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظاً ومعنى بما يفى بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم)) [4]

---

(١) أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندى الألوسى البغدادى ينظر فى ترجمته الأعلام ٢٥/١

(٢) هناك علماء كثيرون من المعاصرين الذين تكلموا فى إعجاز القرآن أمثال الأستاذ / سيد قطب والدكتور / محمد عبد الله دراز والشيخ / محمد متولي الشعراوى والدكتورة / عائشة عبد الرحمن وغيرهم وهؤلاء من الذين عاصروا الطاهر ولهم دراسات طيبة وقيمة حول إعجاز القرآن .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٨/١

(٤) السابق المقدمة التاسعة للتفسير ١/ ٩٣

ثم يشير إلى خلاف العلماء حول إعجاز القرآن ، ويظهر متابعته للإمام عبد القاهر وجمهور أهل السنة ، ويعارض المعتزلة فيما ذهبوا إليه من القول بالصَّرفة ، فيقول : ((... وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم فذهبت طائفة قليلة بأن الله صرفهم عن معارضته فسلبهم دواعي المقدرة أو الداعي ، ويعرف هذا القول بالصَّرفة ... وأما الذى عليه جمهرة أهل العلم والتحقيق، واقتصر عليه الأئمة الأشعرية وإمام الحرمين[1] وعليه الجاحظ وأهل العربية فالتعليل لعجز المتحدين به بأنه ((بلوغ القرآن فى درجات البلاغة والفصاحة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله ، وهو الذى نعتمده ونسير عليه ...)) [2]

ولا يكتفى الطاهر بمتابعته لجمهور العلماء فى جهة إعجاز القرآن بل يفصل هذه الجهات مضيفاً إليها جهات أخرى لم يتعرض لها السابقون من العلماء فيقول :

((ونرى ملاك وجوه الإعجاز راجعاً إلى ثلاث جهات :

الجهة الأولى :

بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربى البليغ من حصول كيفيات فى نظمه مفيدة معاني دقيقة ، ونكتاً من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شئ من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم .

الجهة الثانية :

ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف فى نظم الكلام مما لم يكن معهوداً فى أساليب العرب ، ولكن غير خارج عما تسمح به اللغة .

الجهة الثالثة :

ما أودع فيه من المعانى الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر فى عصر نزول القرآن ، وفى عصور بعده متفاوتة[3] ثم يشير إلى إغفال المتكلمين للجهة

---

(١) أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى توفى سنة (٤٧٨) هـ ينظر فى ترجمته البداية والنهاية ١٢/١٤٠ ، ١٤١ ، وضبط الأعلام للأستاذ أحمد تيمور ص٣٣، ٣٤ ط الحلبى ط أولى ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/١٠٣، ١٠٤ باختصار .

(٣) السابق ١/١٠٣، ١٠٤

الثالثة فيقول : ((وهذه الجهة أغفلها المتكلمون فى إعجاز القرآن مثل أبـــى بكــر البـــاقلانى ، والقاضى عياض[١] والقرآن معجز من هذه الجهة " الجهة الثالثة " للبشر قاطبة إعجازاً مســتمراً على مر العصور ...

فأما الجهة الأولى فمرجعها ما يسمى بالطرف الأعلى من البلاغة والفصاحة وهــو المصطلــح على تسميته حد الإعجاز ، وقد وصف أئمة البلاغة والأدب هذين الأمرين بما دُوِّنَ له علمـــا " المعانى والبيان))[٢] وهو فى ذلك يتفق مع من سبقه فى أن نظرية النظم جزء لا ينفصــل مــن علمي المعانى والبيان كما سبق تفصيله ، ولقد أحال الطاهر على كلام أئمــة هــذا الفــن مــن المفسرين والبلاغين ، وذلك بعد أن ذكر الجهات السابقة ثم نقل عن الزمخشــرى ، وصــاحب المفتاح ، والسيد الجرجانى ما يشهد لما ذهب إليه [٣] من صلة علمى المعانى والبيان بإعجــاز القرآن ونظمه .

ويسوق الطاهر من الأمثلة ما يشهد لرأيه ورأى أئمة البلاغة مــن أن الوقــوف علــى النظــم وأسراره يكون من خلال ما دُوِّنَ فى علمى " المعانى والبيان " ومسائلهما ، فيقول :

((فنحن نحاول تفصيل شئ مما أحاط به علمنا من وجوه الإعجاز ، نرى من أفانين البلاغــة " الالتفات " وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها. وهــو بمجرده معدود من الفصاحة ، وسماه ابن جنى " شجاعة العربية " [٤] ؛ لأن ذلك التغيير يجــدد نشاط السامع .. ، وقد جاء منه فى القرآن ما لا يحصى كثرة مع دقة المناسبة فى الانتقــال " [٥]

ويسوق الطاهر بعض الأمثلة من التشبيه والاستعارة والتقديم والتأخير ، فيقول :

((كان للتشبيه والاستعارة عند القوم المكان القصي والقدر العلى فى باب البلاغة ، وبــه فــاق امرؤ القيس ونبهت سمعته ، وقد جاء فى القرآن من التشبيه والإستعــارة ما أعجــز العــرب

---

(١) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي أندلسى الأصل توفى سنة (٥٤٤) هـــ من مؤلفاته الشفا بتعريــف حقــوق المصطفى ، وكمال المعلم : فى شرح صحيح مسلم وغيرها من المؤلفات ينظر فى ترجمته البداية والنهاية ٢٤٢/١٢ ، ٢٤٣

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٠٣/١، ١٠٤ ، ١٠٥ باختصار .

(٣) السابق ١ /١٨ ، ١٩ نقلاً عن الكشاف ١٠٦/١ ، والمفتاح صـــ ٩١

(٤) ينظر الخصائص لابن جنى ٣٦٠/٢ ـ ٤٤١ ط المكتبة العلمية بدون تاريخ (٥) ١٠٧/١

(٥) ١٠٧/١

كقوله : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [١] وقوله : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [٢] ، وقوله : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [٣] ، وقوله : ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [٤] ، وقوله : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [٥] إلى غير ذلك من وجوه البديع)) [٦]

أما عن التقديم والتأخير فيقول :

((وإن للتقديم والتأخير في وضع الجمل وأجزائها في القرآن دقائق عجيبة كثيرة لا يحاط بها وسننبه على ما يلوح منها في مواضعها إن شاء الله ، وإليك مثلاً من ذلك يكون لك عوناً على استجلاء أمثاله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ [٧] إلى قوله : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ [٨] إلى قوله ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ [٩]

فكانا للابتداء بذكر جهنم ما يفسر المفاز في قوله ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ، إنه الجنة لأن الجنة مكان فوزه ، ثم كان قوله ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ ما يحتمل في ضمير (فِيهَا) من قوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أن يعود إلى ﴿ كَأْسًا دِهَاقًا ﴾ وتكون (في) للظرفية المجازية الملابسة أو السببية أي لا يسمعون في ملابسة شرب الكأس ما يعتري شاربيها في الدنيا من اللغو واللجاج وأن يعود إلى مفازاً بتقويله اسم مؤنث وهو الجنة وتكون (في) للظرفية الحقيقة أي لا يسمعون في الجنة كلاماً لا فائدة فيه ولا كلاماً مؤذياً وهذه المعاني لا يأتي جمعها بجمل كثيرة لو لم يقدم ذكر جهنم ولم يعقب بكلمة (مَفَازًا) ولم يؤخر (وَكَأْسًا دِهَاقًا) ولم يعقب بجملة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ ...)) ١/١١٠،١١١

ويسوق الطاهر مثالاً آخر من أسرار النظم استنبطه من أساليب القرآن ، فيقول :

((ومن أساليبه ما أسميه بالتفنن وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض

---

(١) من الآية (٤) من سورة مريم .
(٢) من الآية (٢٤) من سورة الإسراء .
(٣) من الآية (٣٧) من سورة يس .
(٤) من الآية (٤٤) من سورة هود .
(٥) من الآية (١٣٨) من سورة البقرة .
(٦) ينظر التحرير والتنوير ١/١٠٩ .
(٧) الآيتان (٢١،٢٢) من سورة النبأ .
(٨) الآية (٣١) من سورة النبأ .
(٩) الآيتان (٣٤،٣٥) من سورة النبأ .

والتنظير والتذييل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنباً لثقل تكرير الكلم ، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العرب فهو في القرآن كثير[1] ثم الرجوع إلى المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه ومن أبدع أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2]

((... وفي هذا التفنن والتنقل مناسبات بين المتنقل منه والمتنقل إليه هي في منتهى الرقة والبداعة بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله إلا عند حصوله . وذلك التفنن مما يعين على استماع السامعين ويدفع سآمة الإطالة عنهم ... فبلاغة القرآن لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية ، بل تتجاوز إلى الكيفيات التي تؤدى بها التراكيب)) [3]

وكما يتضح ما يتمتع به الطاهر من ذوق وحس يغوص به وراء المعاني وأسرار النظم فحديثه عن التفنن في القرآن ، وما ينطوي عليه من لطائف تمس أوتار القلوب ، وتبعث النشاط في النفس ، وتحرك المشاعر وتدفع السآمة عن المستمعين لمما يدل على إدراكه للطائف النظم وأسراره .

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في بحث الالتفات لأن الطاهر أولاه عناية كبيرة .

(٢) الآيات من (١٧-٢٠) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/١١٥،١١٦،١١٧ باختصار .

يوضح ذلك قوله بعد ذلك :

((فإن سكوت المتكلم البليغ فى جملة سكوتاً خفيفاً قد يفيد من التشويق إلى ما يأتى بعده ما يفيده إبهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيانه ، فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البيانى ، فإن السكوت عند كلمة وتعقيبها بما بعدها يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البيانى وإن لم يكنه عينه ، مثاله قوله تعالى :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ○ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [١] فإن الوقف على قوله "موسى" يحدث فى نفس السامع ترقباً لما يبين حديث موسى ،فإذا جاء بعده ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾حصل البيان مع ما يحصل عند الوقف علي كلمه "موسى " من قرينة من قرائن الكلام لأنه على سجعة الألف مثل قوله "طوًى ، طَغَى ، تَزَكَّى ، ... إلخ)) [٢]

ويلحظ من كلام الطاهر الإشارة إلى الأثر النفسى الذى يتركه الخطاب القرآنى فى نفوس السامعين فكما أن للتقديم والتأخير فى القرآن أسراراً ولطائف ، كذلك للوقوف على بعض الكلمات واستئناف ما بعدها أسرار ولطائف فى الأسلوب القرآنى ، وهو ملحظ دقيق لفت الطاهر الأنظار إليه ولقد أشار الأستاذ / سيد قطب - رحمه الله - إلى شئ من هذا التفنن فى كتابه (التصوير الفنى فى القرآن) حيث ذكر أن التناسق الفنى فى القرآن تتعدد مزاياه ... فتأتى اللفظة لتؤدى معنى السياق وتناسب الإيقاع فى الآية كما فى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ○ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ (النجم : الأيتان "١٩ ، ٢٠") فلو أنك قلت : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة ، لأختلت القافية ولتأثر الإيقاع . ومثل هذا يقع عند زيادة هاء السكت على ياء الكلمة أو ياء المتكلم فى مثل : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ○ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ○ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ○ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (القارعة : الآيات "٨ - ١١")[٣] وسيأتي تفصيل ذلك فى المبحث الاستئناف البيانى .

وإذا انتقلنا إلى سورة البقرة لنرى عناية الطاهر بنظرية النظم وتطبيقها على آيات القرآن نستطيع أن ندرك العناية الكبيرة التى أولاها الطاهر لنظم القرآن وأسراره .

يقول فى قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٤] بعد أن بين معنى كلمة " السورة "

---

(١) الأيتان (١٥،١٦) من سورة النازعات .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/١١٧
(٣) ينظر التصوير الفنى فى القرآن صـ١٠٤ - ١٠٦ باختصار .
(٤) الآية(٢٣) من سورة البقرة .

يقول : ((... وإنما تنزل سور لقرآن فى أغراض مقصودة فلا غنى عن مراعاة الخصوصيات المناسبة لفواتح الكلام وخواتمه بحسب الغرض ، واستيفاء الغرض المسوق له الكلام وصحة التقسيم ، ونكت الإجمال والتفصيل ، وأحكام الانتقال من فن إلى آخر من فنون الغرض ، ومناسبة الاستطراد والاعتراض والخروج والرجوع ، وفصل الجمل ووصلها، والإيجاز والإطناب ، ونحو ذلك مما يرجع إلى نكت مجموع نظم الكلام ، وتلك لا تظهر مطابقتها جلية إلا إذا تم الكلام واستوفى الغرض حقه ، فلا جرم كان لنظم القرآن وحسن سبكه إعجاز يفوت قدرة البشر هو غير الإعجاز الذى لجمله وتراكيبه وفصاحة ألفاظه ...))[١]

ويقول فى قوله تعالى : ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾ [٢]

((الانتقال من غرض إلى غرض فى آى القرآن لا تلزم له قوة ارتباط ؛ لأن القرآن ليس كتاب تدريس يرتب بالتبويب وتفريع المسائل بعضها على بعض ، ولكنه كتاب تذكير وموعظة فهو مجموع ما نزل من الوحى فى هدى الأمة وتشريعها وموعظتها وتعليمها، فقد يجمع فيه الشىء للشئ من غير لزوم ارتباط وتفرع مناسبة ، وربما كفى فى ذلك نزول الغرض الثانى عقب الغرض الأول ، أو تكون الآية مأموراً بإلحاقها بموضع معين من إحدى سور القرآن . كما تقدم فى المقدمة الثامنة ، ولا يخلوا ذلك من مناسبة فى المعانى أو فى انسجام نظم الكلام ..)) [٣]

ويستخلص مما سبق أن الإمام الطاهر يتفق مع جمهور البلاغيين والمحققين من أهل السنة أن إعجاز القرآن إنما كان بنظمه ، وبلوغه الطرف الأعلى من البلاغة ، ويختلف مع القائلين بالصرفة امنكراً عليهم ما ذهبوا إليه ، كما أضاف إلى جهات الإعجاز الجهة الثالثة الخاصة بالإشارات العلمية فى القرآن ،ولقد أغفلها العلماء السابقون ، كما ذكر من أسرار النظم وأساليب ما لم يذكره البلاغيون مثل : " أسلوب التفنن فى القرآن " ، كذلك " سكوت المتكلم البليغ فى جملة سكوتاً خفيفاً .." . غير أن هناك شئ من التحفظ على عبارة الطاهر فى أول كلامه ((أن الإنتقال من غرض إلى غرض فى آى القرآن لا تلزم له قوة ارتباط ...)) فلقد ذكر الإمام البقاعى نقلاً عن الرازى "أن أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط ، وقال القاضى ابن العربى : ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المبانى منتظمة المعانة علم عظيم ...))[٤]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٧/١

(٢) الآية (٢٣٨) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤٦٥/٢

(٤) ينظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ١/ ٦ ، ٧

ولقد تحدث صاحب البرهان عن ارتباط الآى بعضها ببعض فى علم المناسبة وذكر أن الآيات التى لا يظهر فيها الارتباط ، وتبدو أن كل جملة مستقلة عن الأخرى لابد أن تكون بينها جهة جامعة ، وهذا الارتباط إما أن يكون بالعطف كقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة : الآية "٢٤٥") وإما ألا يكون بالعطف ولابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام ، وهى قرائن معنوية مؤذنة بالربط ؛ والأول مزج لفظى ، وهذا مزج معنوى، تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثانى وله أسباب أحدها : التنظير فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ .. ﴾ (الأنفال : الآية "٥") عقب قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال : الآية "٤")[1]

وننتقل إلى علم المعانى ومسائله فى تفسير الطاهر ، وأمهد لهذا المبحث بما ذكره البلاغيون قبله حتى يتسنى لنا أن نقف على الروافد التى أمدته بآرائه ومدى إفادته منها.

تعريف علم المعانى :

عرف الخطيب علم المعانى بقوله : "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال " [2]

وعرفه سعد الدين التفتازانى ت(٧٩١) هـ بتعريف قريب من تعريف صاحب الإيضاح، فقال : ((.. ثم الأوضح فى تعريف علم المعانى أنه علم يعرف به كيفية تطبيق الكلام العربى لمقتضى الحال)) [3]

وتعريف الخطيب هو التعريف الذى اشتهر فى كتب البلاغيين وحاز قبولهم ، ومن خلال تعريفه يلاحظ أن " علم المعانى يبحث فى أحوال اللفظ مثل : التعريف والتنكير والذكر والحذف والإظهار والإضمار وغير ذلك ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة فى الكلام موقعاً تطابق دواعى النفس ؟ ولم تأت زائدة ثقيلة ، ولا متكلفة كريهة وهذه الأحوال التى نسميها الخصائص أو الكيفيات أو الهيئات " [4]

---

(١) ينظر البرهان ١ / ٤٠ – ٥٠ باختصار .

(٢) ينظر الإيضاح للقزوينى ١/٢٧،٢٨– تحقيق أ / عبد المتعال الصعيدى – ط مكتبة الآداب (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م) .

(٣) ينظر المطول للتفتازانى صـ ٣٦،٣٧ – ط المكتبة الأزهرية – (١٣٣٠) هـ .

(٤) ينظر خصائص التراكيب للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى صـ ٧٥ ط مكتبة وهبة ط خامسة (١٤٢١ هـ–٢٠٠٠ م)

وإذا انتقلنا إلى الإمام الطاهر نراه لم يذكر تعريفاً اصطلاحياً لعلمى المعانى والبيان ، ولكن أشار إلى حاجة المفسر للوقوف على هذين العلمين فقال :

((ولعلمى المعانى والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية ، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعانى وإظهار وجه الإعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان فى القديم " علم دلائل الإعجاز))[1]

ثم نقل عن صاحب الكشاف ، وصاحب المفتاح ، والإمام عبد القاهر ما يشهد لكلامه [2]

وفيما يبدوا أن الطاهر لا يختلف مع البلاغيين فى تعريف علم المعانى ، والدليل على ذلك ما ذكره عند حديثه عن جهات إعجاز القرآن (الجهة الأولى) والتى قال فيها :

((وهذه الجهة مرجعها إلى ما يسمى بالطرف الأعلى من البلاغة والفصاحة وقد وصف أئمة البلاغة والأدب هذين الأمرين بما دُوِّنَ له علماً المعانى والبيان)) [3]

وفى موضع آخر يقول :

((ومما يجب التنبيه له أن مراعاة المقام فى أن ينظم الكلام على خصوصيات بلاغية هى مراعاة من مقومات البلاغة وخاصة فى إعجاز القرآن)) [4]

وفى موضع آخر يقول :

((إن بلاغة الكلام لا تنحصر فى أحوال تراكيبه اللفظية بل تتجاوز إلى الكيفيات التى تؤدى بها التراكيب))[5]

فمن خلال كلامة عن الجهة الأولى من جهات الإعجاز ، وحاجة المفسر إلى علمى المعانى والبيان ، وما ذكره عن مراعاة الكلام فى أن ينظم الكلام على خصوصيات بلاغية ، كذلك ما نقله عن صاحب الكشاف ، وصاحب المفتاح ، والإمام عبد القاهر من خلال ذلك يُسْتَنْتَج أن الطاهر لا يختلف مع البلاغين فى تعريفهم لعلم المعانى .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٩/١

(٢) ينظر الكشاف ٤٣/١، ودلائل الإعجاز صـ ٣٠٥ والمفتاح صـ ٩١

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١٠٥/١، ١٠٦ باختصار .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١١١/١

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١١٧/١ باختصار .

المبحث الثانى

الإسناد الخبرى
وأسراره البلاغية
فـــى تفسيـــر
" التحرير والتنويـــر "
(سورة البقـــرة)

مباحث علم المعانى
فى تفسير الطاهر

حصر البلاغيون مسائل علم المعانى فى ثمانية مباحث :

- الأول : أحوال الإسناد الخبرى .
- الثانى : أحوال المسند إليه .
- الثالث : أحوال المسند .
- الرابع : أحوال متعلقات الفعل .
- الخامس : القصر .
- السادس : الإنشاء .
- السابع : الفصل والوصل .
- الثامن : الإيجاز والإطناب والمساواة .

وكل مبحث منها سأمهد له بكلام البلاغيين حوله ، وذلك من خلال الجزئيات التى تناولها الطاهر فى تفسيره فلا أتعرض لكل ما قاله البلاغيون[١] بل أذكر منها ما ذكره الطاهر ، وذلك لمعرفة ما أضافه الطاهر من جهود بلاغية ، والكشف عن طريقته فى إظهار مزايا النظم القرآني ، ومدى إفادته مما قاله البلاغيون قبله .

---

(١) وذلك قصداً للاختصار فيما لا يحتاج البحث إليه فضلاً عن أن الطاهر لم يتعرض له فى تفسيره لسورة البقرة موضوع البحث .

المبحث الثاني

الإسناد الخبري وأسراره في تفسير الطاهر

قسم البلاغيون البحث في أحوال الإسناد الخبري إلى :

أولاً : أغراض الخبر — ثانياً : أضرب الخبر

ثالثاً : التجوز في الإسناد

أولاً أغراض الخبر

قال الخطيب : ((... من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك : " زيد قائم " لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى ذلك " فائدة الخبر " وإما كون المخبر عالماً بالحكم كقولك لمن زيد عنده . ولا يعلم أنك تعلم ذلك : " زيد عندك " ويسمى هذا : " لازم الفائدة))(١)

((والبلاغيون حين ذكروا هذين الغرضين رأوا أن الخبر الذى ينطق بالجملة يهدف إلى أهداف عديدة بتعدد المثيرات التى تدفعه إلى القول وتحثه عليه والمثيرات التى تحثه على القول لا يتصدى عاقل إلى حصرها فقد يكون منها الرغبة فى إثارة انفعال مشابه لدى القارئ فتتحقق المشاركة النفسية والوجدانية وقد يكون غرض الأديب هو الأدب نفسه))(٢)

ولقد نبه البلاغيون إلى أن الخبر غالباً ما يقصد به أغراضاً تتجاوز الفائدة ولازمها ، وفى ذلك يقول سعد الدين : ((كثيراً ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخرى سوى إفادة المخاطب الحكم أو لازمه كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ... ﴾(٣) إظهاراً للتحسر على خيبة رجائها ، وعكس تقديرها وقوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ... ﴾(٤) إظهاراً للضعف والتخشع ، وقوله تعالى : ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾(٥) اذكاراً لما بينهما من التفاوت العظيم ليأنف القاعد ، ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته ، وأمثال هذا أكثر من أن يحصى))(٦)

---

(١) الإيضاح ٣٣/١

(٢) خصائص التراكيب صـ٧٨، ٧٩ بتصرف .

(٣) من الآية (٣٦) من سورة آل عمران .

(٤) من الآية (٤) من سورة مريم .

(٥) من الآية (٩٥) من سورة النساء .

(٦) المطول صـ ٤٣ باختصار .

أما عن الإمام الطاهر فلم يولِ اهتماماً كبيراً للفائدة ولازمها بقدر ما أولاه لخروج الخبر عن مقتضى الظاهر فى أضرب الخبر ، وهو فى ذلك يتفق مع البلاغيين أن وراء الفائدة ولازمها أغراض يقتضيها المقام ، ويدعوا إليها الحال ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[١]

((وقول الملائكة ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ خبر مراد منه الاعتراف بالعجز لا الإخبار عن حالهم ؛ لأنهم يوقنون أن الله يعلم ما تضمنه كلامهم . ولا أنهم قصدوا لازم الفائدة ، وهى أن المخبر عالم بالخبر ، فتعين أن الخبر مستعمل فى الاعتراف . ثم إن كلامهم هذا يدل على أن علومهم محدودة غير قابلة للزيادة فهى مقصورة على ما ألهمهم الله تعالى وما يأمرهم فللملائكة علم قبول المعانى لا علم استنباطها)) [٢]

وما ذكره الطاهر قد أشار إليه البيضاوى فى تفسيره [٣] ، والشهاب الخفاجى وشيخ زاده فى حاشيتها على البيضاوى [٤] يقول الشهاب :

((قوله تعالى : ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إشارة إلى أن الكلام ملقى لعالم بفائدة الخبر ولازمها فلابد من أن يقصد بعض لوازمه وهو هنا اعتراف بعجزهم وقصورهم إلا بتوفيق منه ...)) [٥]

وفى موضع آخر ينبه الطاهر إلى أن الغرض من الخبر قد يكون الفائدة ولازمها ، ويكون مقصوداً فى القرآن ، يقول فى قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ...﴾ [٦] :

((وقوله ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ حال لازمة ويجوز اقترانها بالواو ولك أن تجعلها جملة ثانية معطوفة على جملة ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ إلا أن الخبر بهذا لما كان معلوماً للمخاطبين تعين أن يكون المراد من الإخبار لازم الفائدة أعنى كتبناه عليكم ونحن عالمون أنه شاق عليكم ، وربما رجح

---

(١) الآية (٣٢) سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٤١٤

(٣) ينظر أنوار التنزيل للبيضاوى ٢/١٩٥ ط دار الكتب العلمية ط أولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

(٤) ينظر حاشية محيى الدين شيخ زاده على البيضاوى ١/٢٥١ دار صادر – بيروت . بدون تاريخ .

(٥) ينظر حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٢/١٩٦ ط دار الكتب العلمية ط أولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧ م

(٦) من الآية (٢١٦) من سورة البقرة .

هذا الوجه بقوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١] [٢] وكما يلاحظ أن كلام الطاهر حول أغراض الخبر لا يختلف عما ذكره البلاغيون قبله ، وهو لم يقف عند أغراض الخبر فى تفسيره لسورة البقرة إلا فى مواضع قليلة ، هذان الموضعان أشهرها .

ثانياً : أضرب الخبر:

بحث البلاغيون هذا النوع من حيث التوكيد وخلافه .

أ - فإذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفى الخبر على الآخر والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم ، كقولك : " جاء زيد " ، و " عمرو ذاهب " فيتمكن فى ذهنه لمصادفته إياه خالياً ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائياً .

ب- وإن كان المخاطب متصوراً لطرفيه متردداً فى إسناد أحدهما إلى الآخر طالباً له حَسُنَ تقويته بمؤكد كقولك : " لزيدٌ عارفٌ " أو " إن زيداً عارفٌ " ، ويسمى هذا النوع طلبياً .

وقد لحظ بعض البلاغيين أن وجود التردد فى النفس يقتضى هذا الضرب من الصياغة المؤكدة ، ولو كان الخبر على وفق ظن المخاطب فأنت تقول : " إنه صواب للمتردد الذى يميل إلى أنه صواب ، وليس فقط للمتردد الذى يميل إلى أنه ليس بصواب " [٣]

جـ- أما إن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده حسب الإنكار فيؤتى له بمؤكد واحد أو أثنين أو ثلاثة حسب الإنكار ، وذلك نحو قوله تعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ○إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ○ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ○ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ○ ﴾ [٤]

---

(١) الآية (٢١٦) من سورة البقرة .

(٢) ينظر تفسير التحرير والتنوير ٣١٩/٢ ، ٣٢٠ .

(٣) ينظر خصائص التراكيب صـ ٤٨

(٤) الآيات من (١٣-١٦) من سورة يس .

حيث قال في المرة الأولى :

﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ ، وفي الثانية ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ .

فأكد في الأولى بإن وإسمية الجملة ، وفي الثانية بهما وبالقسم واللام لأنهم بالغوا في الإنكار فقالوا : ﴿ ما أنتم إلاّ بشرٌ مِّثْلُنا... ﴾ ويسمى هذا النوع إنكارياً[١]

• **خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر :**

قد يجرى الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب أى أن المتكلم لا يعتد بهذا الواقع في صياغته ، وإنما يجرى على أمور اعتبارية تنزيلية يلحظها هو ، ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته على مقتضاها ، وذلك موطن دقيق لا يهتدى إلى مواقعه الشريفة إلا ذكى النفس دقيق الحس واسع الخيال . [٢]

أ - فينزل غير السائل منزلة السائل إذا قُدّم إليه ما يلوح له بحكم الخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب كقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [٣] وهذه الآية الكريمة تلوح باستحقاقهم للعذاب.

ب - تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شئ من أمارات الإنكار ، كقول الشاعر :

جاء شقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ ... إن بنى عمك فيهم رماح[٤]

وقوله : "عارضاً رمحه" معناه : أنه وضعه على عَرْضه بأن جعله على فخذيه بحيث يكون عرضه إلى جهتهم ، وكان هذا من أمارة عدم التصدى للحرب - فإن مجيئه هكذا مُدلاً بشجاعته قد وضع رمحه عرضاً دليل على إعجاب شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم من بنى عمه أحد كأنهم كلهم عُزل ليس مع أحد منهم رمح " [٥]

جـ - تنزيل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن إنكاره كما فى قوله تعالى : ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ [٦] فمعناه أن القرآن ليس محل شك ، وهذا ينكره المخاطبون من

---

(١) ينظر بغية الإيضاح ٣٦،٣٥/١

(٢) ينظر خصائص التراكيب صـ ٥١

(٣) من الآية (٣٧) من سورة هود .

(٤) البيت لحجل بن نضلة الباهلى ينظر بغية الإيضاح ٣٨/١

(٥) ينظر الإيضاح ٣٨/١

(٦) من الآية (٢) من سورة البقرة .

الكفار فكان حقه فى الظاهر التأكيد ، ولكنهم نزلوا منزلة غير المنكر فترك التأكيد لهم "[١]
وهناك ضروب أخرى لا ينظر فيها إلى حال المخاطب ، وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه ومدى انفعاله بهذه الحقائق ، وحرصه على إذاعتها وتقريرها فى النفوس كما أحسها مقررةً أكيدةً فى نفسه ، ومن هذه الضروب فى القرآن قوله تعالى - حكاية عن ضراعة إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [٢] وقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [٣] « وواضح أن هذا التأكيد ينظر فيه إلى حال النفس الراجية ويدل على مدى انفعالها بهذا الرجاء وتأكيدها لهذا الدعاء»[٤]

أما عن الإمام الطاهر فلم يعطى اهتماماً كبيراً لأضرب الخبر الثلاثة (الابتدائي ، والطلبي ، والإنكاري) ولكن بدا اهتمامه واضحاً جلياً ببحث خروج الخبر عن مقتضى الظاهر وكما مضى أن هذا الموطن دقيق ولا يهتدى إلى مواقعه إلا ذكى النفس واسع الخيال فعن أضرب الخبر الثلاثة (الابتدائي ، والطلبي ، والإنكاري) يقول فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ... ﴾ [٥]

« فتأكيد الجملة بـ (إنَّ) لأن المخاطبين مترددون فى كونهما من شعائر الله وهم أميل إلى اعتقاد أن السعى بينهما من أحوال الجاهلية » [٦]

وتحليل الطاهر للآية يشير إلى الضرب الثانى من أضرب الخبر وهو الضرب الطلبى الذى يكون فيه المخاطب متردداً فى إسناد أحد الطرفين إلى الآخر ويحسن تقويته بمؤكد كما تقدم [٧]

---

(١) ينظر الإيضاح ٣٨/١

(٢) من الآية (٣٧) من سورة إبراهيم .

(٣) الآية (٣٨) من سورة إبراهيم .

(٤) ينظر خصائص التراكيب صـ ٥٩

(٥) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٦٠/٢

(٧) ينظر الإيضاح ٣٥/١

وعن الضرب الثالث من أضرب الخبر ، يقول في قوله تعالى :
﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١)

« وقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ خطاب للرسول ﷺ تنويها بشأنه ، وتثبيتا لقلبه وتعريضـا بالمنكرين لرسالته . وتأكيد الجملة بـ " إن " للاهتمام بهذا الخبر وجئ بقوله : "من المرسلين " دون أن يقول " وإنك لرسول الله " للرد على المنكرين بتذكيرهم أنه ما كان بدعا من الرسل وأنه أرسله كما أرسل من قبله وليس في حاله ما ينقص عن حالهم »(٢)

ويلاحظ أن الطاهر في تحليله للآية قد أشار إلى أكثر من وجه من وجوه الجمال ، فـالتعريض سر من أسرار الكناية ، والتأكيد له دلالته وأثرة على نوع الخبر من حيث دفع الإنكار ودحضه

أما عن خروج الخبر عن مقتضى الظاهر :

فلقد أولاه الطاهر عناية كبيرة في تفسيره ، وذكر أسراراً جديدة ، وأغراض مبتكرة قد أغفلـها كثيرًا من البلاغيين قبله إضافة إلى ما قرروه من الأغراض التي يخرج إليها الكلام عن مقتضى الظاهر .

يقول في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوَاْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَـالُواْ إِنَّـا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ (٣)

« في خطابهم للذين آمنوا لم يأتوا بما يحقق الخبر من تأكيد ، وفي خطابهم لشـياطينهم قـالوا " إنا معكم " مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك ؛ لأن المؤمنين يشـكون فـي إيمان المنافقين ، وقومهم لا يشكون في بقائهم على دينهم ، فجاءت حكايـة كلامـهم الموافقـة لمدلولاته على خلاف مقتضى الظاهر لمراعاة ما هو أقدر بعناية البليغ من مقتضى الظـاهر ، فخلوا خطابهم مع المؤمنين عما يفيد تأكيد الخبر لأنهم لا يريدون أن يعرضـوا أنفسهم فـي

---

(١) الآية (٢٥٢) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٥٠٣/٢

(٣) الآية (١٤) من سورة البقرة .

معرض من يتطرق إلى ساحته الشك فى صدقه لأنهم إذا فعلوا ذلك فقد أيقظوهم إلى الشك ؛ وذلك من إتقان نفاقهم على أنه قد يكون المؤمنون أخلياء الذهن من الشك فى المنافقين لعدم تعينهم عندهم فيكون تجريد الخبر عن المؤكدات مقتضى الظاهر .

وأما قولهم لقومهم " إِنَّا مَعَكُمْ " بالتأكيد فذلك لأنه لما بدا من إبداعهم فى النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم فى البقاء على الكفر وتطرق به التهمة أبواب قلوبهم احتاجوا إلى ما يدل على أنهم باقون على دينهم .

وكذا قولهم " إنما نحن مستهزئون " فقد أبدوا به وجه ما أظهروه للمؤمنين وجاءوا بصيغة قصر القلب لرد اعتقاد شياطينهم فيهم إن ما أظهروه للمؤمنين حقيقة وإيمان صادق))[١]

وكما يبدوا من تحليل الطاهر أنه يرى أن الآية يحتمل أن يكون التأكيد فيها [٢] من باب خروج الخبر عن مقتضى الظاهر ، كما يحتمل أن يكون كلامهم مع المؤمنين الخالى من التأكيد على مقتضى الظاهر لأن المؤمنين أخلياء الذهن من الشك فى المنافقين ، وعلى كلا الوجهين فالطاهر بتحليله الممتع للآية قد أظهر الأثر النفسي للقرآن الكريم من خلال البلاغة ولقد عقد الإمام عبد القاهر باباً فى آخر كتابه "دلائل الإعجاز" لإدراك البلاغة بالذوق وإحساس النفس [٣] ((وهذا يؤكد ما ذكره الرافعى عن النسق القرآنى أنه اجتمع فيه الصفات الثلاث : البيان ، والعقل والشعور))[٤] وهذا هو المنهج السديد الذى يجب أن تسير عليه البلاغة القرآنية بدلاً من الدراسة الجافة التى وضعت البلاغة العربية فى إطار من القواعد الاصطلاحية ، والطاهر من هؤلاء الذين أسهموا فى تفعيل البلاغة وربطها بالمشاعر الإنسانية من خلال القرآن الكريم.

هذا ولقد وجه صاحب الكشاف خطاب المنافقين مع المؤمنين توجيهاً آخر ((مبيناً أنهم تركوا تأكيد خطابهم للمؤمنين لعدم رواج نفاقهم على المؤمنين لعلمهم أن تأكيده عبث لا يروج عند السامع وأما مخاطبتهم لشياطينهم فقد أتوا بالخبر فيها مؤكداً لإفادة اهتمامهم بذكر الخبر وصدق

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٩٢،٢٩١/١ بتصرف يسير .

(٢) أى تأكيد المنافقين كلامهم لشياطينهم .

(٣) ينظر دلائل الإعجاز صـ ٥٤٦ - ٥٥٧

(٤) ينظر إعجاز القرآن للرافعى صـ ٢٢٦

رغبتهم فى النطق به ولعلمهم أن ذلك رائج عند المخاطبين ، ولعلمهم أن ذلك رائج عند المخاطبين فإن التأكيد قد يكون لاعتناء المتكلم بالخبر ورواجه عند السامع أى فهو تأكيد للاهتمام لا لرد الإنكار)) [١]

وكما يبدو اختلاف الطاهر مع صاحب الكشاف فيما يتعلق بسر خلو كلام المنافقين من التأكيد مع المؤمنين ، فالطاهر يرى السر فى ذلك حتى لا يتطرق إلى ساحتهم الشك أو أن المؤمنين لا يشكون فيه ، وصاحب الكشاف يرى أن ترك التأكيد لأن نفاقهم لا يروج على المؤمنين ، وفى تصورى أن كلا التحليلين لا يأباهما السياق ، وتحليل كل من صاحب الكشاف والطاهر للسياق يؤكد ما سبق ذكره من أن البلاغة القرآنية لم تغفل الجانب النفسى على حد تعبير الرافعى عن النسق القرآنى بأنه نسق يجتمع فيه البيان والعقل والشعور !

ويقول فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [٢]

((وقد تكون " إن " هنا لرد الشك تخريجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأن حرص النبى ﷺ على هداية الكافرين تجعله لا يقطع الرجاء فى نفع الإنذار لهم وحاله كحال من شك فى نفع الإنذار ؛ أو لأن السامعين لما أجرى على الكتاب من الثناء ببلوغه الدرجة القصوى فى الهداية يطمعهم أن تؤثر هدايته فى الكافرين المعرضين ، وتجعلهم كالذين يشكون فى أن يكون الإنذار وعدمه سواء فأخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ونزل غير الشاك منزلة الشاك ...)) [٣]

ويشير إلى سر آخر من أسرار خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فيقول فى قوله تعالى:

﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [٤]

((وقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ إن لمجرد الاهتمام بالخبر لأن العداوة بين الشيطان والناس معلومة متقررة عند المؤمنين والمشركين وقد كانوا فى الحج يرمون الجمارويعتقدون أنهم

(١) ينظر الكشاف ١٠٣/١،١٠٤ باختصار .

(٢) الآية (٦) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٧/١،٢٤٨ باختصار .

(٤) الآية (١٦٨) من سورة البقرة .

يرجمون الشيطان ، أو تجعل " إن " للتأكيد (بتنزيل غير المتردد في الحكم منزلة المـــتردد أو المنكر) لأنهم لاتباعهم الإشارات الشيطانية بمنزلة من ينكر عداوته ...))[١]

ويشير إلى خروج الخبر عن مقتضى الظاهر بتنزيل المنكر منزلة غير المنكر ، فيقول في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [٢]

((والوقوف على قوله (فيه) ، فيه معنى نفي وقوع الريب في الكتاب على هذا الوجه نفي الشك في أنه منزل من الله تعالى لأن المقصود خطاب المرتابين في صدق نســبته إلــى الله تعـالى وسيجئ خطابهم بقوله :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّــن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٣] فارتيابهم واقع مشتهر ، ولكن نزل ارتيابهم منزلة العــدم لأن فـي دلائل الأحوال ما لو تأملوه لزال ارتيابهم فنزل ذلك الارتياب مع دلائل بطلانه منزلة العــدم .

قال صاحب المفتاح :

" ويقلبون القضية [٤] مع المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع فيقولون لمنكر الإسلام " الإسلام حق " وقوله عز وجل في حق القرآن : ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ – وكم من شقي مرتـاب فيــه ـ وارد على ذا " [٥] فيكون المركب الدال على النفي المؤكد للريب مستعملاً في معنى عــدم الاعتـداد بالريب لمشابهة حال المرتاب في وهن ريبه بحال من ليـس بمرتـاب أصـلاً علـى طريـق التمثيل))[٦]

وكما يبدوا اتفاق الطاهر مع البلاغين حول سر خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في الآيـــة ، وهو تنزيل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار [٧] ، ولقد نقـل عن صاحب المفتاح ما يشهد لكلامه حول الآية وما قرره الطاهر حول الآية قد سبقه بالإشارة

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٠٤/٢ باختصار .

(٢) من الآية (٢) من سورة البقرة .

(٣) من الآية (٢٣) من سورة البقرة .

(٤) أي قضية تأكيد الخبر الموجه إلى منكر مضمونه.

(٥) ينظر المفتاح صـــ٩٨

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٢٢٣/١

(٧) ينظر الإيضاح ٣٨/١

إليه بعض المفسرين[1] بيد أن الطاهر قد أشار إلى أسرار أخرى لخروج الخبر عن مقتضى الظاهر ، وهى تختلف عن الأسرار التى حددها البلاغيون وسبق ذكرها .

من هذه المواضع ما ذكره فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[2]

يقول : « ... والذى أراه أحسن الوجوه فى معنى " وكان من الكافرين " أن مقتضى الظاهر أن يقول " وكفر " كما قال "أبى واستكبر " فعدل عن مقتضى الظاهر إلى "وكان من الكافرين" لدلالة كان فى مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر فى اسمها ، والمعنى أبى واستكبر وكفر كفراً عميقاً فى نفسه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[3] ... وأما الإتيان بخبر كان " من الكافرين " دون أن يقول : ﴿ وكان كافرا ﴾ فلأن إثبات الوصف لموصوف بعنوان كون الموصوف واحدا من جماعة تثبت لهم ذلك الوصف أدل على شدة تمكن الوصف منه مما لو أثبت له الوصف وحده بناء على أن الواحد يزداد تمسكاً بفعله إذا كان قد شاركه فيه جماعة لأنه بمقدار ما يرى من كثرة المتلبسين بمثل فعله تبعد نفسه عن التردد فى سداد عملها ، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[4] وهو دليل كنائى واستعمال بلاغى جرى عليه نظم الآية وإن لم يكن يومئذ جمع من الكافرين بل كان إبليس وحيداً فى الكفر . **وهذا منزع انتزعته من تتبع موارد مثل هذا التركيب فى هاتين الخصوصيتين خصوصية زيادة " كان " وخصوصية إثبات الوصف لموصوف بعنوان أنه واحد من جماعة موصوفين به** ... وفى هذا العدول عن مقتضى الظاهر مراعاة لما تقتضيه حروف الفاصلة أيضا .

وقد رتبت الأخبار الثلاثة فى الذكر على حسب ترتيب مفهوماتها فى الوجود ، وذلك هو الأصل فى الإنشاء أن يكون ترتيب الكلام مطابقا لترتيب مدلولات جمله كقوله تعالى :

---

(١) منهم الشهاب الخفاجى فى حاشيته على البيضاوى ٢٨٩/١ ، والجمل فى حاشيته على الجلالين ١١/١ وابن عطية فى المحرر الوجيز ١٤٣/١ ، والألوسى فى روح المعانى ١٠٦/١

(٢) الآية (٣٤) من سورة البقرة .

(٣) من الآية (٨٣) من سورة الأعراف .

(٤) من الآية (٢٧) من سورة النمل .

﴿ ولَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [1] وقد أشـــرت إلى ذلك في كتابي ((أصول الإنشاء والخطابة)) [2]

ويتضح من تحليل الطاهر للآية أن السر في خروج الخبر عن مقتضى الظاهر هو دلالة (كـان) في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر اسمها ، وهذا المنزع انتزعه من خـلال تتبـع مثل هذا التركيب فهو يرى أن زيادة (كان) في الآية لها خصوصية إثبات وصف الكفر لإبليس على أتم وجه من وجوه الإثبات حيث ألحقه بجامعة من الكافرين على مثل صفته ونحلته . وهذا التحليل الدقيق لم يسبق حيث ألحقه بجماعة من الكافرين على مثل صفته ونحلته . وهذا التحليل الدقيق لم يسبق إليه الطاهر فيما أعلم . أما فيما يتعلق بـ (كان) ودلالتها على رســوخ معنـى الخبر في اسمها فلقد أشار الفيروزابادى إلى قريب مما ذكره الطاهر فقال : ((كان من الأفعـال الناقصة يعبر بها عن الزمن الماضي ، وفي كثيرٍ من وصف الله تعالى ينبئ عن الأزلية ومـا استعمل منه في جنس الشئ متعلقا بوصف له هو موجود فيه فينبيه أن ذلك الوصف لازم لــه ، قليل الإنفكاك عنه نحو قوله تعالى في الإنسان : ﴿ وَكَانَ الإِنسَـــانُ كَفُـورًا ﴾ (الإســراء : الآية "٦٧") ... وكان التامة تكون بمعنى ثبت . وثبوت كل شئ بحسبه فمنه الأزلية : كان الله ولا شئ معه ...)) [3] وبهذا يتضح أن جهد الطاهر يتمثل في التحديد الدقيق لدلالة (كان) في مثل هذا الاستعمال ويشير إلى سر آخر من هذه الأسرار ، فيقول في قوله تعالى :

﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّــــهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [4]

((... وإظهار اسم الجلالة هنا مع أن مقتضى الظاهر أن يقال : " فإنه شديد عقابـــه " لإدخـال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة ، ولتكون هذه الجملة كالكلام الجامع مستقلاً بنفسه لأنها بمنزلة المثل أمر قد علمه الناس من قبل ...)) [5]

---

(١) الآية (٧٧) من سورة هود .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٤٢٦/١، ٤٢٧ باختصار .

(٣) ينظر بصائرذوي التمييز ٣٩٣/٤ ، ٣٩٤ باختصار ، ومعترك الأقران للسيوطي ٢ / ٢٤٥ ، اللسان مادة "كون" ٥ / ٣٩٦١

(٤) الآية (٢١١) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٢٩٣/٢ باختصار .

وكما أشار الطاهر إلى خروج الخبر عن مقتضى الظاهر أشار إلى مثل ذلك فى ترتيب الجمل ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[1]

((إفضاء إلى المقصود وهو الأمر بالصدقات بعد أن قدم بين يديه مواعظ وترغيب وتحذير ، **وهى طريقة بلاغية فى الخطابة والخطاب . فربما قدموا المطلوب ثم جاءوا بما يكسبه قبولاً عند السامعين وربما قدموا ما يكسبه القبول قبل المقصود كما هنا . وهذا من ارتكاب خلاف مقتضى الظاهر فى ترتيب الجمل** . ونكتة ذلك أنه قد شاع بين الناس الترغيب فى الصدقة وتكرر ذلك فى القرآن فصار غرضاً دينياً مشهوراً وكان الاهتمام بإيضاحه والترغيب فى أحواله والتنفير من نقائصه أجدر بالبيان " [2]

ويقول فى قوله تعالى :

﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[3]

((بيان لقوله : ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ بياناً ثانياً لكيفية حسبانهم أغنياء فى أنهم لا يسألون الناس وكان مقتضى الظاهر تقديمه على الذى قبله إلا أنه أخر للاهتمام بما سبقه من الحث على توسم احتياجهم بأنهم محصرون لا يستطيعون ضرباً فى الأرض لأنه المقصود من سياق الكلام)) [4]

ومن خلال ما سبق يتضح ما أضافه الطاهر إلى أسرار خروج الخبر عن مقتضى الظاهر ، كذلك ما ذكره عن مخالفة الظاهر فى ترتيب الجمل ، وتقديم بعض أجزائها على بعض لنكات بلاغية ، وما سبق ذكره بعض المواضع من سورة البقرة ، وهناك مواضع أخرى لا تختلف فى تحليلها عما سبق [5] .

---

(١) الآية (٢٦٧) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣/٥٥

(٣) من الآية (٢٧٣) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣/٧٦

(٥) من هذه المواضع الآيات (٣٠)،(٦١)،(٩٣)،(١٦٣)،(٢٠٩)،(٢١٧)

التوكيد وأدواته وأساليبه :

بحث التوكيد من أهم المباحث التي شغلت البلاغين ، " وجمهور العلماء على وقوعه في القرآن والسنة " [١]

وعن مكانته البلاغيه يقول صاحب الطراز :

((وليس يخفى موقعه البليغ ولا علو مكانه الرفيع ، وكم من كلام هو عن التحقيق طريد حتى يخالطه صفو التأكيد ، فعند ذلك يصير قلادة في الجيد ، وقاعدة للتجويد ...))[٢] ولقد ذكر البلاغيون للتوكيد أدوات كثيرة ، وبينوا أنها تتكاثر على الجمل تبعاً للإنكار وعدمه كما سبق في أضرب الخبر الثلاثة " الابتدائي ، والطلبي ، والإنكاري " ، وقد ذكر البلاغيون للتوكيد أدوات كثيرة منها " إن ، والقسم ، ونونا التوكيد ، ولام الابتداء ، وأما الشرطية ، وحروف التنبيه ، وضمير الفصل ، وقد ، وأدوات الاستفتاح ، وكأن في التشبيه ، ولكن في الاستدراك ، وليت في تأكيد التمني ، ولعل في تأكيد الترجي ، وضمير الشأن ، والسين وسوف ، ولن ولما في تأكيد النفي ..." [٣]

ولقد كان للطاهر جهود طيبة حول بحث التوكيد حيث أشار إلى بعض هذه الأدوات في عدة مواضع من سورة البقرة مبيناً أثرها في الأساليب .

فعن التوكيد بـ" إن " يقول في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤]

((وتصدير الجملة بحرف التأكيد إما لمجرد الاهتمام بالخبر وغرابته دون رد الإنكار أو الشك، ، لأن الخطاب للنبي ﷺ وللأمة وهو خطاب أنف بحيث لم يسبق شك في وقوعه، ومجئ " إن " للاهتمام كثير في الكلام وهو في القرآن كثير)) [٥] [٦]

---

(١) ينظر البرهان ٢/٣٨٤

(٢) ينظر الطراز صـ ٢٨٧

(٣) ينظر البرهان ٢ / ٤٠٥ . ٤٢٢ ، والإتقان ٣/١٧٣ ، ١٧٤ ، والإيضاح ١/٣٥

(٤) الآية (٦) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٤٧

(٦) ذكر الطاهر مواضع كثيرة للتأكيد بـ إن وهي لا تختلف في أسرارها ومنهج تحليلها عما سبق ومنها الآيات (١٤)،(٦٢)،(٦٧)

((مما تجدر الإشارة إليه أن " إنَّ " من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف ، والبناء على الفتح ، ولزوم الأسماء ، ودخول نون الوقاية عليها كأني ولعلني ونظائرهما ، وأثرها تأكيد التشبيه وتحقيقه ؛ ولذلك يتلقى بها القسم ، ويصدر بها الأجوبة ، ويؤتى بها في مواقع " الشك والإنكار لرفعهُ ورده)) [١]

ويقول أبو حيان : (((إنَّ) يتشبث بالجملة المتضمنة الإسناد الخبري فينتصب المسند إليه ويرتفع المسند وجوباً عند الجمهور)) [٢]

وعن التأكيد بـ (ألا) و (إنَّ) و (ضمير الفصل) يقول في قوله تعالى:

﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [٣]

((وحرف " ألا " للتنبيه إعلاناً لوصفهم بالإفساد . وقد أكد قصر الفساد عليهم بضمير الفصل أيضاً كما أكد به القصر في قولة " وأولئك هم المفلحون " ودخول " إنّ " على الجملة وقرنها بـ (ألا) المفيدة للتنبيه وذلك من الاهتمام بالخبر وتقويته دلالةً على سخط الله تعالى عليهم فإن أدوات الاستفتاح مثل :

(ألا) و (أما) لما كان شأنها أن ينبه بها السامعون دلت على الاهتمام بالخبر وإشاعته وإعلانه ...)) [٤]

وكلام الطاهر حول أدوات التوكيد في الآية يتفق مع ما ذكره المفسرون قبله [٥]

وعن التأكيد بـ (السين والتاء) يقول في قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(الآية (٨٩) من سورة البقرة)

((والاستفتاح طلب الفتح ، فالسين والتاء لمجرد التأكيد مثل زيادتهما في أستعصم واستصرخ

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود ٢٥/١ باختصار طـ دار الفكر بدون تاريخ .

(٢) البحر المحيط ٤٤/١ طـ دار الفكر ـ ط ثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(٣) الآية (١٢) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٦/١

(٥) ينظر البحر المحيط ٦١/١ ، وتفسير المنار ١٥٧/١ ط دار المعرفة بيروت .

واستعجب والمراد كانوا يخبرون المشركين بأن رسولاً سيبعث فيؤيد المؤمنين ويعاقب الكافرين[١]

وعن التأكيد بـ (قد) يقول في قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [٢]

((وقد في كلام العرب للتحقيق ألا ترى أهل المعاني نظروا " هل " في الاستفهام بـ "قد" في الخبر فقالوا من أجل ذلك إن " هل " لطلب التصديق فحرف " قد " يفيد تحقيق الفعل فهي مع الفعل بمنزلة " إنّ " مع الأسماء ... وجئ بالمضارع مع " قد " للدلالة على التجدد والمقصود تجدد لازمه ليكون تأكيد لذلك اللازم وهو الوعد فمن أجل ذلك غلب على " قد " الداخلة على المضارع أن تكون للتكثير مثل :" ربما يفعل ")) [٣]

وكلامه في الآيتين السابقتين يختلف عما ذكره البلاغيون والمفسرون قبله [٤]

أما عن التأكيد باسم الإشارة فيقول في قوله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** [٥]

((وكرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء وجئ باسم الإشارة للدلالة على أن رجاءهم رحمة الله لأجل إيمانهم وهجرتهم وجهادهم فتأكد بذلك ما يدل عليه الموصول من الإيماء إلى وجه بناء الخبر وإنما احتيج لتأكيده لأن الصلتين لما كانتا مما أشتهر بهما المسلمون وطائفة منهم صارتا كاللقب إذ يطلق على المسلمين يومئذ في لسان الشرع اسم الذين آمنوا كما يطلق على مسلمي قريش يومئذ اسم المهاجرين فأكد قصد الدلالة على وجه بناء الخبر من الموصول)) [٦]

وعن التأكيد بـ (ذا) يقول في قوله تعالى :﴿ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ... ﴾ [٧]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٦٠١/١

(٢) من الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٧،٢٦/٢ باختصار .

(٤) ينظر روح المعاني ٨/٢ وحاشية الجمل ١١٧/١

(٥) الآية (٢١٨) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٨،٣٣٧/٢

(٧) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

((وذا مزيدة للتأكيد إذ ليس ثمّ مشار إليه معين والعرب تزيد " ذا " لما تدل عليه الإشارة من وجود شخص معين يتعلق به حكم الاستفهام حتى إذا ظهر عدم وجوده كان ذلك أدل على أن ليس ثمة متطلع ينصب نفسه لادعاء هذا الحكم ...)) [١]

وكلام الطاهر حول التأكيد في الآية لا يختلف عما ذكره المفسرون لكن مما تجدر الإشارة إليه أن الطاهر قد أشار إلى أدوات أخرى للتوكيد في مواضع متفرقة من سورة البقرة منها التأكيد بـ (فاء التعقيب[٢] ، والتكرار[٣] ، وتأكيد الضمير المستتر بالضمير البارز[٤] ، والتأكيد بصيغة المفاعلة[٥] وبضمير الشأن[٦]) إلى غير ذلك من مواضع التوكيد المشتملة على نكت بلاغية مختلفة [٧]

وبحث التوكيد عنده في جملته لا يختلف عما ذكره البلاغيون والمفسرون ، ولكن أردت تسجيل اهتمام الطاهر ببحث التأكيد لما له من مكانة بلاغية وأثر في الأساليب القرآنية .

ثالثاً : التجوز في الإسناد :

التجوز في الإسناد أو المجاز العقلي يذكره بعض الباحثين في علم البيان من حيث إنه ضرب من المجاز ، ويذكره بعضهم في أحوال الإسناد الخبري من حيث إنه حال من أحوال الإسناد الخبري أو النسبة الخبرية. [٨]

والإسناد الذي هو مناط الفائدة منه ما هو حقيقة عقلية ، ومنه ما هو مجاز عقلي .

أما الحقيقة :

فهي إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر [٩]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣/ ٢١ باختصار .

(٢) ٢/ ٢٧ ، ٣/ ١٤٢

(٣) ٣/ ١٠٤

(٤) ٣/ ٢٠٤

(٥) ١/ ٥٠٧

(٦) ١/ ٥٩٠

(٧) منها الآيات (٢٢) ، (٢٦) ، (٤٠) ، (١٤٥) ، (١٨٩) ، (٢٨٢)

(٨) ينظر خصائص التراكيب صـ ٦٤

(٩) والحقيقة أربعة أضرب منها ما يطابق الواقع والاعتقاد ، والواقع دون الاعتقاد ، وعكسه ، وما لا يطابق شيئاً منها . وتركت تفصيلها لأن الطاهر لم يتعرض لها .

أما المجاز العقلى فعرفهُ الخطيب بقوله :

" إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول " [١]

وقوله : " إلى ملابس له " إشارة إلى أنه لابد فيه من العلاقة كسائر المجازات، فالعلاقة ملابسة الفعل للفاعل المجازى من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به أو نحو ذلك .

وقوله : " بتأول " أى بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر .

علاقات المجاز :-

للفعل ملابسات شتى : يلابس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والسبب

وعلاقات المجاز العقلى كالتالى:

أ - المفعولية :

وفيها يسند المبنى للفاعل إلى المفعول به كقوله تعالى :

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [٢]

ففاعل راضية ضمير يعود على العيشة وهى فى الحقيقة ليست راضية ، وإنما هى مرضية ، والراضى هو صاحبها ، فأسند الرضا إلى العيشة لتلبس الرضا بها من حيث وقوعه عليها .

ب- الفاعلية : وفيها يسند المبنى للمفعول إلى الفاعل كقولهم : " سيل مفعَم " ، والسيل يفعم المكان أى يملؤه ، والمكان هو الذى يفعَم ، ولكنهم تجوزوا فى الإسناد فجعلوا السيل مفعماً .

جـ- المصدرية :

وفيها يسند المبنى للمفعول إلى المصدر ، نحو قولهم : " شعر شاعر " ، والشعر مصدر شعر الرجل إذا قال شعراً ، والحقيقة أن الشاعر ليس هو الشعر وإنما هو قائله [٣] ولكنهم تجوزوا وأسندوا ما هو للفاعل إلى المصدر لملابسة بين الفعل والمصدر من حيث كون المصدر جزءاً من مفهوم الفعل .

د. الزمانية : وفيها يسند ما بنى للفاعل إلى زمانه ، كقولهم : " نهاره صائم " فقد أسندوا الصوم إلى ضمير النهار ، والصائم هم الناس فى النهار .

---

(١) ينظر الإيضاح ٤٢/١

(٢) الآية (٧) من سورة القارعة .

(٣) ففاعل كلمة " شاعر " ضمير يعود على الشعر .

هـ - المكانية :

وفيها يسند ما بنى للفاعل إلى المكان ، نحو قولهم : " طريق سائر " فالذى يسير هم الناس ، ولكنهم أسندوا السير إلى الطريق لوقوعه فيه .

و- السببية :

وفيها يسند ما بنى للفاعل إلى السبب ، كقولهم : " محبتك جاءت بى إليك " فالمحبة لم تأت بك ولكنها كانت السبب[1] وهذه بعض ملابسات المجاز العقلى التى ذكرها الخطيب ، وأشار الطاهر إليها فى تفسيره [2]

قرينة المجاز العقلى :

لابد للمجاز من قرينة ، وهى إما لفظية أو غير لفظية (معنوية)

فاللفظيـة :

ضابطها أن يكون مع الإسناد لفظ يصرفه عن ظاهره أى عن أن يكون مراداً به الحقيقة، كقول الشاعر [3]

قد أصبحت أمُّ الخيار تدَّعى ... على ذنباً كلّه لم أصنع

من أن رأت رأسى كرأس الأصلع ... ميَّز عنه قُنْزُعاً عَنْ قنزع

جَذْبُ الليالى أبطِئى أو أسرعى

فقد أسند الشاعر " تميز " هذه القنازع عن رأسه إلى " مر الليالى " ثم أقام قرينة لفظية على أنه لا يريد بهذا الإسناد حقيقة فقال :

أفناه قِيلُ الله للشمس : اطلُعِى ... حتى إذا واراك أفق فارجعى

المعنوية: وضابطها أن يكون مع الإسناد أمر لفظى يصرفه عن ظاهره : كاستحالة" صدور المسند من المسند إليه المذكور أو قيامه به عقلاً ، كقولك : "محبتك جاءت بى إليك " أو عادة كقولك : " هزم الأمير الجند " ، و" كسا الخليفة الكعبة " .

---

(١) الإيضاح ٤٢/١ ، ٤٣ وخصائص التراكيب صـ ٦٩ - ٧١ ومحاضرات فى البلاغة العربية صـ ٦٩ - ٧٤

(٢) هناك علاقات أخرى ذكرها سعد الدين فى المطول منها : وصف الفاعل والمفعول بالمصدر كقولهم : " رجل عدل ... " ينظر المطول صـ ٥٨

(٣) الأبيات للفضل بن قدامة المعروف بأبى النجم العجلى : والقنزع : الشعر المجتمع فى نواحى الرأس ، وقيل الله : قوله . ينظر الإيضاح ٤٤/١

التجوز فى الإسناد فى تفسير الطاهر :

أما عن الإمام الطاهر فلقد أشار إلى بعض ملابسات المجاز العقلى فى سورة البقرة كما أشار إلى الفرق فى الإسناد بين المجاز المرسل والعقلى ، وإلى اجتماع المجاز والحقيقة فى بعض الآيات .

يقول فى قولة تعالى :

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١]

((وإسناد الختم المستعمل مجازاً إلى الله تعالى للدلالة على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأن لا يرجى زواله كما يقال :خِلقة فى فلان ، والوصف الذى أودعه الله فى فلان أو أعطاه فلاناً ، وفرق بين هذا الإسناد وبين الإسناد فى المجاز العقلى ؛ **لأن هذا أريد منه لازم المعنى والمجاز العقلى إنما أسند فيه فعل لغير فاعله لملابسة ، والغالب صحة فرض الاعتبارين فيما صلح لأحدهما وإنما يرتكب ما يكون أصلح بالمقام**)) [٢] وكلام الطاهر حول الآية اشتمل على ثلاثة أمور :

الأول : الفرق بين الإسناد فى المجاز العقلى والمرسل [٣]

الثانى : صحة فرض الاعتبارين فى الآية .

الثالث : ارتكاب ما يكون أصلح للمقام.

وهذه الأمور التى ذكرها الطاهر قد سبقه صاحب الكشاف بالإشارة إليها ، وهذا الموضع من المواضع التى نقل فيها الطاهر عن الزمخشرى ، يقول فى الكشاف :

((...لا ختم ولا تغشية فى الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ...ويجوز أن يكون الختم مسنداً إلى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغير الحقيقة . تفسير هذا : أن للفعل ملابسات شتى يلابس : الفاعل والمفعول به والمصدر والمكان والزمان والمسبب له ...)) [٤]

وعن علاقة المكانية يقول فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [٥]

---

(١) الآية (٧) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٥٧/١

(٣) حيث ذكر فى أول كلامه حول الآية جواز كون الختم مجاز مرسل علاقته اللزوم .

(٤) ينظر الكشاف ٨٨/١-٩٠ باختصار .

(٥) الآية (١٢٤) من سورة البقرة .

((وقوله " فأتمهن" جيء فيه بالفاء للدلالة على الفور فى الامتثال وذلك من شدة العزم ... وتعدية فعل " أتم إلى ضمير "كلمات" مجاز عقلى وهو من تعليق الفعل بحاوى المفعول لأنه كالمكان له)) [١]

ويرى الالوسى أنه لا حاجة إلى حمل الآية على المجاز حيث يقول :"وقوله " فأتمهن "لا حاجه إلى الحمل على المجاز [٢]

ويقول فى قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣]

((وانتصاب "نفسه" إما على المفعول به اى أهملها وأضاعها .. ويجوز انتصابه على التمييز المحول عن الفاعل وأصله سَفِهت نَفْسه أى خَفّت وطاشت فحُوِّل الإسناد إلى صاحب النفس على طريقة المجاز العقلى للملابسة قصداً للمبالغة,وهى أن السفاهة سرت من النفس إلى صاحبها من شدة تمكنها بنفسه حتى صارت صفة لجثمانه ، ثم انتصب الفاعل على التمييز تفسيراً لذلك الإبهام فى الإسناد المجازى ، ولا يعكر عليه مجيء التيجز معرفة بالإضافة لأن تنكير التمييز أغلبى "[٤]وأنقل هنا باختصار شديد ما ذكره صاحب اللسان حول الآية إتماماً للفائدة ، يقول : ((إن أصل الفعل كان لها (أى النفس) ثم حُوِّل إلى الفاعل ، كقولهم :طبتُ به نفسا معناه طابت نفسى به ، فلما حول الفعل إلى صاحب النفس خرجت النفس مفسرة ...))[٥]

ولقد ذكر اختلاف النحويين حول توجيه النصب فى " نفسه" ويبدوا أن الطاهر قد نقله عن صاحب اللسان .

ويشير الطاهر إلى علاقة المفعولية : فيقول فى قوله تعالى :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[٦]

((ووصف الشقاق بالبعيد مجاز عقلى أى بعيد صاحبه عن الوفاق ...)) [٧]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٧٠٣/١ باختصار .

(٢) ينظر روح المعانى ٣٧٤/١ باختصار .

(٣) من الآية(١٣٠) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٧٢٦،٧٢٥/١

(٥) اللسان مادة "سفه"٢٠٣٣/٣ ط دار المعارف .

(٦) الآية (١٧٦) من سورة البقرة .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ١٢٧/٢ باختصار .

وكما يبدوا أن الطاهر يشير إلى علاقة المفعولية التي يسند فيها المبني للفعل إلى المفعول بـه كقوله تعالى:

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [١]أي راض صاحبها [٢]

وعن استعمال اللفظ فى الحقيقة والمجاز يقول في قوله تعالى :﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾ [٣]

((... وإسناد الإتيان إلى الملائكة لأنهم الذين يأتون بأمر الله أو عذابه ، وهم الموكل إليهم حقيقة فإن كان الإتيان المسند إلى الله تعالى مستعملاً في معنى مجازي فهو مستعمل بالنسبة للملائكة في معناه الحقيقي فهو من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، وإن كان إسناد الإتيان إلى الله مجازاً في الإسناد فإسناده إلى الملائكة بطريق العطف حقيقة في الإسناد ولا مانع من ذلك ،لأن المجاز الإسنادى عبارة عن قصد المتكلم مع القرينة))[٤]

وما أشار إليه الطاهر من استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز قد سبقه إليه صاحب المنار ،فقال عن إسناد الإتيان في الآية :((... إن هذا الاستعمال من أساليب العرب المعروفة من حذف المضاف وإسناد الفعل إلى المضاف إليه مجازاً على حدود ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [٥] ومن المفسرين من قال إن الإسناد حقيقي وإنما حذف المفعول للعلم به من الوعيد السابق أي هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم به من الساعة والعذاب ،وعده آخرون من المتشابهات ...))[٦]

ويقول في قوله تعالى :﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[٧]

((...وتنكير" حَرْبٍ "لقصد تعظيم أمرها ،ولأجل هذا المقصد عدل عن الحرب إلى الله ، وجيء عوضاً عنها بـ "من"ونسبت إلى الله لأنها بإذنه على سبيل مجاز الإسناد ؛ وإلى رسوله

---

(١) الآية (٧) من سورة القارعة .

(٢) الإيضاح ٤٣/١

(٣) الآية(٢١٠) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٦/٢ باختصار .

(٥) من الآية (٨٢) من سورة يوسف .

(٦) ينظر تفسير المنار ٢٦٣،٢٦٢/٢باختصار .

(٧) الآية(٢٧٩) من سورة البقرة .

لأنه المبلغ و المباشر » [١]

وكما يلاحظ أثر التنكير في كلمة "حرب" في نظم الآية فلقد عبّر عن هذا الأثر صاحب الظلال بقوله :

« يا للهول : حرب من الله ورسوله ... حرب تواجهها النفس البشرية ... حرب رهيبة معروفة المصير مقررة العاقبة ... فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة ؟! »[٢]

أما عن المجاز في الآية فلقد سبق الطاهر بالإشارة إليه الإمام الألوسي في تفسيره للآية[٣]

ومن خلال ما سبق يلاحظ أن بحث المجاز العقلي عند الطاهر لا يختلف عن بحثه عند سائر المفسرين والبلاغيين وعلى رأسهم صاحب الكشاف فلقد رأينا الطاهر ينقل عنهم ويتفق معهم في علاقات المجاز التي ذكروها ، والمواضع التي سبق ذكرها هي المواضع التي تمثل اتجاه الطاهر وطريقته في الكشف عن البلاغة القرآنية ، وهناك مواضع أخرى [٤] ، وهي لا تختلف في طريقة تناولها عما سبق ذكره .

وأنتقل إلى المبحث الثالث ، وهو أسرار المسند إليه في تفسير الطاهر .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٩٤/٣

(٢) ينظر في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب - رحمه الله - ٣٣٠/١ ط الشروق ط السابعة عشر ١٤١٢هـ

(٣) ينظر روح المعاني ٥٣/٣

(٤) من هذه المواضع الآيات (١٧٨) ، (٢١٣) ، (٢٥١)

المبحث الثالث

المسند إليه وأسراره البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

المسند إليه وأسراره فى تفسير الطاهر :

بحث البلاغيون أحوال المسند إليه ، وذكروا امن أحواله :

١- حذفه	٢- ذكره	٣- تعريفهُ
٤- تنكيره	٥- تقديمه	٦- وضع المظهر موضع المضمر وعكسه
٧- الالتفات	٨- الأسلوب الحكيم	

- **حذفــه :**

" لا يمكن أن تستقصى أغراض حذف المسند إليه لأن الدواعى أحوال تنبعث فى داخل الإنسـان ولا يمكن التعرض لحصرها "[١]

ومن أهم الأغراض التى ذكرها البلاغيون لحذف المسند إليه :

أ - الحذف لمجرد الإختصار ، وللاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر لدلالة القرينة عليه كقول المستهل : الهلال وقوله تعالى ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [٢] أى فأمرى صبر جميل .

ب- إختيار تنبه السامع عند القرينة كأن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبته لك فتقول لمـن معك :

" وفىٌ " تريد : الصاحب وفى .

جـ- الحذف لضيق المقام وذلك يكون بسبب ضجر أو خوف فوات فرصة كقول الشاعر :

قال لى كيف أنت ؟ قلــت : عليـلٌ ... سـهر دائـم وحـزن طويـــل [٣]

د. الحذف إيهاماً لصون اللسان عن ذكره تعظيماً أو تحقيراً

فالتعظيم : كقول حسان بن ثابت :

قوم إذا حـــاربوا ضـروا عدوهـم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعــوا

سـجية تلـك فيـهم غـير محدثـة ... إن الخلائـق فـاعلم شـرها البـدع

والتقدير : هم قوم

والتحقير : كقوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [٤]

---

(١) ينظر خصائص التراكب صـ١١٨

(٢) من الآية (١٨) من سورة يوسف .

(٣) لا يعرف قائله والشاهد فى قوله : عليل والتقدير أنا عليل وقوله : سهر دائم والتقدير حالى سهر دائم .

(٤) الآية (١٠،١١) من سورة القارعة .

وهذه بعض أغراض الحذف التى ذكرها البلاغيون ، هذا ولقد نبهه البلاغيون إلى أن قيام القرينة شرط فى جميع أغراض الحذف [١]

❁ **أما عن الإمام الطاهر** فلقد اهتم ببحث المسند إليه فى تفسيره إهتماماً كبيراً خاصة " تعريف المسند إليه ، كذلك تقديمه ، وحذفه ، ووضع المظهر موضع المضمر إلى غير ذلك من أحواله التى سيأتى ذكرها .

فعن أسرار الحذف :

يقول فى قوله تعالى ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ** ﴾ [٢]

((أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير " مَثَلُهُمْ " وحذف المسند إليه فى هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفاً بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عُرف للسامع فيقولون : فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان ومنه كقوله تعالى : ﴿ **جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا ۞ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ...** ﴾ [٣]

التقدير هو رب السماوات ... وسمى السكاكى هذا الحذف " الحذف الذى أتبع فيه الاستعمال الوارد على تركه " [٤] ، [٥]

والطاهر فى هذه الآية لا يختلف مع البلاغين حول السر فى حذف المسند إليه بل ينقل عن صاحب المفتاح ما يشهد لكلامه.

وفى موضع آخر يقول فى قوله تعالى :

﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [٦]

((هو بالرفع خبر لمحذوف على طريقة حذف المسند إليه لاتباع الاستعمال كما تقدم فى قوله تعالى : ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ ...** ﴾ وذلك جنس ما يسمونه بالنعت المقطوع)) [٧]

وكما هو معلوم أن " اتباع الاستعمال الوارد " يستخدمونه عند ذكر الديار والمنازل ، وعند ذكر الرجال مدحاً أو قدحاً فإنهم حين تحمى نفوسهم بذكر المناقب أو المثالب يقطعون الكلام ليستأنفوا مقطعاً جديداً من مقاطع المعنى ، ويبنون هذا المقطع الثانى على إسقاط المسند إليه .

---

(١) ينظر الإيضاح ١/٥٦-٥٨ ، والطراز صـ ٥٢٠ ، ٥٢١ وشرح عقود الجمان صـ ١٤ ط الحلبى.
(٢) الآية (١٨) من سورة البقرة .
(٣) الآيتان (٣٦،٣٧) من سورة النبأ .
(٤) المفتاح صـ٩٩
(٥) ينظر التحرير والتنوير ١/٣١٣
(٦) الآية (١١٧) من سورة البقرة .
(٧) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٨٦

يقول الإمام عبد القاهر :

((ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ، ويستأنفون كلاماً آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ)) [1]

وهنا تلتقى نظرة البلاغين والنحويين إلى السياق ؛ حيث قرر النحويون وجوب حذف المبتدأ وجعل النعت خبر لمبتدأ محذوف إن كان للمدح أو الذم أو الترحم كقولهم : الحمد لله الحميدُ بإضمار هو " [2] وهو ما أشار إليه الطاهر بعبارته الموجزة : " وذلك من جنس ما يسمونه بالنعت المقطوع "

وعن حذف المسند إليه للعلم به ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ... ﴾ [3]

((وقوله : **﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾** محذوف المسند إليه لظهوره أى عليه . والمعنى فليحلق رأسه وعليه فدية وقرينة المحذوف قوله " ولا تحلقوا رؤسكم ")) [4]

ويلاحظ إشارة الطاهر إلى " قرينة المحذوف " وهو ما أكد البلاغيون على اشتراطه فى حذف المسند إليه كما سبق فبحث حذف المسند إليه عند الطاهر لا يختلف عن بحثه عند البلاغين وما سبق ذكره أبرز المواضع [5] التى تمثل طريقة الطاهر ومنهجه فى الكشف عن البلاغة القرآنية.

٢- تعريف المسند إليه :

قرر البلاغيون أن تعريف المسند إليه لتكون الفائدة أتم مع اقتضاء المقام له ، وتختلف معانيه بحسب ما يعرض له من أنواع التعريف كالإضمار ، والعلمية ، والإشارة ، والموصولية ، والتعريف باللام ، وبالإضافة ، ولقد ظهر اهتمام الطاهر بتعريف المسند إليه وأسراره فى تفسيره لسورة البقرة واضحاً جلياً فأشار إلى تعريفه بالإضمار ، والعلمية ، والموصولية ، والإشارة ، واللام .

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز صـ ١٤٧

(٢) ينظر أوضح المسالك لابن هشام صـ ١٨٠ تحقيق الأستاذ / عبد المتعال الصعيدى ط مكتبة الآداب .

(٣) من الآية (١٩٦) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢٢٥

(٥) من المواضع الأخرى الآيات (١٤٧) ، (١٦٥) ، (١٨٥) ، (٢١٢) ، (٢٣٣)

• **التعريف بالإضمار :**

ذكر البلاغيون أن تعريف المسند إليه بالضمير لكون المقام مقام تكلم أو خطاب أو غيبه .

فالتكلم : كقوله تعالى : ﴿ **إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (١) ، **والخطاب** : كقوله تعالى :

﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... الآية** ﴾ (٢) والأصل في الخطاب أن يكون لمعين وقد يترك إلى غير معين ليعم كل مخاطب . ففي الآية السابقة يحتمل أن يكون الخطاب للعموم أو للرسول ﷺ وهذا هو الأصل (٣)

أما الغيبة : فيعرف بالضمير لكون المقام مقام الغيبة لأن المسند إليه مذكور أو في حكم المذكور لقرينة . كقوله تعالى : ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ...** ﴾ (٤) أي العدل .

• أما عن الإمام الطاهر فيقول في قوله تعالى :

﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ (٥)

((وجئ بالمسند إليه ضمير الجلالة **تشريفاً للنبي ﷺ بعز الحضور لمقام التكلم مع الخالق تعالى** وتقدس كأن الله يشافهه بهذا الكلام بدون واسطة فلذا لم يقل له إن الله أرسلك)) (٦)

فسر التعريف بضمير الجلالة تشريف النبي بعز الحضور لمقام التكلم مع الخالق سبحانه وتعالى ، وهذا السر الذي ذكره الطاهر لم يسبقه إليه فيما أعلم . (٧)

• **أما عن التعريف بالعلميه :**

فلإحضاره بعينة في ذهن السامع ابتداءً باسم مختص به كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ (٨)

كما يكون لتعظيمه أو إهانته كما في الكنى والألقاب المحمودة والمذمومة .

كما يكون التعريف للتبرك والاستلذاذ بذكره إلى غير ذلك من الاعتبارات والأغراض .

---

(١) من الآية (٣٠) من سورة القصص .
(٢) من الآية (١٢) من سورة السجدة .
(٣) الإيضاح ٦٣/١
(٤) من الآية (٨) من سورة المائدة .
(٥) الآية (١١٩) من سورة البقرة .
(٦) ينظر التحرير والتنوير ٦٩١/١
(٧) ينظر روح المعاني ٨٢/٢ ، والمحرر والوجيز ٢٦٨/١ والبيضاوي ٤٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٧٦/٢
(٨) الآية (١) من سورة الإخلاص .

وعن التعريف بالعلمية :

يقول الطاهر فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ... الآية ﴾ [1]

((وأما الإتيان بالمسند إليه علماً دون غيره من الصفات فلأن هذا العلم جامع لجميـــع صفـــات الكمال فذكره أوقع فى الإقناع بأن كلامه هو أعلى كلام فى مراعاة ما هو حقيـــق بالمراعـــاة ، وفى ذلك أيضاً إبطال لتمويههم بأن اشتمال القرآن على مثل هذا المثل دليل على أنه ليس مـــن عند الله فليس من معنى الآية أن غير الله ينبغى له أن يستحى أن يضـــرب مثـــلاً مـــن هـــذا القبيل)) [2]

فسر التعريف بالعلمية لكون هذا الاسم جامع لصفات الكمال ، وذكره أوقع فى الإقناع بأن كلامه هو أعلى كلام ، ولإبطال تمويه المشركين .... ، ولقد أشار الشهاب الخفاجي إلى قريـــب ممـــا ذكره الطاهر [3] ولكن نلحظ فى تحليل الطاهر الغوص وراء المعنى ، وهى طريقة أعتمدها فى تحليله للآيات [4]

ويقول فى قولة تعالى : **﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... الآية ﴾** [5]

((وجئ باسم الذات هنا لأنه أظهر طريق فى الدلالة على المسمى المنفرد بهذا الاسم فإن العلـــم أعرف المعارف لعدم احتياجه فى الدلالة على مسماه إلى قرينة أو معونة لولا احتمـــال تعـــدد التسمية ، فلما انتفى هذا الاحتمال فى اسم الجلالة كان أعرف المعارف لا محالة لا ستغنائه عن القرائن و المعونات)) [6]

- **التعريف بالموصولية :**

يعرف المسند إليه بالموصولية لأغراض كثيرة تختلف تبعاً للسياق ، ومن هذه الأغراض التـــى ذكرها البلاغيون التعريف لزيادة التقرير .

---

(١) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٥٩/١

(٣) ينظر حاشية الشهاب ١٢٠،١١٩/٢ وتفسير أبى السعود ٤٢/١

(٤) ينظر تفسير الآية (١٠) من سورة البقرة فى التحرير والتنوير ٢٨١/١، ٢٨٢

(٥) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ١٧/٣

كقوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ (١)

فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز وغيره .

وإما للتفخيم : كقوله تعالى : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (٢) وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر : كقوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ... ﴾ (٣)·(٤)

• **أما عن الإمام الطاهر:**

فلقد أشار إلى بعض هذه الأسرار فى تعريف المسند إليه بالموصولية . يقول فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ...الآية ﴾ (٥)

((وعُدِلَ عن تعريفهم بغير الموصول إلى الموصول لما فى الصلة من الإيماء إلى سبب الخبر وعلته نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٦) (٧)

ويلاحظ أن سر التعريف فى الآية من الأسرار التى ذكرها البلاغيون للتعريف بل إن الآية التى استشهد بها الطاهر قد ذكرها صاحب الإيضاح فى أغراض التعريف بالموصولية (٨)

ويقول فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ... الآية ﴾ (٩)

((وجئ بالموصول دون غيره من المعرفات لما فى الصلة من الأمر العجيب وهو أن يكون المختلفون فى مقصد الكتاب هم الذين أعطوا الكتاب ليزيلوا به الخلاف بين الناس فأصبحوا هم سبب خلاف فيه ، والمعنى تشنيع حال الذين أوتوه بأن كانوا أسوأ حالاً من المختلفين فى الحق قبل مجئ الشرائع لأن أولئك لهم بعض العذر بخلاف الذين اختلفوا بعد كون الكتاب بأيديهم والطاهر يتفق مع البلاغين فى سر تعريف المسند إليه بالموصولية فى هذه الآية ، وهو

---

(١) من الآية (٢٣) من سورة يوسف .
(٢) من الآية (٧٨) من سورة طه .
(٣) من الآية (٦٠) من سورة غافر .
(٤) الإيماء إلى وجه بناء الخبر بأن يذكر فى الصلة ما يناسب الموصول مدحاً أو ذماً .
(٥) من الآية (١٧٤) من سورة البقرة .
(٦) من الآية (٦٠) من سورة غافر .
(٧) ينظر التحرير والتنوير ٢/١٢٢
(٨) الإيضاح ٦٦/١
(٩) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة .

" التشنيع لحال الذين أوتوا الكتاب لأنهم كانوا أسوأ حالاً من المختلفين فى الحـــق قبـل مجـئ الشرائع)) [١]

• **التعريف بالإشــارة :**

أ – ويكون لتمييز المسند إليه أكمل تمييز لصحة إحضاره فى ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً . كقول الشاعر :

هذا أبو الصقر فرداً فــى محاســنه ... من نَسل شيبان بين الضال والسَّلَم [٢]

ب– وإما لبيان حاله فى القرب أو البعد أو التوسط ، وقد يكون القرب ذريعة للتعظيم . كقولـــه تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...** ﴾ [٣] أو التحقــير . كقولـــه تعـــالى : ﴿ **وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ...** ﴾ [٤]

وقد يكون البعد ذريعة إلى التعظيم . كقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ...** ﴾ [٥]

ولطائف هذا الجنس لا تكاد تنحصر ومواقعه أكثر من أن تحصى كما قـــرر ذلـك الســكاكى والخطيب ، والعلوى[٦] .

• **أما عن الإمام الطاهر :**

فلقد أولى بحث التعريف بالإشارة عناية كبيرة فبين أثره فى الأساليب القرآنية كاشفاً عما ينطوى عليه من أسرار بلاغية . يقول فى قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ...** ﴾

((لا جرم أن كانت الإشارة فى الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنزلة وقد شاع فى الكلام البليغ تمثيل الأمر الشريف بالشئ المرفــوع فــى عــزة المنال لأن الشئ النفيس عزيز على أهله فمن العادة أن يجعلوه فى المرتفعات صوناً لـــه عــن الدروس وتناول كثرة الأيدى والابتذال ، فالكتاب هنا لما ذكر فى مقام التحدى بمعارضته بمـــا دلت عليــه حروف التهجى فى (ألم) كان كالشئ العزيز المنــال بالنسبة إلـــى تناولهم إيـــاه

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٠٩/٢ والكشاف ٢٨٣/١ ، والتفسير الكبير ٢٧٨/٣ ، وروح المعانى ١٠٢/٢

(٢) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى فى مدح أبى الصقر الشيبانى وزير المعتمد والضال : شــجر الســدر البرّى ، والسلم : شجر ذو شوك . الإيضاح ٦٧/١

(٣) من الآية (٩) من سورة الإسراء .

(٤) من الآية (٣٦) من سورة الأنبياء .

(٥) من الآية (٢) سورة البقرة .

(٦) ينظر والمفتاح صـــ١٠٣،١٠٤ ، والإيضاح ٦٧/١-٧٠ ، والطراز صـــ ٥٢٢

بالمعارضة أو لأنه لصدق معانيه ونفع إرشاده بعيد عمن يتناوله لـهُجر القول ... وصاحب الكشاف لم يعدَّ "ذلك الكتاب"تنبيهاً على التعظيم أو الاعتبار فلله در صاحب المفتاح إذ لم يغفل ذلك في مقتضيات تعريف المسند إليه بالإشارة))[١]

وكما يتضح أن تعريف المسند إليه بالإشارة في الآية للتعظيم ، وهذا ما قرره البلاغيون كما سبق [٢] وتبعهم على ذلك الإمام الطاهر ، وخالف في ذلك صاحب الكشاف[٣]وتابعه على رأيه بعض المفسرين كالرازي والقرطبي والخازن والبغوي والقاسمي من المحدثين [٤]وخالفه بعضهم كالنسفي وابن المنير في حاشيته على الكشاف[٥]

وفيما يبدوا أن ما ذهب إليه البلاغيون أنسب لسياق الآية فكما فصَّل الطاهر أن هذا التعريف جاء بعد أن بدأت السورة بحروف التهجي للتعجيز ومن هنا عُرِّف المسند إليه بالإشارة للتعظيم . وكأن الله يقول : إن هذا القرآن مع أنه من جنس حروف لغتكم وكلامكم إلا أنه يعلو على سائر الكلام علواً لا ينال !

أما كلام الطاهر عن التمثيل فيأتي تفصيله في علم البيان .

ويشير الطاهر إلى سر آخر من أسرار التعريف بالإشارة فيقول في قوله تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ○ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ○ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [٦]

((والإتيان باسم الإشارة في قوله :" أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ" للتنبيه على أن المشار إليه هو ذلك الموصوف بجميع الصفات السابقة على اسم الإشارة ، وأن الحكم الذي يرد بعد اسم الإشارة مترتب على تلك الأوصاف مثل "أولئك على هدى من ربهم "وهذا بيان لجزاء صبرهم))[٧]

وفي هذه الآية يشير الطاهر إلى ما ذكره البلاغيون : ((أنه إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور وعقب بأوصاف -على أن ما يَرِدُ بعد اسم الإشارة جدير باكتسابه من أجل الأوصاف))[٨]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢١٩/١-٢٢١ باختصار .
(٢) ينظر المفتاح ص١٠٤ والإيضاح٦٩/١.
(٣) ينظر الكشاف ٧٣/١
(٤) ينظر التفسير الكبير ٣٧٠/١ والقرطبي١٣٦/١ والقاسمي في محاسن التأويل١/ ٢٤٢ والخازن٢٧/١ والبغوي٢٧/١
(٥) ينظر الإنتصاف٧٣/١ومدارك التنزيل للنسفي١١/١
(٦) الآيات(١٥٥-١٥٧) من سورة البقرة .
(٧) ينظر التحرير والتنوير ٥٧/٢
(٨) الإيضاح٦٩/١

ويقول في قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾ (١)

((والإشارة إلى جماعة المرسلين في قوله " وإنك لمن المرسلين " وجئ بالإشارة لما فيها من الدلالة على الاستحضار حتى كأن جماعة المرسلين حاضرة للسامع بعدما مر من ذكر عجيب أحوال بعضهم ، وما أعقبه من ذكرهم على سبيل الإجمال ... والمقصود من هذه الآية تمجيد سمعة المرسلين عليهم السلام ؛ وتعليم المسلمين أن هاته الفئة الطيبة مع عظيم شأنها قد فضل الله بعضها على بعض ، وأسباب التفضيل لا يعلمها إلا الله ...)) (٢)

فسر تعريف المسند إليه بالإشارة في الآية لتمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً وهو غرض من أغراض التعريف التي ذكرها البلاغيون(٣) . ومن خلال ما سبق يلاحظ متابعة الطاهر للبلاغين فيما ذكروه من أسرار تعريف المسند إليه بالإشارة ، ولكنه يتميز بتحليلاته الممتعة التي تتناول السياق من نواح متعددة ، وتربط أجزاء النظم بعضها ببعض .

• **التعريف باللام :**

ذكر البلاغيون أن اللام تأتي للإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطبك ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ... ﴾ (٤) أى وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت .

وقد تكون اللام مفيدة معنى الجنس والحقيقة ، كقولك :

" الرجل خير من المرأة " أى جنس الرجل خير من جنس المرأة .

وقد ترد في الكلام محتملة للمعنين ، كقوله تعالى :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ... ﴾ (٥)

فيصح أن تكون اللام للعهد أى كما آمن رسول الله ومن معه . ويصح أن تكون للجنس أى كما آمن جنس الناس .وقد تفيد الاستغراق ، كقولهُ تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ ○ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ○ ﴾ (٦) (٧)

---

(١) من الآية (٢٥٣) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٠٥/٣ باختصار .
(٣) الإيضاح ٦٧/١
(٤) من الآية (٣٦) من سورة آل عمران .
(٥) من الآية (١٣) من سورة البقرة .
(٦) الآيتان (٢،١) من سورة العصر .
(٧) الاستغراق إما حقيقي وهو الذى يتناول كل فرد بحسب وضع اللفظ كقوله تعالى :
﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ وإما عرفي : وهو الذى يتناول كل فرد بحسب العرف العام كقولنا : " جمع الأمير الصاغة " إذا جمع صاغة مملكته لا صاغة الدنيا .

• **أما عن الإمام الطاهر :**

فلقد أشار إلى تعريف المسند إليه باللام فى مواضع كثيرة من تفسيره أشير إلى أشهرها ، وهى التى تمثل منهجه فى الكشف عن البلاغة القرآنية .

يقول عن التعريف بـ " **لام العهد والجنس** " فى قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)(١)

((وقوله " الْكِتَابُ " يجوز أن يكون بدلاً من اسم الإشارة لقصد بيان المشار إليه لعدم مشاهدته ، فالتعريف إذن للعهد ، ويكون الخبر هو جملة "لاَ رَيْبَ فِيهِ " ، ويجوز أن يكون " الْكِتَابُ " خبراً عن اسم الإشارة ويكون التعريف تعريف الجنس فتفيد الجملة قصر حقيقة الكتاب على القرآن بسبب تعريف القرآن ... ومعناه ذلك هو الكتاب الجامع لصفات الكمال فى جنس الكتب بناءً على أن غيره من الكتب إذا نسبت إليه كانت كالمفقود منها وصف الكتاب لعدم استكمالها جميع كمالات الكتب ، وهذا التعريف قد يعبر عنه النحاة فى تعداد معانى لام التعريف بمعنى الدلالة على الكمال ، فالمقام ليس مقام حصر ، وإنما هو مقام التعريف لا غير ...)) (٢) (٣)

وعن التعريف بـ " لام الاستغراق " يقول فى قوله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾** (٤)

((والتعريف فى " اللاعنون " للاستغراق ، وهو استغراق عرفى أى يلعنهم كل لاعن ، والمراد باللاعنين المتدينون الذين ينكرون المنكر وأصحابه ويغضبون لله تعالى ... كما أن الذين كتموا ما أُنزل من البينات والهدى يقرأون التوراة فإذا قرأوا لعنة الكاتمين فقد لعنوا أنفسهم بألسنتهم فأما الذين يلعنون المجرمين والظالمين غير الكاتمين ما أُنزل من البينات والهدى فهم غير مشمولين فى هذا العموم وبذلك كان الاستغراق المستفاد من تعريف " اللاعنون " باللام استغراقاً عرفياً .

واعلم أن لام الاستغراق العرفى واسطة بين لام الحقيقة ولام الاستغراق الحقيقى وإنما عدل إلى التعريف مع أنه كالنكرة مبالغة فى تحققه حتى كأنه صار معروفاً لأن المنكر مجهول ، أو

---

(١) الآية (٢) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٢١/١ باختصار

(٣) ينظر مغنى اللبيب لابن هشام ٦١/١

(٤) الآية (١٥٩) من سورة البقرة .

يكون التعريف للعهد أى يلعنهم الذين لعنوهم من الأنبياء الذين أوصوا بإعلان العهد وأن لا يكتموه)) [١]

ويلاحظ دقة الطاهر فى تحديد الذين تتعلق بهم لام الاستغراق العرفى وهم المتدينون الذين ينكرون المنكر ويغضبون لله وينكرون على الكاتمين لما أنزل الله من البينات والهدى ، وبالتالى لا يدخل فى هؤلاء الذين يلعنون غير الكاتمين للبينات والهدى . وعن سبب العدول إلى التعريف مع أنه كالنكرة " مبالغة فى تحققه " وهذا التحليل الدقيق لم نجده عند صاحب الكشاف [٢] رغم عنايته بمثل هذه الدقائق [٣]

أما عن تعريف المسند إليه بالإضافة فلقد أشار الطاهر إلى موضعين لتعريف المسند [٤] لا المسند إليه وفيما يبدوا أن الطاهر تأثر بدراسة البلاغيين لهذا النوع حيث إن البلاغيين لم يعطوا هذا النوع من التعريف عناية كبيرة وهو ما انعكس على بحث الطاهر لهذا النوع من التعريف فى تفسيره لسورة البقرة ، كذلك بحث تنكير المسند إليه لم يحظ باهتمام كبير من الإمام الطاهر وتلك نتيجة خاصة بسورة البقرة موضوع البحث .

٣. تقديم المسند إليه :

أ – وتقديم المسند إليه فلكون ذكره أهم ، إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه كقولك : " محمد رسول الله " ﷺ

ب– وإما لتعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحاً للتفاؤل أو التطير نحو : " سعد فى دارك " ، و " السفاح فى دار صديقك " إلى غير ذلك من الأغراض التى تختلف تبعاً للسياق .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/٦٨ ، ٦٩ باختصار شديد .

(٢) فقد أشار الطاهر إلى التعريف باللام فى مواضع كثيرة منها ١/٢٤٨،٢٦٢،٦٥٢– ٢/١٤٧،١٤٨،١٥٥،٢٠٨،٢١١،٢٧١،٢٨٧،٣٠٩،٣٢٤،٣٨٩،٤٠٤،٤٠٥–٣/١٣٢

(٣) الكشاف ١/٢٣٥ والتفسير الكبير ٢/٥٦٣

(٤) وهما الآيتان (١٣٣،١٧٩) من سورة البقرة .

وأهم ما يبحث فى موضوع التقديم هو تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى كقولك :
محمد يقوم وهذا التركيب كما يقول البلاغيون صالح لأن يفيد أمرين :
الأول تقوية الحكم .
الثانى الإختصاص .
ويتحدد معنى كلاً منهما تبع للسياق الذى جاءنا فيه ، فلقد ذكر البلاغيون أن تقوية الحكم تـــأتى فى المقامات التى تدعوا إلى ذلك كمقامات المدح والافتخار والإنكار فهى تحتاج إلـــى التـــأكيد لتقوية هذه المعانى لتأنس بها النفس ومثال ذلك :
قوله تعالى :

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١)

فلقد جاءت هذه الآية الكريمة رداً على تخويف المشركين للنبى ﷺ بالأصنام فدل التقديـــم فـــى الآية على أن الله يتولاه عليه السلام بطريق الكناية لأنه يلزم من توليته سبحانه للصـــالحين أن يكون وليه عليه السلام لأنه سيد الصالحين .

أما الاختصاص :

فبأن يختص الفعل بالمسند إليه ولا يتعداه إلى غيره ، وذلك يكون إذا ساعد السياق علـــى هـــذا المعنى تقول : أنا أعرف هذه المسألة فى سياق تعنى أنك وحدك الذى تعرفها . وهذا إذا كـــان المسند إليه غير مسبوق بنفى أما إذا كان المسند إليه المقدم على الخبر الفعلى مسبوق بنفى .
فيرى عبد القاهر(٢) وجمهور البلاغيين أنه يفيد الإختصاص وذهب السكاكى(٣) فى تحديد دلالـــة هذا اللون مذهباً آخر لم ينظر فيه إلى النفى تقدم أم تأخر وجد أم لم يوجد إنما المعول عليه فى إفادة تقديم المسند على الخبر الفعلى الإختصاص أن يتحقق شرطان :

---

(١) الآية (١٩٦) من سورة الأعراف .
(٢) ينظر دلائل الإعجاز صـــ١٣٨
(٣) ينظر المفتاح صـــ١٣٢

الأول : أن يصلح تأخير المسند إليه وتصير العبارة قمت أنا .

الثاني : أن يقدر أن أصل العبارة هو التأخير . أى أن يعتبر المتكلم أن أصل العبارة قمت أنا، وهذا الاشتراط الذى اشترطه السكاكى خاص بالمسند إليه إذا كان معرفة أما النكرة فتفيد الإختصاص قطعاً - عنده - وعليه مناقشات كثيرة ليس هذا محل ذكرها [١]

أما عن الإمام الطاهر :

فلقد اهتم ببحث تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، وبسط آراء البلاغيين فى هذا الموضوع ، وكشف عن رأى صاحب الكشاف في موضوع تقديم المسند إليه على المسند المشتق وهل يفيد التخصيص بذاته ؟ إلى غير ذلك مما يتعلق ببحث التقديم يقول فى قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [٢]

((ولأجل اعتبار الاستئناف قدّم اسم الله تعالى على الخبر الفعلى ولم يقل يستهزئ الله بهم لأن مما يجول فى خاطر السائل أن يقول : من الذى يتولى مقابلة سوء صنيعهم فأُعْلم أن الذى يتولى ذلك هو رب العزة وفى ذلك تنويه بشأن المنتصر لهم وهم المؤمنون كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [٣] فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلى هنا لإفادة تقوى الحكم لا محالة ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه فإنه لما كان تقديم المسند إليه على المسند الفعلى فى سياق الإيجاب يأتى لتقوى الحكم ويأتى للقصر على رأى الشيخ عبد القاهر وصاحب الكشاف كما صرح به فى قوله تعالى :

﴿ ... وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ... ﴾ [٤] كان الجمع بين قصد التقوى وقصد التخصيص جائز

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز صـ ١٣٨ ومفتاح العلوم صـ ١٣٢ والمطول صـ ١٠٨ وخصائص التراكيب صـ ١٧٨

(٢) الآية (١٥) من سورة البقرة .

(٣) من الآية (٣٨) من سورة الحج .

(٤) من الآية (٢٠) من سورة المزمل .

في مقاصد الكلام البليغ ... ولذلك يقال : النكت لا تتزاحم »[1]

ومن خلال ما سبق يتضح عدة أمور :

الأول : ما قرره الإمام عبد القاهر ، وتبعه عليه صاحب الكشاف من أن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في سياق الإيجاب يفيد التقوى والتخصيص[2]

الثاني : جواز اجتماع أكثر من نكتة بلاغية في السياق لأن النكت لا تتزاحم ، وعليه فالجمع بين قصد التقوى والتخصيص جائز في مقاصد الكلام البليغ .

الثالث : متابعة الطاهر للإمام عبد القاهر وصاحب الكشاف فيما قرراه مما سبق ذكره[3]

وعن تقديم المسند إليه على المسند المشتق ، يقول في قوله تعالى :

﴿ ... كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[4]

« ... وليس لتقديم المسند إليه[5] هنا نكتة إلا أنه الأصل في التعبير بالجملة الإسمية في مثل هذا إذ لا تتأتى بسوى هذا التقديم ، فليس في التقديم دلالة على اختصاص ؛ ولأن التقديم على المشتق لا يفيد الاختصاص عند جمهور أئمة المعاني بل الاختصاص مفروض في تقديمه على المسند الفعلي خاصة ... وادعى صاحب المفتاح أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق قد يفيد الاختصاص كقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[6] .. فالوجه أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق لا يفيد بذاته الاختصاص وقد يستفاد من بعض مواقعه معنى التخصيص بالقرائن ، وليس في قوله تعالى :

﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ ما يفيد التخصيص ولا ما يدعوا إليه »[7]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٩٣/١

(٢) ينظر دلائل الإعجاز ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، والكشاف ٦٤٣/٤ ، ٦٤٤

(٣) أشار الطاهر إلى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي عند تفسيره للآية (٣٠) من السورة .

(٤) من الآية (١٦٧) سورة البقرة . التحرير والتنوير ١٠٠/٢ ، ١٠١

(٥) أي في قوله تعالى : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾

(٦) من الآية (٩١) من سورة هود .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ١٠٠/٢ ، ١٠١

ويلاحظ من خلال كلام الطاهر عدة أمور :

الأول : أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق لا يفيد الاختصاص عند جمهور أئمة المعانى .

الثانى : أن السر فى تقديم المسند إليه فى الآية أنه الأصل فى التعبير بالجملة الإسمية .

الثالث : ما ادعاه صاحب المفتاح[١] من أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق قد يفيد الاختصاص .

الرابع : أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق قد يستفاد التخصيص من بعض مواقعه بالقرائن .

ويلاحظ متابعة الطاهر للإمام عبد القاهر [٢] ، وصاحب الكشاف [٣] على أنه مما تجدر الإشارة إليه أن السياق ذا أثر فاعل فى تحديد هذه الدلالات ، فقد يفيد مثل هذا التركيب الاختصاص تبعاً للقرائن وهو ما ذكره الطاهر فى آخر كلامه حول الآية .

هذا ولقد أثيرت مناقشات حول ما قاله صاحب الكشاف فى هذه الآية ، وذكر علماء السنة والجماعة أن الزمخشرى يقول بلزوم دلالة هذا التركيب على الاختصاص ، وأنه قد خالف هذه القاعدة لكيلا تصطدم الآية مع ما يعتقده فى أمر مرتكب الكبيرة ، وهذا خطأ لأنه يقول مثل هذا فى آيات كثيرة لا علاقة لهما بالاعتزال كقوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤] وقوله تعالى :
﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ... ﴾ [٥] وغير ذلك كثير [٦]

ويشير الطاهر إلى سر آخر من أسرار التقديم ، فيقول فى قوله تعالى :**﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾** [٧]

((وقد م اسم الشيطان مسنداً إليه لأن تقديمه مؤذن بذم الحكم الذى سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم ، كما يقال فى مثال علم المعانى " السفاح فى دار صديقك "

---

(١) ينظر المفتاح صـ١٣٠

(٢) ينظر دلائل الإعجاز صـ ١٢٩

(٣) ينظر الكشاف ٢٣٨/١

(٤) الآية (٨) من سورة البقرة .

(٥) من الآية (٤٥) من سورة ق

(٦) ينظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى ص ٣٣٣-٣٣٦ ط مكتبة وهبة - ط ثانية .

(٧) الآية (٢٦٨) من سورة البقرة .

و لأن فى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى تقوى الحكم وتحقيقه))[١]

ويلاحظ من كلام الطاهر أن السر فى تقديم المسند إليه " تعجيل المساءة " وهو غرض من أغراض التقديم ذكره البلاغيون حيث قالوا :

((من أغراض تقديم المسند إليه تعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحاً للتفاؤل أو التطير)) [٢]

وذكروا المثال الذى استشهد به الطاهر .

ومن خلال ما سبق يتضح اتفاق الطاهر مع جمهور البلاغين وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر، وصاحب الكشاف فى أن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى فى سياق الإيجاب يفيد التقوى والتخصيص تبعاً للسياق والقرائن ، كما أن تقديمه على المسند المشتق لا يفيد التخصيص عند جمهور أئمة المعانى ، وقد يفيده تبعاً للسياق والقرائن . كما يلاحظ دقة الطاهر فى عرض الآراء وأمانته فى النقل وإلمامه بكلام البلاغين .

٤. وضع المظهر موضع المضمر :

لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضمر وعكسه ، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه لأنهما من أحواله فألحقوهما به ، كما لحظوا أنه قد يُخرج المسند إليه على خلاف الظاهر فيوضع المضمر موضع المظهر كقولهم ابتداءً من غير جرى ذكر لفظ أو قرينة، ومن مواقعه الجليلة قوله تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٣] فقوله (هُوَ) ضمير الشأن ومفسره الجملة بعده ولو قال سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ لما وجدنا للكلام هذا الأثر .

وقد يعكس فيوضع المظهر موضع المضمر ، فإن كان المظهر اسم إشارة فذلك لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع كقول الشاعر :

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهبُه ... وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرزوقاً

هذا الذى ترك الأوهامَ حائرةً ... وصيرُ العالم النحريرَ زنديقاً [٤]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥٩/٣

(٢) الإيضاح ٩٠/١

(٣) الآية (١) من سورة الإخلاص

(٤) البيتان لأحمد بن يحيى المعروف بابن الروندى وكان يرمى بالزندقة . والشاهد فى اسم الإشارة لأنه يعود إلى الحكم السابق عليه وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً فالمقام للضمير ولكنه وضع اسم الإشارة موضعه لتمييز هذا المعنى وتحديده .

وإما للتهكم بسماعه كما إذا كان فاقد البصر أو لم يكن ثم مشار إليه أصلاً.كأن يقول لك أعمى : أتشهد أن زيداً ضربني ؟ فتقول له :نعم ، ذلك الذي في جانبك " سواء أكان في جانبه أم لم يكن .

كما يأتي لأغراض أخرى تبعاً للسياق ودلالته.

وإن كان المظهر غير اسم إشارة فالعدول إليه عن المضمر إما لزيادة التمكين ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ﴾ [١] فلقد قال ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ بعد أن ذكر لفظ الجلالة في الآية الأولى ، وآثر المظهر على الضمير لأن للفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعاً عظيماً في القلوب ، والمراد تمكين الألوهية ، وإشاعة هيمنتها في الضمائر .

وقد يكون وضع المظهر موضع المضمر لإدخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة ، وإما لتقوية داعي المأمور . مثالهما قول الخلفاء :

((" أمير المؤمنين يأمرك بكذا " ، إلى غير ذلك من الأغراض التي تختلف تبعاً للسياق)) [٢]

• أما عن الإمام الطاهر:

فلقد انصبت عنايته على وضع المظهر موضع المضمر ، وذكر أسراراً ونكتاً انفرد بها ، كما تابع البلاغيين في بعض الأغراض التي ذكروها .

يقول في قوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [٣]

((وإنما جاء بالظاهر في موضع المضمر في قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً ﴾ ولم يقل "عليهم" لئلا يتوهم أن الرجز عم جميع بني إسرائيل. وإنما خص الذين بدلوا القول "..."))[٤]

هذا ولقد استشهد البلاغيون بهذه الآية لوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين [٥] ، ورأى صاحب الكشاف أن السر في ذلك " الزيادة في تقبيح حالهم " [٦]

وهكذا تختلف أنظار البلاغين في استنباط أسرار السياق القرآني وهذا دليل على ما يحمل نظم القرآن من نكت ولطائف بلاغية !

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة الإخلاص .

(٢) ينظر الإيضاح ١/١١١ –١١٣ والبرهان ٢/٤٩٢ حيث ذكر سبعة عشر غرضاً لوضع المظهر موضع المضمر.

(٣) الآية (٥٩) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/٥١٧ باختصار .

(٥) الإيضاح ١/١١٣

(٦) ينظر الكشاف ١/١٧٢

ويشير الطاهر إلى سر آخر من أسرار الإظهار في مقام الإضمار فيقول في قوله تعالى :

﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ [١]

« وذكر اسم الجلال من الإظهار في مقام الإضمار للتعظيم » [٢]

وهذا الموضع من المواضع التي انفرد الطاهر بالإشارة إليها ويقول في قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [٣]

« والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر **لأن في الاسم الظاهر إشعاراً بالإلاهية** فكأنه يومئ إلى ألا تشكر الأصنام ، لأنها لم تخلق شيئاً مما على الأرض باعتراف المشركين أنفسهم فلا تستحق شكرًا » [٤]

وهذا الموضع أيضا مما انفرد به الطاهر فلم يذكره أحد من المفسرين فيما أعلم . [٥]

وكما يبدو أن إشارته إلى غرض "التعظيم" في الآية الأولى ، "والإشعار بالإلاهية" في الآية الثانية تتفق مع السياق .

ويقول في قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٦]

« وقوله ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ ﴾ أريد من الذين اتقوا المؤمنين الذين سخر منهم الذين كفروا ، وكان مقتضى الظاهر أن يقال : وهم فوقهم لكن عدل عن الإضمار إلى اسم ظاهر **لدفع إيهام أن يغتر الكافرون بأن الضمير عائد إليهم ويضموا إليه كذباً وتلفيقاً كما فعلوا حين سمعوا** قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴾ [٧] إذ سجد المشركون وزعموا أن محمداً ﷺ أثنى على آلهتهم . فعدل لذلك عن الإضمار إلى الإظهار ولكنه لم يكن بالاسم الذى سبق أعني " الذين آمنوا " لقصد التنبيه على مزية التقوى وكونها سبباً عظيما في هذه الفوقية ... » [٨]

وهكذا يستنبط الطاهر أسراراً متعددة من الآية الواحدة ، ويلاحظ أن هذه الأسرار التي ذكرها الطاهر هي جهد خاص به ، وهناك مواضع أخرى تابع فيها البلاغيين ، أكتفي بالإشارة إلى

---

(١) من الآية (١٤٣) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢٤
(٣) الآية (١٧٢) من سورة البقرة .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢/١١٤
(٥) ينظر البحر المحيط ١/٤٨٥ ، وحاشية الشهاب ٢/٤٤٥ ، وأبو السعود ١/٢٢٥ ، وروح المعاني ٢/٤١ ، وغيرها من كتب التفسير .
(٦) الآية (٢١٢) من سورة البقرة .
(٧) الآية (١٩) من سورة النجم .
(٨) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢٩٧

مواضعها في سورة البقرة(١) لأنتقل إلى بحث " الالتفات " في تفسيره .

٥- الالتفات : اشتهر عند الجمهور أن الالتفات " هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها " (٢)

((وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا . وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر .)) (٣)

ولقد ذكر البلاغيون للالتفات ست صور أشير إلى ثلاثة منها ، وهى من الصور التى أشار إليها الطاهر فى تفسيره .

- الأولى : الالتفات من التكلم إلى الغيبة :

كقوله تعالى :﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ ﴾ (٤) فجاء بالكلام على طريق التكلم ثم انتقل إلى الغيبة فى قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقول فصل لنا ، وفيه إشارة إلى حثه على الصلاة ؛ لأنها لربه الذى رعاه ورباه .

- الثانية :الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ... ﴾ (٥) قال : ﴿ كنتم في الفلك ﴾ فجاءت على طريق الخطاب ثم قال ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ... ﴾ فنقل الأسلوب إلى الغيبة . وكأن نقل الحديث إلى الغيبة فيه معنى التشهير بهم .

- الثالثة : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

كقوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (٦) فلقد جرى الأسلوب على طريقة الغيبة فى قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَومِ الدِّينِ ﴾ ثم انتقل إلى الخطاب فى قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والسر فى ذلك أن ما سبق ذكره فى أول الفاتحة من حمد الله والثناء عليه بحث النفوس على الإقبال نحو الحق متجهة إليه بالخطاب معلنة وحدانيته بالعبارة والاستعانة " (٧)

---

(١) من هذه المواضع الآيات (٤٦) ، (١٤٥) ، (١٦٥) ، (١٧٦) ، (٢٠٧) ، (٢١٧) ، (٢٣٨)

(٢) ينظر الإيضاح ١١٥/١

(٣) المثل السائر ٣/٢ط المكتبة العصرية ١٤١٦هـ

(٤) الآيتان (٢،١) من سورة الكوثر .

(٥) من الآية (٢٢) من سورة يونس .

(٦) الآيتان (٥،٤) من سورة الفاتحة .

(٧) ينظر الإيضاح ١١٤/١ -١١٦ ، وخصائص التراكيب صـ ١٩٨-٢٠٠ ط دار التضامن ط ثانية .

• أما عن الإمام الطاهر :

فلقد اهتم فى تفسيره لسورة البقرة ببعض صور الالتفات كاشفاً عما تنطوى عليه من أسرار بلاغية .

يقول فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)

((وقوله ﴿ فتاب عليكم ﴾ ظاهر فى أنه من كلام الله تعالى عند تذكيرهم بالنعمة وهو محل التذكير من قوله ﴿ وإذ قال موسى... ﴾ فالماضى مستعمل فى بابه من الإخبار وقد جاء على طريقة الالتفات لأن المقام للتكلم فعدل عنه إلى الغيبة ورجحه هنا سبق معاد ضمير الغيبة فى حكاية كلام موسى)) (٢)

وكما يتضح أن الالتفات – فى الآية – من التكلم إلى الغيبة ولقد أشار صاحب الكشاف إلى الالتفات فى الآية لكنه لم يوضح صورته (٣)

ويشير الطاهر إلى صورة أخرى من صور الالتفات فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤)

((وهذه الآية إما عطف على قوله ﴿ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ أو على ﴿ كَذَّبْتُمْ ﴾ فيكون على الوجه الثانى تفسيراً للاستكبار أى يكون على تقدير عطفه على كذبتم من جملة تفصيل الاستكبار بأن أشير إلى أن استكبارهم أنواع : (تكذيب وتقتيل وإعراض) وعلى الوجهين ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة وإبعاد لهم عن مقام الحضور فهو من الالتفات الذى نكتته أن ما أجرى على المخاطب من صفات النقص والفظاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد فهو كناية وقد حسن الالتفات أنه مؤذن بانتقال الكلام إلى سوء مقابلتهم للدعوة المحمدية وهو غرض جديد ...)) (٥)

---

(١) الآية (٥٤) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٥٠٥

(٣) ينظر الكشاف ١/١٦٨ ، ١٦٩ ، والشهاب الخفاجى ٢/ ٢٥٨

(٤) الآية (٨٨) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١/٥٩٩

ويلاحظ إشارة الطاهر إلى الصورة الرابعة من صور الالتفات وهى " الانتقال من الخطاب إلى الغيبة " كذلك بيانه لنكتة الالتفات ووجه حسنه . وإشارته إلى الالتفات فى الآية وإن كان سبقه إليها أبو السعود فى تفسيره[١] إلا أن الطاهر قد فصّل ما أجمله ، وأضاف إلى ذلك ما ذكره عن نكتة الالتفات ووجه حسنه ، ويمضى الطاهر ليكشف عن الالتفات وسره فى موضع آخر ، فيقول فى قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾ [٢]

((إن كان الإضمار جارياً على مقتضى الظاهر فضمير " ينظرون " راجع إلى معادٍ مذكور قبله وهو إما " ﴿ يعجبك قوله فى الحياة الدنيا " وإما إلى " مَنْ يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله " أو إلى كليهما لأن الفريقين ينتظرون يوم الجزاء وإن كان الإضمار جارياً على خلاف مقتضى الظاهر فهو راجع إلى المخاطبين بقوله " ادخلوا فى السلم " وما بعده ، أو إلى الذين زلّوا المستفاد من قوله " فإن زللتم " وهو حينئذ التفات من الخطاب إلى الغيبة إما لمجرد نشاط السامع إن كان راجعاً إلى المخاطبين بقوله " يا أيها الذين آمنوا " وإما لزيادة نكتة إبعاد المخاطبين بقوله " فإن زللتم " عن عز الحضور)) [٣] .

ويلاحظ حرص الطاهر على توضيح أثر النظم والربط بين أجزائه بالكشف عن سر الالتفات ، وقد مضى فى أول البحث العناية التى أولاها لبحث النظم وأثره فى إعجاز القرآن ، ومما تجدر الإشارة إليه أن صاحب الكشاف [٤] لم يشر إلى الالتفات فى هذه الآية [٥] .

---

(١) يقول أبو السعود : " وقوله تعالى : " وقالوا .... " بيان لفن آخر من قبائحهم على طريقة الالتفات إلى الغيبة إشعاراً بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصّل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم ، وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها ، وقباحتها من أهل الحق ، والقائلون هم الموجودون فى عصر النبى ﷺ ينظر تفسير أبى السعود ١٥٣/١

(٢) الآية (٢١٠) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٢/٢

(٤) ينظر الكشاف ٢٨٠/١،٢٨١

(٥) أشار الطاهر إلى الالتفات فى مواضع عديدة من سورة البقرة منها الآيات (٢٨)،(١٠١)،(١٤٦) ، (١٧٠) .

- **مخالفة مقتضى الظاهر في صيغ الأفعال :**

تناول بعض البلاغيين التعبير عن الماضي بالمضارع والتعبير عن المضارع بالماضي أو الأمر ، وما شابه هذا التصرف ببحث الالتفات ملاحظين أنه العدول عن أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول ، ولقد بحث العلوي هذا الموضوع في الضرب الثاني والثالث من ضروب الالتفات في كتابه الطراز ، وذكر أنه مختص بالأفعال .

فالضرب الثاني : هو الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر [1]

والضرب الثالث على وجهين :

الأول : الانتقال من الماضي إلى المضارع ، كقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [2]

الثاني : الانتقال من المضارع إلى الماضي ، كقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ... ﴾ [3]،[4]

- **أما عن الإمام الطاهر** : فلقد أشار إلى الضرب الثالث الذي ذكره العلوي في الطراز . يقول في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [5]

((وخولف الأسلوب الذي يقتضيه الظاهر في حكاية الماضي أن يكون بالفعل الماضي بأن يقول وإذ رفع إلى كونه بالمضارع لاستحضار الحالة وحكايتها كأنها مشاهدة لأن المضارع دال على زمن الحال ...))[6]

ويقول في قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [7]

---

(١) ومثاله قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ○ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ ﴾ الآيتان (٥٤،٥٥) من سورة هود .

(٢) الآية (٩) من سورة فاطر .

(٣) من الآية (٨٧) سورة النمل .

(٤) ينظر الطراز صـ ٢٦٥-٢٦٨ باختصار .

(٥) الآية (١٢٧) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٧١٨،٧١٧/١ باختصار .

(٧) الآية (٢١٢) من سورة البقرة .

((وجئ فى فعل التزيين بصيغة الماضى وفى فعل السخرية بصيغة المضارع قضاءً لحقى الدلالة على أن معنى فعل التزيين أمر مستقر فيهم ؛ لأن الماضى يدل على التحقق ، وأن معنى " يسخرون " متكرر متجدد منهم ؛ لأن المضارع يفيد التجدد ، ويعلم السامع أن ما هو محقق بين الفعلين هو أيضاً مستمر ؛ لأن الشئ الراسخ فى النفس لا تفتر عن تكريره ، ويعلم أن ما كان مستمراً هو أيضاً محقق ؛ لأن الفعل لا يستمر إلا وقد تمكن من نفس فاعله وسكنت إليه ، فيكون المعنى فى الآية : زُيِّن للذين كفرو وتزين الحياة الدنيا وسخروا ويسخرون من الذين آمنوا ، وعلى هذا فإنما اختير لفعل التزيين خصوص المعنى ولفعل السخرية خصوص المضارعة إيثاراً لكل من الصفتين بالفعل التى هى به أجدر ؛ لأن التزيين لما كان هو الأسبق فى الوجود وهو منشأ السخرية أوثر بما يدل على التحقق ، ليدل على ملكة واعتمد فى دلالته على الاستمرار بالاستتباع ، والسخرية لما كانت مترتبة على التزيين وكان تكرارها يزيد فى الذم ، إذ لا يليق بذى المروءة السخرية بغيره ، أوثرت . بما يدل على الاستمرار واعتمد فى دلالتها على التحقق دلالة الالتزام ؛ لأن الشئ المستمر لا يكون إلا محققاً)) [١]

وكلام الطاهر عن السر فى اختيار خصوص المضى لفعل التزيين وخصوص المضارعة لفعل السخرية ليعد إشارة إلى انسجام النظم ، كما ينم عن ذوقه فى إدراك خصائص الأفعال ، ودلالات الصيغ فى القرآن الكريم . وهذا البحث سيأتى فى أحوال المسند [٢] إلا إننى أردت أن أدلل بهذين الموضعين على أن الالتفات لا يقتصر على الصور التى قررها البلاغيون بل هنالك التفات وانتقال فى صيغ الأفعال ودلالتها وهو إثراء لبحث الالتفات . [٣] وسيأتى مزيد بيان لهذا البحث فى أحوال المسند

الأسلوب الحكيم :

وهو : تلقى المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢٩٦،٢٩٧

(٢) مجئ المسند اسماً أو فعلاً .

(٣) ولذلك ألحق العلوى هذا الموضوع بالضرب الثانى والثالث من ضروب الالتفات كما سبق .

وهو ضربان :

الأول :

حمل كلام المخاطب على معنى غير المعنى الذى يقصده وفيه شئ من المفاجأة ، وفيه شئ من الحكمة والتنبيه اللطيف على أن الأولى بمثل المخاطب أن يكون هذا المعنى مراده لا ما ذكره ، ومثاله : قول ابن القبعثرى للحجاج لما قال له متوعداً بالقيد : " لأحملنك على الأدهم " [١] : " مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب " وكأنه يقول للحجاج من طرفى خفى : الأولى بمثلك وهو فى هذا السلطان أن يهب الخيول الدهم لا أن يقيد ويعذب [٢]

الثانى :

جواب السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أن الأولى بحاله ، ومثاله قوله تعالى :﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ... ﴾ [٣] قالوا :" ما بال الهلال يبدوا دقيقاً مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ؟ " فأجابهم ببيان حكمته تنبيهاً على أنه هو الأولى بحالهم لا السؤال عن سببه [٤]

- **أما عن الإمام الطاهر :**

فلقد أشار إلى الأسلوب الحكيم فى عدة مواضع من سورة البقرة مبيناً أنه من أساليب الخروج على مقتضى الظاهر تنبيهاً للمخاطب على ما هو أولى بحاله وأحق بالسؤال عنه.

---

(١) أراد الحجاج بالأدهم القيد ، فحمله ابن القبعثرى على غير مراده وهو الفرس الذى غلب سواده على بياضه، وعطف عليه الأشهب وهو الفرس الذى غلب بياضه على سواده .

(٢) قال له الحجاج فى الثانيه : " إنه حديد فقال ابن القبعثرى : " لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً" فبين الحجاج انه قصد بالأدهم القيد الحديد فحمله ابن القبعثرى على الفرس ذى الحدة والنشاط . ينظر الإيضاح ١/١٢٠،١٢١

(٣) من الأية (١٨٩) من سورة البقرة .

(٤) ينظر الإيضاح ١/١٢١

يقول في قوله تعالى : ﴿ ... **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [١]

((والأظهر أن لا يكون قوله ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً** ﴾ جواباً للاستفهام في قول الذين كفروا ﴿ **مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً** ﴾ لأن ذلك ليس استفهاماً حقيقياً كما تقدم . ويجوز أن يجعل جواباً عن استفهامهم تخريجاً للكلام على **الأسلوب الحكيم** بحمل استفهامهم على ظاهره تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا عن حكمة ما أراد الله بتلك الأمثال ، فيكون قوله ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً** ﴾ جواباً لهم ورداً عليهم وبياناً لحال المؤمنين ...)) [٢]

ويلاحظ أن الطاهر يشير إلى الضرب الثاني من ضربي الأسلوب الحكيم ، وهو جواب السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله .

ويشير إلى نفس الضرب في قوله تعالى :

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ... ﴾ [٣]

((... يحتمل أن يكون السؤال عن السبب أو عن الحكمة ، فإن كان السؤال عن الحكمة فالجواب بقوله: ﴿ **قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ** ... ﴾ جاء على وفق السؤال وإلى هذا ذهب صاحب الكشاف ... وإن كان السؤال عن السبب فالجواب بقوله ﴿ **قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ** ﴾ يكون إخراجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف السائل إلى غير ما يتطلب ؛ تنبيهاً على أن ما صرف إليه هو المهم له لأنهم في مبدأ تشريع جديد ، وكان الأولى أن يسألوا الرسول ﷺ عن معرفة كون الأهلة ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالحج والصيام والعدة ولذلك صرفهم عن بيان مسئولهم إلى بيان فائدة أخرى ...)) [٤] هذا ولقد أشار الشهاب الخفاجي ، والألوسي إلى أن الآية من الضرب الثاني من ضربي الأسلوب الحكيم [٥]

وبهذا نصل إلى ختام المبحث الثالث وهو أحوال المسند إليه وأسراره البلاغية في تفسير الطاهر لسورة البقرة .

---

(١) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٥/١

(٣) من الآية (١٨٩) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١٩٥،١٩٤/٢ باختصار .

(٥) ينظر حاشية الشهاب ٤٧٧/٢ ، وروح المعاني ٧١/٢

وتبين من خلال ما سبق أن الطاهر تناول من أحوال المسند إليه " حذفه ، وتعريفه ، وتقديمه ، ووضع المظهر موضع المضمر ، والالتفات ، والأسلوب الحكيم "

كما اتضح أنه لم يهتم ببحثي " ذكر المسند إليه ، وتنكيره " وفيما يبدوا أنه تأثر بالبلاغين في ذلك حيث إن الحالين السابقين من أحوال المسند إليه لم يحظيا باهتمام كبير من البلاغين نظراً لقلة ما ينطويان عليه من أسرار بخلاف الأحوال الأخرى كالتعريف ووضع المظهر موضع المضمر والتقديم ... الخ

كما اتضح متابعة الطاهر للبلاغين فيما قرروه من أسرار للمباحث السابقة ، كذلك ما أضافه إلى هذه الأسرار مما فتح الله به عليه وخاصة في بحثي " تعريف المسند إليه ، ووضع المظهر موضع المضمر "

كما يلاحظ الأسلوب الممتع الذي يتناول به الطاهر النواحي البلاغية في الآيات ، وتطبيقه لنظرية النظم ، وهذه الطريقه التحليلية التي يتناول بها الآيات مما يحسب في رصيده . وسيأتي الحديث عن هذه الجهود كاملة في خاتمة البحث إن شاء الله . وأنتقل إلى المبحث الرابع من علم المعاني . وهو المسند وأسراره في تفسير الطاهر.

المبحث الرابع

المسند وأسراره البلاغية

فى تفسيـــر

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

- **أحوال المسند :**

بحث البلاغيون أحوال المسند كما بحثوا أحوال المسند إليه ، وذكروا من أحواله :

١- حذفه ٢- ذكره

٣-أغراض كونه اسماً أو فعلاً ٤- تعريفه

٥- تقديمه

وأكتفي بالإشارة إلى الأحوال الثلاثة الأخيرة لأنها هي التي تناولها الطاهر في تفسيره.

١-أغراض كونه اسماً أو فعلاً :[١]

ذكر الخطيب أن أغراض كون المسند فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن مع إفادة التجدد ، وأما كونه اسماً فلإفادة عدم التقييد والتجدد "

ومثال صيغة الفعل ، قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾[٢]

يقول الزمخشري :

((فإن قلت : لم قيل : " يقبضن " ، ولم يقل : " وقابضات " ؟ قلت : لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها ، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل ، على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض كما يكون من السابح))[٣] ومثال صيغة الاسم : قوله تعالى :

﴿ ... وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ... ﴾[٤]

- يفيد أن الكلب على هيئة وصفة ثابتة هي بسط الذراعين بالباب ، وهو على هذه الصورة الجامدة فتظل الصورة العامة لفتية الكهف يلفها سياج من المهابة والخشية "

﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[٥]

---

(١) ذكر الخطيب هذا الغرض بعد " أغراض إفراد المسند " ينظر الإيضاح ١٣٨/١

(٢) الآية (١٩) من سورة الملك .

(٣) ينظر الكشاف ٥٨٥/٤

(٤) من الآية (١٨) من سورة الكهف .

(٥) الآية (١٨) من سورة الكهف .

أما عن الإمام الطاهر :

فلقد كان له بحث قيم حول دلالة صيغ الأفعال والأسماء فى سورة البقرة ، ولاقى هذا الحال من أحوال المسند قدراً كبيراً من عنايته واهتمامه .

فعن أغراض كون المسند اسماً :

يقول فى قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [١]

((وقوله :﴿ **وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ جئ فى نفس قولهم بالجملة الإسمية ولم يجئ على وزان قولهم "آمنّا" بأن يقال وما آمنوا لأنهم لما أثبتوا الإيمان لأنفسهم كان الإتيان بالماضى أشمل حالاً لاقتضائه تحقق الإيمان فيما مضى بالصراحة ودوامه بالالتزام ، لأن الأصل ألا يتغير الاعتقاد بلا موجب كيف والدين هو ، ولما أريد نفى الإيمان عنهم كان نفيه فى الماضى لا يستلزم عدم تحققه فى الحال بله الاستقبال فكان قوله :

﴿ **وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ دالاً على انتفائه عنهم فى الحال ؛ لأن اسم الفاعل حقيقه فى زمن الحال، وذلك يستلزم انتفاءه فى الماضى بالأولى ، ولأن الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل فلذلك حكى بها كلاهم لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا آمنا **والجملة الاسمية تدل على الاهتمام بشأن الفاعل** أى أن القائلين آمناً لم يقع منهم إيمان فالاهتمام بهم فى الفعل المنفى تسجيل لكذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والإسمية ، وهو مُصَدَّق بقاعدة إفادة التقديم الاهتمام مطلقاً وإن أهملوا التنبيه على جريان تلك القاعدة عندما ذكروا الفروق بين الجملة الإسمية والفعلية فى كتب المعانى وأشار إليها صاحب الكشاف هنا بكلام دقيق الدلالة .)) [٢]

---

(١) الآية (٨) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٦٤، ٢٦٥

يتضح من خلال ما سبق ما ذكره الطاهر عن الفرق بين دلالة الجملة الاسمية والفعلية ، وهـــو كلام نفيس نقلته كاملاً لأهميته ، فلقد أشار إلى السر فى مجئ الجملة الإسمية ، كما حدد الفـــرق بين دلالة الجملة الاسمية والفعلية ، فالأولى : تدل على الاهتمام بشأن الفاعل والثانية : تدل على الاهتمام بشأن الفعل ، وأن البلاغين قد أهملوا هذه القاعدة فى كتب المعـــانى ، وأشـــار إليـــها صاحب الكشاف بكلام دقيق – يقول صاحب الكشاف : ((فإن قلت : كيف طابق قوله : " ومـــا هم بمؤمنين " قولهم : " آمنا بالله وباليوم الآخر " والأول فى ذكر شأن الفعل لا الفاعل ، والثانى فى ذكر فى شأن الفاعل لا الفعل ؟ قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك فى ذلك طريـــق أدى إلى الغرض المطلوب ، وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس فى غيره وهو إخراج ذواتـــــهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من المؤمنين .))[1]

ويلاحظ دقة الطاهر وإلمامه بكلام البلاغين .

ويقول فى قوله تعالى :

﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [2]

((وأوثرت الجملة الإسمية فى قوله **﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ ﴾** لإفادة الدلالة على الدوام والثبات أى هو وصفهم الملازم لجبلتهم ، وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلى دون حرف النفـــى يحتمل أن يكون للتخصيص بحاصل ما دلت عليه الجملة الإسمية من الدوام أى نحن الدائمون على التسبيح والتقديس دون هذا المخلوق)) [3]

وفى موضع آخر يقول فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَـــوْمِ الآخِـرِ وَعَمِـلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [4]

---

(١) ينظر الكشاف ٩٥،٩٤/١ باختصار .

(٢) من الآية (٣٠) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤٠٦/١

(٤) الآية (٦٢) من سورة البقرة .

((وقوله ﴿ولَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قراءة الجمهور بالرفع لأن المنفي خوف مخصوص وهو خوف الآخرة . والتعبير في الخوف بالخبر الإسمي وهو ﴿ ولَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ لإفادة نفي جنس الخوف نفياً قاراً ، لدلالة الجملة الإسمية على الدوام والثبات ، والتعبير في نفي خوف بالخبر الفعلي وهو " يحزنون " لإفادة تخصيصهم بنفي الحزن في الآخرة أي بخلاف غير المؤمنين . ولما كان الخوف والحزن متلازمين كانت خصوصية كل منهما سارية في الآخر)) [١]

ويقول في قوله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [٢]

((... وعُدِلَ عن الجملة الفعلية بأن يقال " وما يخرجون " إلى الإسمية للدلالة على أن هذا ثابت وأنه من صفاتهم ...)) [٣] [٤]

وتجدر الإشارة إلى أن تحليل الطاهر للآيات لا يختلف في نتيجته عما ذكره أبو السعود والشهاب الخفاجي ، والألوسي ، وغيرهم من المفسرين بيد أن الاختلاف بينهم وبين الطاهر يكمن في طريقة تناول الآيات وإدراك دلالات الألفاظ ! فعلى حين يشير بعضهم إلى هذه الأسرار بطريقة تقريرية يتناولها بعض آخر بطريقة تحليلية تحاول الوصول إلى غايات المعاني واستقصاء أسرار النظم ومن هنا يكون التمايز بين البلاغين!

أغراض كون المسند فعلاً :

إذا كانت دلالة الجملة الإسمية تدل على الثبات والدوام فإن دلالة الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث وعن ذلك يقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [٥]

((... وصفهم بقوله ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي بعد أن كانوا يكفرون بالبعث كما حكى القرآن في آيات كثيرة ، ولذلك اجتلبت في الإخبار عنهم بهذه الصلات صيغة المضارع الدالة على التجدد.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥٤١،٥٤٠/١

(٢) من الآية (١٦٧) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١٠٠/٢ باختصار .

(٤) من مواضع مجيء المسند اسماً الآيات (٨٣) ، (١٣٩) ، (١٦٢) (١٧٨)

(٥) من الآية (٣) من سورة البقرة .

إيذاناً بتجدد إيمانهم بالغيب ، وتجدد إقامتهم الصلاة والإنفاق إذ لم يكونوا متصفين بذلك إلا بعد أن جاءهم هدى القرآن ... ومجئ صلة الموصول فعلاً مضارعاً لإفادة أن إيمانهم مستمر متجدد كما علمت آنفاً ، أى لا يطرأ على إيمانهم شك ولا ريبة وقوله " ويقيمون الصلاة " عبر هنا بالمضارع كما وقع فى قوله " يؤمنون " ليصلح ذلك للذين أقاموا الصلاة فيما مضى وهم الذين آمنوا من قبل نزول الآية ، والذين هم بصدد إقامة الصلاة وهم الذين يؤمنون عند نزول الآية ، والذين سيهتدون إلى ذلك وهم الذين جاءوا من بعدهم إذ المضارع صالح لذلك كله لأن من فعل الصلاة فى الماضى فهو يفعلها الآن وغداً ، ومن لم يفعلها فهو إما يفعلها الآن أو غداً وجميع أقسام هذا النوع جعل القرآن هدى لهم . وقد حصل من إفادة المضارع التجدد تأكيد مادل عليه مادة الإقامة من المواظبة والتكرر ليكون الثناء عليهم بالمواظبة على الصلاح أصرح . » [١]

وكلام الطاهر السابق فيه إشارة واضحة إلى ترابط النظم وبناء بعضه على بعض خاصة عند قوله "

« وقوله : ويقيمون الصلاة " عبر هنا بالمضارع كما وقع فى قوله " يؤمنون " ...» كما يلمح إشارته إلى دلالة مادة الإقامة فى الآية ، والناحية الدلالية فى القرآن من الأمور التى اهتم بها الطاهر فى تفسيره اهتماماً كبيراً .

وفى موضع آخر يقول فى قوله تعالى :

﴿ ... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [٢]

« وجاء فى " تقتلون " بالمضارع عوضاً عن الماضى لاستحضار الحالة الفظيعة وهى حالة قتلهم رسلهم كقوله :

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ ... ﴾ [٣] مع ما فى صيغة " تقتلون " من مراعاة الفواصل فاكتمل بذلك بلاغة المعنى وحسن النظم »[٤] والطاهر لا يفتأ يشير إلى النظم وأسراره فى الآيات كما يشير إلى أكثر من نكتة بلاغية فى الآية الواحدة ، وذلك جزء من

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٣٢-٢٩٩ باختصار .

(٢) من الآية (٨٧) من سورة البقرة .

(٣) من الآية (٩) من سورة فاطر .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/٥٩٨

طريقة الطاهر التحليلية فى الكشف عن البلاغة القرآنية هذا ولقد أشار صاحب الكشـــاف إلـــى السر فى التعبير بلفظ المضارع فى الآية فقال : " فإن قلت : هلا قيل وفريقاً قتلتم ؟

قلت : هو على وجهين : أن تراد الحال الماضية ؛ لأن الأمر فظيع فـــأريد اســتحضاره فـــى النفوس وتصويره فى القلوب ..." [١]

كما أشار الإمام النسفى إلى رعاية الفواصل بقوله :

((... ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل . أو لأن المراد وفريقاً تقتلونه بعد)) [٢]

وجمع بينهما الطاهر على نحو بديع يكشف عن سر النظم !

وفى موضع آخر يقول فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَـــابِ أُولَـئِـكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [٣]

((وعبر فى ﴿ يَكْتُمُونَ ﴾ بالفعل المضارع للدلالة على أنهم فى الحال كاتمون للبينات والهدى ، ولو وقع بلفظ الماضى لتوهم السامع أن المعنى به قوم مضوا مع أن المقصود إقامة الحجة على الحاضرين . ويعلم حكم الماضيين والآتين بدلالة لحن الخطاب لمساواتهم فى ذلك ... واللعـــن الإبعاد عن الرحمة مع إذلال وغضب ، واختير الفعل المضارع للدلالة على التجدد مع العلم بأن لعنهم أيضاً فيما مضى إذ كل سامع يعلم أنه لا وجه لتخصيص الفهم بالزمن المستقبل ...)) [٤]

هذا ولقد أشار الطاهر إلى دلالة صيغة الفعل أو كون المسند فعلاً فى مواضع كثيرة من ســـورة البقرة ، وهى لا يختلف فى دلالتها وتوجيه الطاهر لها عن هذه المواضع ، وأكتفى بالإشارة إلى مواضعها لأنتقل إلى الحديث عن تعريف المسند وأسراره فى تفسيره [٥]

---

(١) ينظر الكشاف ١٨٩/١

(٢) مدارك التنزيل ٦١/١

(٣) الآية (١٥٩) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٦٦/٢-٦٨ باختصار .

(٥) من هذه المواضع الآيات (٤) ، (٣٣) ، (٨٥) ، (٩١) ، (١١٠) ، (١١٨) ، (١٤٢) ، (١٤٤) ، (١٥٢) ، (١٦٧) ، وغيرهـا من المواضع .

تعريف المسند :

ذكر البلاغيون أن تعريف المسند يكون لإفادة السامع إمّا حكماً على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك ، وإمّا لازم حكم بين أمرين كذلك .

ومثاله : إذا أردت أن تفيد مخاطبك انطلاق زيد ولم يكن يعرف شيئاً عن هذا الانطلاق قلت : زيد منطلق فإذا كان يعرف أن انطلاقاً قد وقع ولكنه لم يعلم أن هذا الانطلاق كان من زيد أو من عمرو وأردت أن تفيده أنه كان من زيد قلت له : زيد المنطلق [١]

- وقد يفيد تعريفه قصر المسند على المسند إليه حقيقة أو مبالغة . ومثال الأول : قولك : " زيد الأمير" إذا لم يكن أمير سواه ومثال الثاني : قولك : " عمرو الشجاع " أي الكامل في الشجاعة ، فتخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال " [٢]

- وقد يكون تعريفه للتقرير ، كقوله تعالى :

﴿ ... يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ ﴾ [٣]

((فالتعريف جاء في الذكور ليفيد التنويه والتشهير وكأنه قال :ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم)) [٤]

ويكون التعريف لأغراض أخرى حسب ما يدعوا إليه المقام ويقبله السياق .

- **أما عن الإمام الطاهر :**

فلم يهتم في تفسيره لسورة البقرة ببحث المسند كاهتمامه ببحث المسند إليه يقول في قوله تعالى :

﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٥]

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز صـ ١٧٨

(٢) ينظر الإيضاح ١/١٥٥

(٣) من الآية (٤٩) من سورة الشورى .

(٤) الكشاف ٤/٢٣٧

(٥) الآية (٥) من سورة البقرة .

((وقوله ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الضمير للفصل ، والتعريف في ﴿ المفلحــون ﴾ للجنس وهــو الأظهر إذ لا معهود هنا بحسب ظاهر الحال ، بل المقصود إفادة أن هؤلاء مفلحون ، وتعريف المسند بـــ " لام الجنس " إذا حمل على مسند إليه معرف أفاد الاختصاص فيكون ضمير الفصل لمجرد تأكيد النسبة ، أي تأكيد الاختصاص . فأما إذا كان التعريف للجنـــس وهــو الظــاهر فتعريف المسند إليه مع المسند من شأنه إفادة الاختصاص غالباً لكنه هنا مجــرد عــن إفــادة الاختصاص الحقيقي ، ومفيد شيئاً من الاهتمام بالخبر ، فلذلك جلب له التعريف دون التنكـــير ... وإليه أشار صاحب الكشاف بقوله : انظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصــاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشـــارة وتكريـــره وتعريـــف " المفلحين " وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين " أولئك " ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب مــا طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا)) [١]

أشار الطاهر إلى أن تعريف المسند إليه مع المسند من شأنه إفادة الاختصاص غالباً ، لكنه هنــا مجرد عن إفادة الاختصاص الحقيقي ، ومفيد شيئا من الاهتمام بالخبر ، فلذلك جلب له التعريف دون التنكير ، وبذلك يكون التعريف مجرد عن إفادة الاختصاص الحقيقي للاختصاص ومفيـــد لشئ من الاهتمام بالخبر ، وهو ما ذهب إليه الإمام عبد القاهر ومثل له بقولهم :

" هو البطل الحامي ، أي إذا سمعت بالبطل الحامي وأحطت به خبرا فهو فلان " [٢]

وإليه أشار صاحب الكشاف كما نقل عنه الطاهر . والسكاكي لم يتابع الشيخين على هذا فعـــدل عنه في المفتاح [٣]

أما عن الطاهر فإنه يميل إلى ما ذهب إليه صاحب المفتاح لقوله :

((والسكاكي لم يتابع الشيخين على هذا فعدل عنه في المفتاح ولله دره)) [٤] [٥]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٦/١ ، ٢٤٧ باختصار ، والكشاف ٨٦/١

(٢) ينظر دلائل الإعجاز صـــ ١٨٢

(٣) ينظر المفتاح صـــ١١٩، ١٢٠

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٦/١ ، وينظر تفسيره للآية (٩١) ٦٠٨/١

(٥) وإذا كان لنا أن نرجح فإني أميل إلى ما ذهب إليه الشيخان (عبد القاهر والزمخشري) فكما يقول الإمام عبد القاهر إن المعــول عليه في معرفة سر التعريف هو مراجعة النفس واستقصاء التأمل ، فإن الاهتمام بالخبر معنى دقيق لا يقل فـــي أهميتــه عــن الاختصاص وكأن الله يقول : إذا سمعت عن المفلحين وعرفت صفاتهم فهؤلاء هم ! إشارة إلى منزلتهم ومكانتهم . وذلـــك لا يتعارض مع ماذكره الطاهر ومال إليه متابعة للسكاكي . فسياق الآية يسمح بقبول المعنيين . والله أعلم .

وعن تعريف المسند بالموصولية ، يقول في قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ... ﴾ [١]

« وعدل عن تعريف المسند باسمه إلى الموصول لمحاكاة كلام المردود عليهم حين قالوا: " وما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " مع الإيماء إلى تعليل الحكمة المشار إليها بقوله :" إلا لنعلم " أي ما جعلنا تلك قبلة مع إرادة نسخها فالزمناكها زمناً لنعلم » [٢]

وكما يبدوا أن سر تعريف المسند بالموصولية لمحاكاة كلام المردود عليهم ... " وهذه الإشارة لم يسبق إليها الطاهر فيما أعلم .

ومن خلال ما سبق يتضح ما عرضه الطاهر حول تعريف المسند مع المسند إليه وإفادته للاختصاص ، وخلاف البلاغيين في ذلك ، وانتصاره لرأى صاحب المفتاح ومخالفته للشيخين عبد القاهر والزمخشرى .

(٣) تقديم المسند :

ذكر البلاغيون أن تقديم المسند يكون لتخصيصه بالمسند إليه كقوله تعالى :

﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [٣]

والمراد قصر نفى الغول عليها بخلاف خمر الدنيا فإن فيها غولاً ، ولو قال : لا غول فيها لأفاد نفى الغول عنها فقط من غير أن يتعرض وقد يكون التقديم للتفاؤل والتشويق إلى ذكر المسند إليه ، كقول الشاعر :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها ... شَمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ[٤]

ويكون التقديم لأغراض أخرى حسب ما يقتضيه السياق ويدعوا إليه المقام .

* ولقد أشار الإمام إلى هذه الأسرار فى تفسيره لسورة البقرة .

---

(١) من الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٢/٢

(٣) الآية (٤٧) من سورة الصافات .

(٤) البيت لمحمد بن وهيب فى مدح أبى إسحاق المعتصم .

يقول في قوله تعالى :

﴿ ومن الناس مَن يقولُ آمنّا باللهِ وباليومِ الآخرِ وما هم بمؤمنينَ ﴾[١]

((وقوله "ومنَ النّاسِ" خبر مقدم لا محالة...وقد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب لأن في تقديمه تنبيهاً للسامع على عجيب ما سيذكر ، وتشويقاً إلى معرفة ما يتم به الإخبار ولو أُخر لكان موقعه زائداً لحصول العلم بأن ما ذكره المتكلم لا يقع إلا من إنسان ... وإذا علمت أن قوله " من الناس " مؤذن بأن المتحدث عنهم ستساق فى شأنهم قصة مذمومة شنيعة إذ لا يُستر ذكرهم إلا لأن حالهم من الشناعة بحيث يستحى المتكلم أن يصرح بموصوفها وفى ذلك من تحقير شأن النفاق ومذمته أمر كبير فوردت فى شأنهم ثلاث عشرة آية نُعِيَ عليهم فيها خبثهم ومكرهم وسوء عاقبتهم ...))[٢]

وكما يلاحظ أن سر التقديم فى الآية " للتنبيه على عجيب ما سيذكر ، والتشويق إلى معرفة الخبر "

وعن تقديم المسند عليه للقصر ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣]

((وتقديم المسندين على المسند إليهما فى ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ لقصر المسند إليه على المسند أى ما كسبت الأمة لا يتجاوزها إلى غيرها وما كسبتم لا يتجاوزكم ، وهو قصر إضافى لقلب اعتقاد المخاطبين فإنهم لغرورهم يزعمون أن ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبوه هم من المعاصى أو يحمله عنهم أسلافهم .))[٤]

وعن تقديم المسند للاهتمام والتشويق إلى ذكر المسند إليه ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥]

" وتقديم ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ ﴾ على المبتدأ المسند إليه ، وهو " تربص " للاهتمام بهذه التوسعة

---

(١) الآية (٨) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٦٠ باختصار .

(٣) الآية (١٣٤) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/٧٣٥

(٥) الآية (٢٢٦) من سورة البقرة .

التى وسع بها على الأزواج ، وتشويق لذكر المسند إليه .)) [١]

أما عن تقديم المسند للتأكيد ، فيقول فى قوله تعالى :

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [٢]

((واللام للملك . والمراد بالسماوات والأرض استغراق أمكنة الموجودات ، فقد دلت الجملة على عموم الموجودات بالموصول وصلته ، وإذا ثبت ملكه للعموم ثبت أنه لا يشذ عن ملكه موجـود فحصل معنى الحصر ، ولكنه زاده تأكيداً بتقديم المسند – أى لا لغيره – لإفـادة الـرد علـى أصناف المشركين من الصابئة ومشركى العرب ؛ لأن مجرد حصول معنى الحصر بـالعموم لا يكفى فى الدلالة على إبطال العقائد الضالة . فهذه الجملة أفادة تعليم التوحيد بعمومها ، وأفـادت إبطال عقائد أهل الشرك بخصوصية القصر . وهذا بلاغة معجزة))[٣]

ويلاحظ من خلال ما سبق عناية الطاهر بأسرار التقديم ، ولكن تلك العنايـة ببحـث المسـند وأحواله أقل من عنايته ببحث المسند إليه وأحواله . وفيما يبدوا أن الطاهر كما سبق قـد تـأثر بدراسة البلاغيين لهذه الأحوال من ناحية الكم على أنه أشار إلى أسرار قد أغفلها البلاغيون مـن المفسرين فضلاً عن طريقته التحليلية فى الكشف عن البلاغة القرآنية [٤] وأنتقل إلـى المبحـث الخامس وهو " أحوال متعلقات الفعل "

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/٣٨٥

(٢) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣/٢٠

(٤) أشار الطاهر إلى تقديم المسند في مواضع أخرى منها الأيات(٧٨)،(١٩١)،(٢٧٢)

المبحث الخامس

أحوال متعلقات الفعل

وأسرارها البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

أحوال متعلقات الفعـــل :

بحث الخطيب تقييد الفعل بالمفعول ونحوه ، وبالشرط وأدواته فى أحوال المسند ، ولا يخفـى أن بحث " تقييد الفعل " يرتبط بأحوال متعلقات الفعل ، ولذلك أضفته إلى هذا المبحـــث ، وعليــه فأحوال متعلقات الفعل تشتمل على :

(١) تقييد الفعل وأغراضه .

(٢) حذف المفعول .

(٣) التقديم فى المتعلقات .

١- تقييــد الفعــل :

- إما أن يكون بالمفعول ونحوه كالحال والتمييز والاستثناء [١]
- وإما أن يكون بالشرط " إن ، وإذا ، ولو "
- فالتقييد بالمفعول لتربية الفائدة أى تكثيرها ، كقولك : " ضربت ضرباً شديداً " ، " وضربت زيداً يوم الجمعة" ومعنى ذلك أن قولك : ضربت أفاد فائدة ،فإذا قلت : ضربت زيــداً يــوم الجمعة زادت عن سابقتها،وهكذا كلما زاد الحكم قيداً زاد فائدة ، وأما ترك تقييده فلمانع مـن تربية الفائدة كعدم العلم بالمقيدات أو عدم الاحتياج إليها ، أو خوف انقضاء فرصة ،أو عـدم إرادة أن يطلع السامع أو غيره من الحاضرين على زمان الفعل أو مكانه أو غير ذلك مـــن الأغراض [٢]

- **أما عــن التقييــد بالشرط :**

فإن تقييد الفعل بأدوات الشرط "إن ، وإذا ، ولو "يكون لاعتبارات لا تعرف إلا بمعرفة ما بيــن هذه الأدوات من التفصيل .

فـــ " إن و إذا " للشرط في الاستقبال [٣] مثل قولك :

" إن جئتني أكرمتك " وكذلك " إذا "

---

(١) ينظر المطول صـــ١٥١

(٢) ينظر الإيضاح ١٤٠/١ ، والمطول صـــ١٥٢

(٣) أي تقييد حصول الجزاء بحصول الشرط في الاستقبال.

والفرق بينهما أن " إن " تستعمل في الشرط غير المقطوع بوقوعه ، تقول : "إن جئتني أكرمتك "إذا كنت غير قاطع بمجيئه .

أما "إذا " فتستعمل في الشرط المقطوع بوقوعه ، كقولك : "إذا جئتني أكرمتك " إذا كنت قاطعاً بمجيئه أو مرجحاً ذلك وهذا الفرق الكائن في أصل دلالتها هو الذي تتفرع عنه.الدلالات البلاغية لهاتين الأداتين .

فمثلاً قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(١)]

((أتى في جانب الحسنة بلفظة " إذا " لأن المراد بالحسنة الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به ، وعرفت تعريف الجنس ليشمل كل ما هو من جنس الحسنات ، وذكر لفظة " إن " في جانب السيئة لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة ولذلك نكرت))

• وقد تستعمل "إن " في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة :

- كالتجاهل لاستدعاء المقام إياه : كأن يُسأل خادم عن سيده :

هل هو في الدار ؟ وهو يعلم أنه فيها ، فيقول : " إن كان فيها أخبرك " فيتجاهل خوفاً من سيده .

- وتستعمل في القطع لعدم جزم المخاطب ، كقولك لمن يكذبك فيما تخبر :

"إن صدقت فقل لي ماذا تفعل ؟ "

- كذلك لتنزيل الشاك منزلة الجاهل لعدم جريانه على موجب العلم ،كما تقول لمن يؤذي أباه :

"إن كان أباك فلا تؤذه " . ولأغراض أخرى [(٢)]

• **مجيء الماضي لفظاً مع " إن " :**

تبين أن " إن و إذا " للشرط في الاستقبال ، فلا يصح أن يكونا الشرط وجوابه ماضيان لفظاً ومعنى ؛ لأن ذلك ينافي كونهما للمستقبل ، وقد قالوا إن الأصل أن تقول : "إن تكرمني أكرمك " ، فإذا قلت : "إن أكرمتني أكرمتك " كنت مشيراً بصيغة الماضي إلى رغبتك في

---

(١) الآية (١٣١) من سورة الأعراف .

(٢) كالتوبيخ على الشرط ، وتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به . ينظر الإيضاح ١٤٣/١

حصول الشرط حتى كأنك تبرزه في معرض الحاصل ، وهذا غرض من الأغراض التي ذكرها البلاغيون لمجيء الماضي لفظا مع " إن")) [١]

- **تقييد الفعل بـ "لو" الشرطية :**

ذكر البلاغيون أن "لو" للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء أى أنها موضوعة للدلالة على امتناع الجزاء لامتناع الشرط كانتفاء الإكرام في قولك : " لو جئتني لأكرمتك " ولذلك قيل : هي لامتناع الشئ لامتناع غيره ، ويلزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضياً ، فدخولها على المضارع في نحو قوله تعالى :

﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأ مر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ [٢]

لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً " فيكون المعنى : "أن امتناع عنتهم بسبب امتناع استمراره على إطاعتهم " [٣]

- **أما عن الإمام الطاهر :**

فلقد بحث في تفسيره أحوال متعلقات الفعل من تقييد للفعل ، وحذف للمفعول ، وتقديم في المتعلقات إلا أن بحثه لهذه الأحوال يختلف في الكم ، فعلى حين نراه يسهب في الحديث عن حذف المفعول نراه يوجز عند تقديم المفعول ويفصل في سائر المتعلقات ، أما عن تقييد الفعل بأدوات الشرط فله حولها بحث خصب .

- **فعن تقييد الفعل بـ " إن " :**

يقول في قوله تعالى :

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [٤]

---

(١) يأتي الماضي لفظاً مع "إن " لأغراض أخرى كالتفاؤل ، ولإظهار الرغبة في وقوع الشيء ، وللتعريض ، وغير ذلك .

(٢) الآية (٧) من سورة الحجرات .

(٣) ينظر الإيضاح ١/١٤٠-١٥١ ، والمطول صـ ١٥٣-١٧٣ ، وخصائص التراكيب ص ٢٥٣-٢٧٠

(٤) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

((وأتى بـ "إن " في تعليق هذا الشرط وهو كونهم في ريب وقد علم في فن المعاني اختصاص "إن " بمقام عدم الجزم بوقوع الشرط ؛ لأن مدلول هذا الشرط قد حَفَّ به من الدلائل ما شأنه أن يقلع الشرط من أصله بحيث يكون وقوعه مرفوضاً فيكون الإتيان بـ "إن "مع تحقق المخاطب علم المتكلم بتحقق الشرط توبيخاً على تحقق ذلك الشرط ، كأن ريبهم في القرآن مستضعف الوقوع ...)) [١]

وكما يلاحظ أن السر البلاغي وراء تقييد الشرط بـ " إن " التوبيخ على هذا الريب لأنه في محله " ويقول في قوله تعالى في شأن بني إسرائيل :

﴿ ... قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٢]

((وقوله "بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم " جواب الشرط مقدم عليه أو قل دليل الجواب ولأجل هذا جئ في هذا الشرط بـ "إن " التي من شأن شرطها أن يكون مشكوك الحصول وينتقل من الشكّ في حصوله إلى كونه مفروضاً كما يفرض المحال وهو المراد هنا ؛ لأن المتكلم عالم بانتفاء الشرط ولأن المخاطبين يعتقدون وقوع الشرط فكان مقتضى ظاهر حال المتكلم أن لا يؤتي بالشرط المتضمن لكونهم " مؤمنين " إلا منفياً ومقتضى ظاهر حال المخاطب أن لا يؤتى به إلا مع "إذا " ولكن المتكلم مع علمه بانتفاء الشرط فرضه كما يفرض المحال استنزالاً لطائرهم .

وفي الإتيان بـ "إن " إشعاراً بهذا الفرض حتى يقعوا في الشك في حالهم وينتقلوا من الشك إلى اليقين بأنهم غير مؤمنين حين مجيء الجواب وهو " بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم " وإلى هذا أشار صاحب الكشاف كما قال التفتازاني وهو لا ينافي كون القصد التبكيت لأنها معان يفضي بعضها إلى بعض فمن الفرض يتولد التشكيك ومن التشكيك يظهر التبكيت ..)) [٣]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٦/١

(٢) من الآية (٩٣) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٦١٣/١باختصار .

فالسر البلاغي وراء مجيئ الشرط استنزالاً لطائرهم ، والإتيان بـ "إن " إشعاراً لهم بحالهم حتى يقعوا في الشك في حالهم وينتقلوا منه إلى اليقين بأنهم غير مؤمنين .

ولقد ذكر الطاهر إشارة صاحب الكشاف إلى هذا السر ، يقول الزمخشري: " ... وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم .. وكذلك إضافة الإيمان إليهم وقوله : " إن كُنتمْ مُؤْمنين " تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له ." [١]

والتشكيك لا ينافي قصد التبكيت لأنه يفضي إليه ، وكلام صاحب الكشاف لا يقلل من جهد الطاهر الذي تناول الآية بالتحليل الدقيق الذي يربط أجزاء النظم بعضها ببعض فالسياق الواحد قد يحوي أسراراً عديدة ، وكما سبق أن النكت لا تتزاحم !

وفي موضع آخر يقول في قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٢]

((وجاء الشرط هنا بحرف "إن " المفيدة للشك في حصول شرطها إيذاناً بأن إيمانهم غير مرجو .)) [٣]

هذا ويرى صاحب الكشاف أن مجيء الشرط بـ "إن " للتبكيت يقول((... قوله "فَإِنْ آمَنُواْ " جاء بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير ، أي : فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة فقد اهتدوا ... ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأى الصواب ، فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به ، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك . ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراءه)) [٤]

وكما يلاحظ اختلاف الطاهر مع صاحب الكشاف حول السر فى مجئ الشرط بـ " إن " ، والسياق يقبل المعنيين ، وهكذا تختلف نظرات البلاغيين إلى المعانى التى تكمن وراء السياق .[٥]

---

(١) ينظر الكشاف ١٩٢/١ باختصار .
(٢) الآية (١٣٧) من سورة البقرة .
(٣) ينظر التحرير والتنوير ٧٤١/١
(٤) ينظر الكشاف ٢٢١/١ باختصار .
(٥) يرى البيضاوى أن مجئ الشرط بـ " إن " فى الآية للتعجيز والتبكيت تبعاً لصاحب الكشاف ينظر البيضاوى مع الشهاب ٤٠٣/٢-٤٠٥ وينظر تفسير الطاهر للآية (١٢٤) ٣٤٢/١

• **وعن تقييد الفعل بـ " إذا " الشرطية :**

يقول في قوله تعالى :

﴿وإذا لَقُوا الَّذِينَ آمنُوا قالوٓا آمنّا وإذا خَلَوْاْ إلى شَيَاطِينِهِم قالوٓاْ إنّا مَعَكُمْ إنّمَا نَحْنُ مُستَهزِؤونَ ﴾ [١]

((والتقييد بقوله ﴿ وإذا لَقُوا الَّذِينَ آمنُوا ﴾ تمهيداً لقوله ﴿ وإذا خَلَوْاْ ﴾ فبذلك كان مفيداً فائدة زائدة على ما في قوله : ﴿ ومن النَّاسِ مَن يَقولُ آمَنّا باللهِ ﴾ فليس ما هنا تكرار مع ما هناك ؛ لأن المقصود هنا وصف ما كانوا يعملون مع المؤمنين وإيهامهم أنهم منهم ولقائهم بوجوه الصادقين ، فإذا فارقوهم وخلصوا إلى قومهم وقادتهم خلعوا ثوب التستر وصرحوا بما يبطنون)) [٢]

وفي موضع آخر يقول في قوله تعالى :

﴿ فإذا أَمِنتُمْ فمن تَمَتَّعَ بالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ فما اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ ... ﴾ [٣]

((وجئ بـ " إذا " لأن فعل الشرط مرغوب فيه ، والأمن ضد الخوف ، وهو السلامة من كل ما يخاف منه ... والأظهر أن الأمن ضد الخوف ، من العدو ما لم يصرح بمتعلقه وفي القرآن " **ثم أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** [٤] " فإن لم يذكر له متعلق نزل منزلة اللازم فدل على عدم الخوف من القتال ...)) [٥] فالسر في مجئ الشرط بـ " إذا " لأن فعل الشرط مرغوب فيه .

ويقول في قوله تعالى :

﴿ فإن خِفتُم فَرِجَالًا أَوْ رُكبَانًا فإذا أَمِنتُم فَاذكُروا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تكونُوا تَعلَمُونَ ﴾ [٦]

((وجاء في الأمن بـ " إذا " وفي الخوف بـ " إن " بشارة للمسلمين بأنهم سيكون لهم النصر والأمن)) [٧] وكلام الطاهر حول " إذا " الشرطية في الآيات لا يختلف كثيراً عن كلام البلاغيين من المفسرين قبله .

---

(١) الآية (١٤) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٩/١

(٣) من الآية (١٩٦) من سورة البقرة .

(٤) من الآية (٦) من سورة التوبة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٢٢٥/٢

(٦) الآية (٢٣٩) من سورة البقرة .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ٤٧٠/٢

• تقييد الفعل بـ " لو " الشرطية :

أشار الطاهر إلى " لو " الشرطية في مواضع عديدة من سورة البقرة ، وله حولها مناقشات تدل على رسوخ قدمه في علمي البلاغة والنحو على السواء ، وسأشير إلى أبرز هذه المواضع .

يقول في قوله تعالى :

﴿ ... وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١)

((... وجواب " لو " محذوف لقصد التفخيم وتهويل الأمر لتذهب النفس في تصويره كل مذهب ممكن والتقدير على قراءة الجمهور لرأوا أمراً عظيما ... وقد جاء " لو " في مثل هذا التركيب بشرط مضارع ووقع في كلام الجمهور من النحاة (٢) أن " لو " للشرط في الماضي وأن المضارع إذا وقع شرطاً لها يصرف إلى معنى الماضي إذا أريد استحضار حالة ماضية وأما إذا كان المضارع بعدها متعيناً للمستقبل فأوله الجمهور بالماضي في جميع مواقعه وتكلفوا في كثير منها كما وقع لصاحب المفتاح (٣) وذهب المبرد وبعض الكوفيين إلى أن " لو " حرف بمعنى " إن " لمجرد التعليق لا الامتناع ، وذهب ابن مالك في التسهيل والخلاصة إلى أن ذلك جائز لكنه قليل وهو يريد القلة النسبية بالنسبة لوقوع الماضي وإلا فهو وارد في القرآن وفصيح العربية والتحقيق أن الامتناع الذي تفيده " لو " متفاوت المعنى ومرجعه إلى أن شرطها وجوابها مفروضان فرضاً وغير مقصود حصول الشرط ، فقد يكون ممكن الحصول ، وقد يكون متعذراً ؛ ولذلك كان الأولى أن يعبر بالانتفاء دون الامتناع لأن الامتناع يوهم أنه غير ممكن الحصول فأما الانتفاء فأعم وأن كون الفعل بعدها ماضيا أو مضارعا ليس لمراعاة مقدار الامتناع ولكن ذلك لمقاصد أخرى مختلفة باختلاف مفاد الفعلين في مواقعهما في الشروط وغيرها إذ كثيرا ما يراد تعليق الشرط بـ " لو " في المستقبل)) (٤)

---

(١) من الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٢) ينظر مغني اللبيب لابن هشام ٢٨٤/١-٣٠٠

(٣) ينظر المفتاح صـ ١٣٨،١٣٧

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٩٤/٢-٩٦ باختصار شديد .

وكلام الطاهر السابق غنى عن التعقيب عليه ، ونلمح فيه الدقة فى الربط بين كلام البلاغيين والنحويين إضافة إلى الإلمام بكلامهم ، فهو يريد أن يبين أن وقوع الفعل المضارع المتعين للمستقبل بعد " لو" لا يجب تأويله بالماضى فى جميع مواقعه كما ذهب الجمهور ووقع لصاحب المفتاح ، كما أن الامتناع الذى تفيده " لو" متفاوت المعنى تبعاً للفعلين المفروضين[١] فى مواقعهما إذ كثيراً ما يراد تعليق الشرط بـ " لو" فى المستقبل " ولذلك يقول الألوسى عن الشرط فى الآية ((وأورد صيغة المستقبل بعد " لو" و "إذا" المختصتين بالماضى لتحقيق مدلوله فيكون ماضيا تأويلاً مستقبلاً تحقيقاً فروعى الجهتين)) [٢]

وفى موضع آخر يقول فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [٣]

((ولو للشرط وجوابها محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره : لاتبعوهم ، والمستفهم عنه هو الارتباط الذى بين الشرط وجوابه ... ومثل هذا التركيب من بديع التراكيب العربية وأعلاها إيجازاً و " لو" فى مثله **تسمى وصلية** وكذلك " إن " إذا وقعت موقع " لو" ... وخص هذا النوع بحرفين " إن ، ولو" فى كلام العرب لدلالتهما على ندرة حصول الشرط أو امتناعه ، إلا أنه إذا كان الشرط نادر الحصول جاءوا معه بـ "إن " ، وإذا كان ممتنع الحصول جاءوا معه بـ " لو " كما فى هذه الآية . وربما أتوا بـ " لو" لشرط شديد الندرة للدلالة على أنه قريب من الممتنع ، فيكون استعمال " لو " معه مجازاً مرسلاًتبعياً . وذهب جماعة إلى أن " إن ، ولو" فى مثل هذا التركيب خرجتا عن الشرطية إلى معنى جديد . وسمى المتأخرون من النحاة " إن ، ولو" هاتين وصليتين ، وفسره التفتازانى فى المطول [٤] بأنهما لمجرد الوصل والربط فى مقام التوكيد ... وقد أشبعت الكلام على " لو " هذه ؛ لأن الكلام عليها لا يوجد مفصلاً "

---

(١) أى فعل الشرط وجوابه .

(٢) روح المعانى ٣٥/٢

(٣) الآية (١٧٠) من سورة البقرة .

(٤) ينظر المطول صـ١٧١

فى كتب النحو ، وقد أجحف فيه صاحب المغنى)) [١]

ونلمح من كلام الطاهر الفرق بين " إن ، ولو " فالأولى : تستعمل فى كلام العرب إذا كان الشرط نادراً . والثانية : تستعمل فى كلامهم إذا كان الشرط ممتنعاً وربما أتوا بـ " لو " فى شرط شديد الندرة للدلالة على أنه قريب من الممتنع " ونلمح كلامه عن " لو " الوصلية التى تأتى للربط والوصل فى مقام التأكيد ومعناها يختلف عن الشرطية ، والسياق هو الفيصل فى تحديد نوعها . [٢]

ويقول فى قوله تعالى :

﴿ ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣]

((وقوله **﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** تذييل لما اقتضاه شرط " لو " من الإمكان وامتناع الوقوع أى أن الله عزيز غالب قادر فلو شاء لكلفكم العنت ، لكنه حكيم يضع الأشياء مواضعها فلذلك لم يكلفكموه)) [٤]

ومن خلال ما سبق يتضح الجهد الذى بذله الطاهر فى بحث تقييد الفعل بأدوات الشرط " إن ، وإذا ، ولو " ورأينا كيف جمع بين كلام البلاغيين والنحويين فى تنسيق بديع ، وكيف فصّل ما أجملوه ، وهو جهد يضاف إلى رصيده ، كما إنه يكشف عن منهجه فى إظهار أسرار النظم القرآنى .

٢- حذف المفعول :

اعتاد البلاغيون أن يقدموا بين يدى هذا الحذف دراسة فى الفعل وتعلقاته ، قالوا : إنك إذا أردت أن تخبر عن مجرد وقوع الحدث وحصوله فأنت فى غنى عن ذكر الفاعل والمفعول ، فالعبارة عنه يقال : كان ضرب أو وقع أو نحو ذلك من ألفاظ الوجود المجرد كما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط تقول : ضرب محمد وإذا لم يكن قصدك أن تخبر بوقوع الفعل فحسب ولا بوقوعه من الفاعل فقط ، وإنما

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/١٠٦-١١٠ باختصار شديد ، وينظر مغنى اللبيب ١/٢٨٤-٣٠٠ ولقد أشار الطاهر إلى " لو " الوصلية عند الآية (٢٢١) وأحال على هذا الموضع .

(٢) ينظر تفسير الآية (١٠٣) فى التحرير والتنوير ١/٦٤٨،٦٤٩

(٣) من الآية (٢٢٠) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢/٣٥٨

قصدت إلى أن تفيد وقوع الفعل على مفعول معين فقد تعين ذكر المفعول أو تقديره ، وهو جُـلُّ الغرض وليس فضلةً فى الكلام » [١]

أما عن أغراض حذف المفعول :

فقد قالوا : « الفعل المتعدى إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين :

- **الأول** : أن يكون الغرض إثبات المعنى فى نفسه للفاعل على الإطلاق أو نفيه عنه كذلـــك .

أى من غير نظر إلى شئ وراء إثبات المعنى للفاعل ، مثل قولك : محمد يعطى ، فالغرض إثبات الإعطاء له من غير نظر إلى كونه يعطى قليلاً أو كثيراً ذهبـــاً أو فضـــة ، يعطـــى أصدقاءه أو أهله ، لا تنظر إلى شئ من هذا » [٢]

- **الثانى** : أن يكون الغرض [٣] إفادة تعلقه بمفعول بحسب القرائن .

- وحذف المفعول من اللفظ إما للبيان بعد الإبهام ، كما فى فعل المشيئة إذا لم يكن فى تعلقـــه بمفعوله غرابة نحو قوله تعالى : ﴿ ... فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤) أى لو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين فإنه متى قيل لو شاء علم السامع أن هناك شيئاً علقت المشيئة عليه لكنه مبهم عنده فإذا جئ بجواب الشرط صار مبيناً له وهذا أوقع فى النفس .

- والحذف قد يكون لرعاية الفاصلة ، كقوله تعالى :

﴿ وَالضُّحَى ○ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ○ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى ١-٣) أى وما قلاك .

- وقد يكون لقصد التعميم مع الاختصار ، كقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ... ﴾ (من الآية (٢٥) سورة يونس)

أى يدعوا العباد كلهم لأن الدعوة إلى الجنة تعم الناس كافة .

ويحذف المفعول لأغراض أخرى كالحذف للاختصار ، ولاستهجان ذكره ، ولدفع توهم أمـــر غير مراد ، ولغير ذلك .

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز صـــ ١٥٣، والإيضاح ١/١٦٥ ، والمطول صـــ ١٩٠،١٩١

(٢) وهذا الضرب قسمان : لأنه إما أن يجعل الفعل مطلقاً كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة وإما أن ينزل المتعدى منزلة اللازم فلا ينظر إلى مفعول به ولا يخطر بالبال . ينظر المراجع السابقة .

(٣) أى من الفعل المتعدى الذى لم يذكر له مفعول .

(٤) من الآية (١٤٩) من سورة الأنعام .

• **أما عن الإمام الطاهر :**

فلقد أشار في تفسيره إلى بعض هذه الأغراض التي ذكرها البلاغيون ، يقول في قوله تعالى :

﴿ ... ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

« وقوله **﴿ ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ ﴾** مفعول " شاء " محذوف لدلالة الجواب عليه وذلك شأن مفعول المشيئة والإرادة ونحوها إذا وقع متصلاً بما يصلح لأن يدل على مفعوله مثل وقوعه صلة لموصول يحتاج إلى خبر نحو ما شاء الله كان ، أي ما شاء كونه كان ، ومثل وقوعه شرطاً للو لظهور أن الجواب هو دليل المفعول ، وكذلك إذا كان فى الكلام السابق قبل فعل المشيئة ما يدل على مفعول الفعل نحو قوله تعالى : **﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ۞ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ... ﴾** (٢) قال الشيخ فى دلائل الإعجاز :

« إن البلاغة فى أن يجاء به كذلك محذوفاً وقد يتفق فى بعضه أن يكون إظهار المفعول هو الأحسن ، وذلك نحو قول الشاعر (٣) :

ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ ... عَليهِ ولكن ساحة الصبرِ أوسعُ

وسبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكى دماً فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره فى نفس السامع ... وتبعه صاحب الكشاف وزاد عليه أنهم لا يحذفون الشئ المستغرب إذ قال لا يكادون يبرزون المفعول إلا فى الشئ المستغرب إلخ ، وهو مؤول بأن مراده أن عدم الحذف حينئذ يكون كثيراً **وعندى أن الحذف هو الأصل لأجل الإيجاز** فالبليغ تارة يستغنى بالجواب فيقصد البيان بعد الإبهام وهذا هو الغالب فى كلام العرب ، قال طرفة :

وإن شئتَ لم ترقل وإن شئت أرقلت (٤) .

وتارة يبين بذكر الشرط أساس الإضمار فى الجواب كقوله تعالى :

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ ... ﴾ (٥) ويحسن إذا كان فى المفعول غرابة فيكون ذكره لابتداء تقريره كما فى بيت الخريمى والإيجاز حاصل على كل حال لأن فيه حذفاً إما من الأول أو من الثانى . وقد يوهم كلام أئمة المعانى أن المفعول الغريب يجب ذكره وليس كذلك

---

(١) من الآية (٢٠) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٦) وبعض الآية (٧) من سورة الأعلى .

(٣) هو إسحاق الخريمى مولى بنى خزيم من شعراء الرشيد .

(٤) صدر البيت وعجزه : مخافة ملوىّ من القدّ محصد .

(٥) من الآية (١٧) من سورة الأنبياء .

فقد قال الله تعالى : ﴿ ... قالوا لوْ شاء ربُّنا لأنزلَ ملائكة ... ﴾ [١] فإن إنزال الملائكة أمــر غريب . قال أبو العلاء المعرى :

وإن شئت فازعم أنّ من فــوق ظــهرها عبيدك واستشـــهدْ إلــهك يشـــهد

فإن زعم ذلك زعم غريب .)) [٢]

ويلاحظ من خلال كلام الطاهر عدة أمور :

الأول : أن البلاغة فى أن يؤتى بالمفعول محذوفاً .

الثانى : أن المفعول يحذف إذا دل عليه دليل ، وهو قرينة الحذف

الثالث : إذا كان المفعول غريباً فالأظهر ذكره لا حذفه ، وليس ذكره بواجب كما يوهــم كــلام أئمة المعانى والأمثلة قد تقدمت .

الرابع : يرى الطاهر أن الحذف هو الأصل لأجل الإيجاز ، ويحسن الذكر إذا كان فى المفعـول غرابة ، فيكون ذكره لابتداء تقريره.

الخامس : تفصيل قول صاحب الكشاف حيث يرى أن عدم حذف المفعول المســتغرب يكــون كثيراً .

وفى تقديرى أن رأى الطاهر له وجاهته حيث إنه يُعَوِّل على الأصل فى البلاغة وهو الإيجاز ، كما أنه إذا كان فى السياق من القرائن ما يشير إلى المحذوف فالذكر حينئذ عبث يجب الاحتراز عنه ما لم يكن وراء الذكر سر بلاغى يقتضيه المقام ، وليس مقصد الطاهر أن ذكر المفعول فى الأمر الغريب لغو بل إنه يرى أن الحذف أولى والذكر حسن لا واجب ، والذى دعاه إلى القـول بذلك ما ينطوى عليه الذكر من تقرير المعنى فى نفس السامع لتعلق الفعل بأمر مستغرب [٣]

نراه يُعوِّل على السياق عند حذف المفعول فى مواضع أخرى ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [٤]

---

(١) من الآية (١٤) من سورة فصلت .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٢،٣٢١/١

(٣) ينظر تفسير الآية (٢٢٠) فى التحرير والتنوير ، وينظر دلائل الإعجاز صـــ١٦٤، والكشاف ١١٩/١

(٤) الآية (٢٤) من سورة البقرة .

((ومفعول " تفعلوا " محذوف يدل عليه السياق أى فإن لم تفعلوا ذلك أى الإتيان بسورة مثله ...)) [١]

وفى قوله تعالى :

﴿ ... فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾ [٢] يقول :

((وقوله " آتِنَا " ترك المفعول الثانى لتنزيل المتعدى منزلة ما لا يتعدى إلى المفعول الثانى أو محذوف لقرينة قوله " حسنة " فيما بعد ، أى آتنا فى الدنيا حسنة)) [٣]

ويلاحظ على بحث " حذف المفعول " عند الطاهر عنايته باختلاف البلاغيين ، وتفصيله كلام صاحب الكشاف ، وتعويله على السياق فيما يتعلق بالمحذوف [٤]

٣- التقديم فى المتعلقات :

التقديم فى المتعلقات إما أن يكون على الفعل نفسه ، وإما أن يكون بتقديم بعض المتعلقات على بعض ، وكلا الضربين وراءهما سر بلاغى .

- **فأما عن تقديم المتعلق على العامل :**

فإنه غالباً ما يكون للاختصاص ، كقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥) أى نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بسواك " كما يفيد التقديم وراء التخصيص اهتماماً بشأن المقدم "

وقد يكون التقديم لمجرد الاهتمام ، ولقصد التبرك ، وللتلذذ ولموافقة كلام السامع ، ونحو ذلك من الأغرض التى تختلف باختلاف السياق والمقام .

- **وعن تقديم بعض المعمولات على بعض :**

فإما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول نحو " ضرب زيد عمراً " وإما لأن ذكره أهم والعناية به أتم .

فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٤٢/١

(٢) من الآية (٢٠٠) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٧/٢

(٤) من مواضع حذف المفعول فى سورة البقرة الآيتان (٨٧) ، (٢٨٢)

(٥) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

ممن وقع منه ، كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى فقُتِل وأردت أن تخبر بقتله فتقول :" قُتِل الخارجى " إذا ليس للناس فائدة فى أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذى يريدون معرفته هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره .

- ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، لا وقوعه على من وقع عليه ، كقوله تعالى :

﴿ ... وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ... ﴾ (1)

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم ... ﴾ (2)

قدم المخاطبين فى الأولى دون الثانية ؛ لأن الخطاب فى الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى : ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم . والخطاب فى الثانية للأغنياء بدليل قوله : ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ فإن الخشية تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حصل ، فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم.

- وقد يكون التقديم لأن فى التأخير إخلالاً ببيان المعنى كقوله تعالى :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ ... ﴾ (3)

" فإنه لو أخر ﴿ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ عن ﴿ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ ﴾ لتوهم أن " من " متعلقة بـ " كتم " ، فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون .

- ويكون التقديم للتناسب كرعاية الفاصلة ، كقولة تعالى :

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ (4)

- ويكون التقديم لا عتبار آخر مناسب كالأسبقية فى الفضل ولإفادة التخصيص (5)

- أما عن الإمام الطاهر فلقد أشار إلى تقديم المفعول والظرف والجار والمجرور وغير ذلك من المتعلقات مبيناً ما تنطوى عليه من أسرار ، ومالها من أثر فى نظم القرآن .

---

(١) من الآية (١٥١) من سورة الأنعام .
(٢) من الآية (٣١) من سورة الإسراء .
(٣) من الآية (٢٨) من سورة غافر .
(٤) الآية (٦٧) من سورة طه .
(٥) ينظر المطول صـ ٢٠٢ ، والإيضاح ١٧٦/١

فعن تقديم المفعول للاختصاص ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (١)

((وتقديم المفعول فى قوله **﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾** متعين للاختصاص ... وتقديمه مع اشتغال فعله بضميره آكد فى إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره فقوله **﴿ فإياى فارهبون ﴾** آكد من نحو **﴿ إياى ارهبون ﴾** كما أشار إليه صاحب الكشاف إذ قال " وهو من قولك زيداً رهبته وهو أوكد فى الاختصاص من إياك نعبد " اهـ .

ووجهه عندى أن تقديم المفعول يحتمل الاختصاص إلا أن الأصل فيه أن يدل على الاختصاص إلا إذا قامت القرينة على التقوى فإذا كان مع التقديم اشتغال الفعل بضمير المقدم كان الاختصاص أوكد أى كان احتمال التقوى أضعف ، وذلك لأن إسناد الفعل إلى الضمير بعد إسناده إلى الظاهر المتقدم يفيد التقوى فتعين أن تقديم المفعول للاختصاص دون التقوى إذ التقوى قد حصل أولاً بإسناد الفعل أولاً إلى الاسم أو الظاهر المتقدم وثانياً إلى ضمير المتقدم ولهذا لم يقل صاحب الكشاف (٢) وهو أكثر اختصاصاً ولا أقوى اختصاصاً إذ الاختصاص لا يقبل التقوية بل قال وهو أوكد فى إفادة الاختصاص أي أن إفادته للاختصاص أقوى لأن احتمال كون التقديم للتقوى قد صار مع الاشتغال ضعيفاً جداً ولسنا ندعى أن الاشتغال متعين للتخصيص فإنه قد يأتي بلا تخصيص (٣) غير أن الغالب أن يكون التقديم مع صيغة الاشتغال للتخصيص إذ العرب لا تقدم المفعول غالباً إلا لذلك ولا التفات إلى ما وجه به صاحب المفتاح أن احتمال المفعول في الاشتغال التخصيص والتقوى باق على حاله ولكنك إن قدرت الفعل المحذوف متقدم على المفعول كان التقديم للتقوى وإن قدرته بعد المفعول كان التقديم للتخصيص فإنه بناه على حالة موقع الفعل المقدر مع أن تقدير الفعل اعتبار لا يلاحظه البلغاء ولأنهم

---

(١) الآية (٤٠) من سورة البقرة

(٢) ينظر الكشاف ١/١٥٩

(٣) نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩)

بنصبون على موقعه قرينة فتعين أن السامع إنما يعتد بالتقديم المحسوس وبتكرير التعلق وأما الاعتداد بموقع الفعل المقدر فحوالة على غير مشاهد لأن التقدير إن كان بنية المتكلم فلا قبل للسامع بمعرفة نيته ولايصح أن يكون الخيار في التقدير للسامع ، هذا والتقدير إذا اقترن بالفاء كان فيه مبالغة ... فتحصل أن في التعبير عن مثل هذا الاختصاص في كلام البلغاء مراتب أربع :

- مجرد التقديم للمفعول نحو ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . وتقديمه على فعله العامل فى ضميره نحو زيداً رهبته . وتقديمه على فعله مع اقتران الفعل بالفاء نحو ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [١] وتقديمه على فعله العامل فى ضميره مع اقتران الفعل بالفاء نحو ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ فالثانية والثالثة والرابعة أوكد منهما .)) [٢]

- **ويلاحظ من خلال كلام الطاهر السابق عدة أمور :**

الأول : أن تقديم المفعول على عامله فى الآية متعين للاختصاص . بل أوكد فى الاختصاص من قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ كما قرر الزمخشرى.[٣]

الثانى : أن تقديم المفعول مع اشتغال الفعل بضمير المقدم أوكد فى إفادة الاختصاص احتمال التقوى أضعف.

الثالث : قد يأتى الاشتغال بلا تخصيص غير أن الغالب أن يكون التقديم مع صيغة الاشتغال للتخصيص .

الرابع : التعقيب على صاحب المفتاح فيما قرره من أن احتمال المفعول فى الاشتغال والتخصيص ، والتقوى باق على حاله إن قدرت الفعل المحذوف متقدم على المفعول كان التقديم للتقوى وإن قدرته بعد المفعول كان التقديم للاختصاص [٤] . وما بنى عليه صاحب المفتاح كلامه من اعتبار حالة موقع الفعل المقدر اعتبار لا يلاحظه البلغاء فالسامع إنما يعتد بالتقديم المحسوس ..."

الخامس : إذا اقترن التقديم بالفاء كان فيه مبالغة .

ثم يقرر الطاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن .

---

(١) الآية (٣) من سورة المدثر .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٤٥٤-٤٥٧ باختصار شديد .

(٣) ينظر المفتاح صـ ١٣١-١٣٣

(٤) خالف أبو حيان الزمخشرى فيما يتعلق بإفادة الاختصاص فى قوله تعالى﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ينظر البحر المحيط ١/٢٣،٢٤

فيقول : ((وأحسب أن مثل هذا التركيب من مبتكر أساليب القرآن ولم أذكر أني عثرت على مثله في كلام العرب)) (١)

ويلاحظ من خلال ما سبق إلمام الطاهر بخلاف البلاغيين ، وتعقيبه على ما يستحق التعقيب، وتفصيله لكلام صاحب الكشاف ، وهي جهود بلاغية بذلها للكشف عن أسرار القرآن . ويشير الطاهر إلى سر آخر من أسرار تقديم المفعول ، فيقول في قوله تعالى :

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (٢)

((وتقديم المفعول هنا (٣) لما فيه من الدلالة على التفصيل فناسب أن يقدم ليدل على ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ ... ﴾ (٤) وهذا استعمال عربي كثير في لفظ " فريق " وما في معناه نحو " طائفة " إذا وقع معمولاً لفعل في مقام التقسيم ...)) (٥)

وعن تقديم المفعول لقصد التشريف :

يقول في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٦)

((وتقديم المفعول وهو لفظ " إبراهيم " لأن المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم " رب " إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز فلذلك لم يقل وإذا ابتلى الله إبراهيم .)) (٧)

وغرض التشريف الذي ذكره الطاهر قد أشار إليه الألوسي في تفسيره ، ويرى ابن عطيه وأبو حيان في تفسيرهما أن التقديم للاهتمام (٨) والغرض الثاني لا يأباه السياق إلا أن قصد التشريف أنسب بالمقام من حيث إضافة اسم "رب" إلى إبراهيم عليه السلام . ومن خلال ما سبق يتضح أن بحث الطاهر لتقديم المفعول لا يختلف في جملته عن بحث البلاغيين له ، ويبقى للطاهر فضل التوضيح والتقسيم الدقيق لكلام البلاغيين إضافة إلى التعقيبات التي عقَّبَ بها على بعضهم والأغراض التي ذكرها ولم يسبق إليها .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٤٥٦/١

(٢) من الآية (٨٧) من سورة البقرة .

(٣) أي في قوله تعالى ﴿ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ ﴾ .

(٤) من الآية (٣٠) من سورة الأعراف .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٥٩٨/١ باختصار .

(٦) الآية (١٢٤) من سورة البقرة .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ٧٠٢/١

(٨) روح المعاني ٣٧٤/١ ، والمحرر الوجيز ٢٠٥/١ والبحر المحيط ٣٧٥/١

• **أما عن تقديم المتعلقات الأخرى كالظرف والجار والمجرور :**

فلقد أشار الطاهر إليها في مواضع من تفسيره ، فعن تقديم الظرف للاختصاص يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (١)

((وتقديم الظرف للاختصاص أى أن الأرض لله تعالى فقط لا لهم ، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين)) (٢)

وعن تقديمه للاهتمام ، يقول في قوله تعالى :

﴿ ... **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (٣)

((وتقديم الظرف للاهتمام بالخبر ؛ لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون فقدم ليصغي السامعون إلى المسند إليه ، بخلاف لو أخر فقيل : ﴿ **مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ وفي هذا إعلان لحقوق النساء ، وإصداع بها وإشادة بذكرها ومثل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب ، فلذلك كان محل الاهتمام .)) (٤)

• **وعن تقديم المجرور على عامله للاهتمام ورعاية الفاصلة :**

يقول في قوله تعالى : ﴿ ... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٥)

((وتقديم المجرور المعمول على عامله وهو " يُنفِقُون " لمجرد الاهتمام بالرزق في عرف الناس فيكون في التقديم إيذاناً بأنهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس كقوله تعالى :

﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ...** ﴾ (٦) مع رعي فواصل الآيات على حرف النون ، وفي الإتيان بـ " من " التي هي للتبعيض إيماء إلى كون الإنفاق المطلوب شرعاً هو بعض المال لأن الشريعة لم تكلف الناس حرجاً ، وهذا البعض يقل ويتوفر بحسب أحوال المنفقين .)) (٧)

---

(١) الآية (١١٥) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٨٣/١

(٣) من الآية (٢٢٨) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٩٧/١ باختصار .

(٥) من الآية (٣) من سورة البقرة .

(٦) من الآية (٨) من سورة الإنسان .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ٢٣٦/١

ويشير الطاهر إلى نفس الغرضين " الاهتمام ورعاية الفاصلة " في قوله تعالى :

﴿ ... **وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾[١] فيقول : ((وفي قوله تعالى " وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " تقديم للمجرور الذي هو معمول " يُوقِنُونَ " على عامله ، **وهو تقديم لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة** ، وأرى أن في هذا التقديم ثناءً على هؤلاء بأنهم أيقنوا بأهم ما يوقن به المؤمن فليس التقديم بمفيد حصراً إذ لايستقيم معنى الحصر هنا بأن يكون المعنى أنهم يوقنون بالآخرة دون غيرها ، وقدتكلف صاحب الكشاف وشارحوه لإفادة الحصر من هذا التقديم ، ويخرج الحصر عن تعلقه بذات المحصور فيه إلى تعلقه بأحواله وهذا غير معهود في الحصر.)) [٢]

وكما يتضح أن الطاهر يرى في التقديم غرضاً آخر وراء الاهتمام ورعاية الفاصلة ، وهو " الثناء على هؤلاء بأنهم أيقنوا بأهم ما يوقن به المؤمن " مما لايعني حصر إيمانهم في اليقين بالآخرة . ولذلك يعارض صاحب الكشاف وشارحيه في قولهم بإفادة الحصر من هذا التقديم . على أنه مما تجدر الإشارة إليه أن صاحب الكشاف لم يصرح بالاشارة إلى الحصر في هذه الآية يقول : ((وفي تقديم "وَبِالآخِرَةِ " وبناء "يُوقِنُونَ "على "هُمْ " تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس صادر عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه ...)) [٣] .

ولعل مراد الإمام الطاهر أن صاحب الكشاف يرى أن تقديم المعمول في مثل هذا التركيب يفيد الحصر وليس في الآية ، ولقد تقدم أن صاحب الكشاف يرى أن تقديم المعمول عل عامله يفيد الاختصاص ، ((وقد رفض أبو حيان دلالة تقديم المعمول على الاختصاص كما يقول الزمخشري ، واحتج بحجيج واهية)) [٤]

---

(١) من الآية (٥) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٠/١

(٣) ينظر الكشاف ٨٣/١

(٤) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري للأستاذ الدكتور /محمد أبو موسى صـ٣٤٠ ، ٣٤١حيث فصل الكلام في هذا الموضوع بما لامزيد عليه .

هذا ولقد فصل الأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى رأي صاحب الكشاف حول دلالة التقديم في المتعلقات على الاختصاص أو الحصر فقال : « وليس الحصر عنده محصورًا للحدث في الشئ دون كل ماعداه ، وإنما هو حصر له في شئ دون مايظن إثباته له أي هو حصر إضافي لاحقيقي ، وهو حصر للحدث في الأهم وماعداه كغير الملتفت إليه »[١] وساق من تفسير الزمخشرى مايشهد لكلامه .

وفي تقديري إن كان صاحب الكشاف يقصد من معنى الحصر ما ذكره الدكتور / أبو موسى فإنه لايتعارض مع ما يقتضيه الحصر إذيكون المعنى أن أهم ما يميزهم ويختصون به هو إيمانهم بالآخرة لا أنهم لا يؤمنون بغيرها ، ولكن لأن المقام مقام ذكر للصفات التي لأجلها استحقوا الإشارة إليهم بالهدى والفلاح ، كما أن من آمن بالآخرة فقد آمن بالغيب وأقام الصلاة وآتى الزكاة فكأن الله خصهم بالصفة التى تجمع تحتها كل الصفات ومما هو بسبب منها ! وعليه فلا محل لاعتراض الطاهر على صاحب الكشاف .

ويقول في قوله تعالى :

﴿ ... وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]

« وتقديم " رؤوف " ليقع "رحيم " فاصلة فيكون أنسب بفواصل هذه السورة لانبناء فواصلها على حرف صحيح ممدود يعقبه حرف صحيح ساكن ووصف " رؤوف " معتمد ساكنه على الهمز والهمز شبيهة بحروف العلة فالنطق به غير تام التمكن على اللسان وحرف الفاء لكونه يخرج من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا أشبه حرف اللين فلا يتمكن عليه سكون الوقف . وتقديم " بالناس " على متعلقه وهو " رؤوف رحيم "للتنبيه على عنايته بهم إيقاظًا لهم ليشكروه مع الرعاية للفاصلة . »[٣]

---

(١) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى صـ٣٣٧

(٢) من الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢٦ .

ويلاحظ من خلال ما سبق عناية الطاهر بتقديم المتعلقات كالظرف والجار والمجرور لرعاية الفاصلة ، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على إدراك الطاهر للناحية الصوتية في القرآن ، وأثرها في انسجام النظم .

وهذه الناحية الصوتية جزء من هذه اللغة ، وجزء من بلاغة القرآن . يقول العقاد :

((... إن التركيب الموسيقي أصل من أصول هذه اللغة لاينفصل عن تقسيم مخارجها ولاعن تقسيم أبواب الكلمات فيها ولاعن دلالة الحركات على معانيها ومبانيها بالإعراب أو الاشتقاق ، وهذا السبب الشامل هو الذي يسَّر النظم المطبوع لأصحاب السليقة الشعرية من الناطقين باللغة العربية منذ أقدم عصور الجاهلية إلى هذه الأيام)) [1]

وعن كون هذه الناحية الصوتية جزء من بلاغة القرآن :

يقول أبو الحسن الرماني : ((الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن الإفهام .. والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها " ثم يقول عن فواصل القرآن : " وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل عليها)) [2]

هذا ولقد نبه الطاهر إلى هذه الناحية الصوتية في مقدمة تفسيره عند حديثه عن " نظم القرآن " فقال :

((... لقد بنى نظمه على فواصل وقرائن متقاربة فلم تفته سلاسة الشعر ، ولم ترزح تحت قيود الميزان ، فجاء القرآن كلاماً منثوراً ولكنه فاق في فصاحته وسلاسته على الألسنة ، وتوافق كلماته وتراكيبه في السلامة من أقل تنافر وتعثر على الألسنة ... وكان لفصاحة ألفاظه وتناسبها في تراكيبه وترتيبه على ابتكار الفواصل العجيبة المتماثلة في الأسماع وإن لم تكن متماثلة الحروف في الأسجاع ، وكان لذلك سريع العلوق بالحوافظ خفيف الانتقال والسير في القبائل ...)) [3] [4]

---

(١) ينظر اللغة الشاعرة للأستاذ / عباس العقاد صـ ٢٨ باختصار ط نهضة مصر ١٩٩٥م.

(٢) ينظر من أسرار القرآن للأستاذ الدكتور / على حسن العمارى صـ ١٠٣ باختصار ط مكتبة وهبة- ط أولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١ م .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/١١٤-١١٩ باختصار شديد .

(٤) أشار الطاهر إلى مواضع أخرى لحذف المفعول والتقديم فى المتعلقات منها الأيتان (١١) ، (١٤٣)

المبحث السادس

القصر وأسراره البلاغية

فى تفسيــــر

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

• **المبحث السادس : القصر :**

(١) تعريفه وأغراضه (٢) أقسامه (٣) طرقه

(١) تعريفــه :

((عرفه أهل اللغة بالحبس ، يقول أحمد بن فارس القاف والصاد والـراء أصـلان صحيحـان أحدهما يدل على ألا يبلغ الشئ مداه أو نهايته والآخر على الحبس . والأصل الثاني هو الـذى نظر إليه البلاغيون لتحقق معناه الاصطلاحى ؛ لأنه لا يعدوا أن يكـون حبـس صفـة علـى موصوف فلا يوصف بها غيره ، أو حبس موصوف على صفة فلا يتصف بغيرها .)) (١)

وفى الاصطلاح : " تخصيص شئ بشئ بطريق معهود " (٢)

والشئ الأول هو المقصور ، والثانى هو المقصور عليه ، والطريق المعهود هو طرق القصـر المعروفة من العطف والنفى والاستثناء وإنما والتقديم (٣)

• **أغراضــه :**

١- من أهم أغراض " القصر " الإيجاز فالجملة الواحدة تتضمن حكميـن أحدهمـا إثبـات والآخر نفى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ (٤) فلقد تضمنت إثبـات العبادة لله ونفيها عمن سواه

٢- تمكين المعنى وتقريره فى الذهن ، وذلك إذا استدعاه المقام كأن يكون المخاطب منكـراً أو مُنَزَّلاً منزلة المنكر. فالأول : كقوله تعالى : ﴿ **... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْـنُ مَرْيَـمَ رَسُولُ اللَّهِ ...** ﴾ (٥)

والثانى : كقوله تعالى : ﴿ **... إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ (٦)

٣-المبالغة : وأكثر ما تكون فى القصر الادعائى حيث يُـنَزِّل المتكلم مـا عـدا المقصـور عليـه منـزلة المعـدود مبالغـةً فـى التصـاق المقصـور بالمقصـور عليـه

---

(١) ينظر دلالات التراكيب للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى صـ ٣٢، ٣٣ باختصار ط مكتبة وهبة - ط ثانية .

(٢) ينظر المطول صـ ٢٠٤

(٣) ينظر الإيضاح ٢/٣

(٤) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٥) من الآية (١٧١) من سورة النساء .

(٦) من الآية (٧) من سورة الرعد .

كقولك : ((لا عالم فى النحو إلا سيبويه ولا بالبلاغة إلا عبد القاهر)) مع أن المشتغلين بـــالنحو والبلاغة كثيرون، إلا أنك ادعيت أن من عدا سيبويه فى النحو وعبد القاهر فى البلاغة لا يعتــد بهم بالقياس إليهما مبالغةً فى كمال هاتين الصفتين بهما .

٤- **التعريض** : وذلك حينما يستعمل أسلوب القصر فى حكم معلوم للمخـــاطب ، فــلا يكــون الغرض إفادة المخاطب حكماً يجهله ، وإنما يكون الغرض التعريض بمعنى آخـــر يفـــهم مـــن السياق والمقام ، كقوله تعالى :

﴿ ... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ (١)

فمعلوم أن التذكر خاص بذوى العقول إلا أن فيه تعريضاً بالكفار الذين لم يتدبروا أمر الرســالة ويؤمنون بما نزل على محمد ﷺ بأنهم لالب لهم ولا عقل "

وهذه بعض الأغراض التى ذكرها البلاغيون للقصر ، وهناك أغراض أخرى كتنبيه المخـــاطب على خطئه ، وتعيين المبهم ، وغير ذلك من الأغراض التى تختلف باختلاف المقام (٢)

(٢) أقســام القصــر :

هناك أقسام كثيرة للقصر ، وألخصها فى قسمين أحدهما : باعتبار عموم النفى أو خصوصه : ويشمل الحقيقى ، والإضافى " غير الحقيقى "

- **فالحقيقى :**

أن يختص فيه المقصور بالمقصورعليه ولا يتعداه إلى غيره مطلقاً فيكون النفى فيه عاماً لكل ما عدا المقصور عليه، كقوله تعالى : **﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُـــوَ ... ﴾** (٣) ولقــد نظر البلاغيون إلى تخصيص الشئ بالشئ من حيث المطابقة للواقع أو بناؤه على المبالغة فنتــج من هذه النظرة ضربان من القصر هما : التحقيقىوالادعائى (٤)

فالتحقيقى : ما كان فى الحقيقة والواقع بأن تطابق النسبة الكلامية النسبةَ الخارجية مطابقةً تامــة كما فى الآية السابقة ، **والادعائى** : هو القصر المبنى على المبالغة أو القصر المجازى كما

---

(١) من الآية (١٩) من سورة الرعد .

(٢) ينظر فصول من علم المعانى للأستاذ الدكتور / فوزى عبد ربه صـــ ٢٧-٣٠ ط كلية الدراسات الإسلامية ١٩٩٦م .

(٣) من الآية (٥٩) من سورة الأنعام .

(٤) هذا التقسيم من أقسام القصر الحقيقى باعتبار الحقيقة والادعاء .

يسمى في دراسة بلاغة القرآن تحاشياً من وصف آي القرآن بالادعاء والمبالغة ، وهذا القصر لا يقوم على المطابقة الحقيقية للواقع فالنسبة الكلامية لا تطابقها النسبة الخارجية مطابقة دقيقة لأن فيها فضل تزيد ومبالغة تقول :

((" لم يتكلم في هذه المسأله إلا زيد " فتثبت الكلام له وتنفيه عن كل ما عداه ، والواقع أنه تكلم فيها غير زيد ولكنك لم تعتد بما قالوه استسقاطاً لكلامهم ، واستعظاماً لكلام زيد ، وكأن ما قاله الآخرون ليس شيئاً بالنسبة لما قاله زيد)) [١]

• **الإضافي :**

أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شئ آخر معين ، أي بالإضافة إليه ، بألا يتجاوز المقصور المقصور عليه إلى ذلك الشئ المعين وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره " [٢]

وكما يقول سعد الدين : " فتخصيصه بالمذكور ليس على الإطلاق بل بالإضافة إلى معين آخر كقولك :

" ما زيد إلا قائم " بمعنى أنه لا يتجاوز القيام إلى القعود ونحوه لا بمعنى أنه لا يتجاوزه إلى صفة أخرى أصلاً " [٣] وقسمه البلاغيون [٤] إلى ثلاثة أقسام :

(إفراد ، وقلب ، وتعيين)

- **فالإفراد** : ما يخاطب به من يعتقد الشركة ، أي الاشتراك في الحكم
- **والقلب** : ما يخاطب به من يعتقد العكس ، أي عكس الحكم الذي أثبته المتكلم .
- **والتعيين** : ما يخاطب به من تردد بين أمرين وتساوياً عنده .

ومثال الأقسام الثلاثة قولك : " ما شاعر إلا زيد " [٥]

• **الثاني : تقسيمه باعتبار الطرفين :**

وينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين : **قصر صفة على موصوف ، وقصر موصوف على صفة .**

---

(١) ينظر المطول صـ ٢٠٤ ، ودلالات التركيب صـ ٤٦

(٢) ينظر فصول من علم المعاني صـ٣١

(٣) ينظر المطول صـ ٢٠٤

(٤) هذا التقسيم من أقسام القصر باعتبار أحوال المخاطب

(٥) يخاطب بهذا المثال من يعتقد الشركة كأن يدعي أن عمراً شاعر ويخاطب به من يعتقد العكس ككون زيد كاتباً لا شاعراً ، ويخاطب به المتردد بين أمرين كمن تردد بين كونه شاعراً وكاتباً .

١- **فقصر الصفة على الموصوف :**

ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر أصلاً – إذا كان القصر حقيقياً – أو إلى موصوف آخر معين إذا كان إضافياً .

ومثال الحقيقى : قولك : " لا يخرج الحى من الميت إلا الله " فهذه صفة مختصة به تعالى لا تتجاوزه إلى غيره . ومثال الإضافى قولك : " لا كاتب إلا على " تريد أن صفة الكتابة مقصورة عليه لا تتعداه إلى رجل بعينه كإبراهيم .

٢- **قصر الموصوف على صفة :**

ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى . إذا كان قصرًا حقيقيًا – أو إلى صفة أخرى معينة إذا كان قصراً إضافياً . ومثال الحقيقى ، قولك : " ما محمد إلا أديب " تريد قصره على صفة الأدب بألا يتعداها إلى غيرها من الصفات ، وهذا النوع يتعذر تحققه ، ولا يكاد يوجد على حد قول صاحب الإيضاح ؛ لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة به أو تتعسر [١] [٢].

ومثال الإضافى قولك : " ما الحياة الدنيا إلا ميدان كفاح " تريد قصر الحياة على هذه الصفة بألا تتعداها إلى صفة أخرى معينة وهى كونها ميدان لهو ولعب .

- **طرق القصر :**

ذكر البلاغيون من طرق القصر [٣] ((العطف بـ بل ولا ولكن ، والنفى والاستثناء ، وإنما ، والتقديم)) .

١- **العطف بـ " بل ولا ولكن "** وكل منها يفيد أن حكم المعطوف بها يغاير المعطوف عليه بأن يكون متعاطفاها مختلفين إيجاباً وسلباً ، فإذا كان العطف بـ " لا" أفاد النفى بعد الإثبات ، كقولك : " محمد خاتم الأنبياء لا غيره " ، وإذا كان العطف بـ " بل ولكن " أفاد الإثبات بعد النفى كقولك : " ما زيد كاتب بل شاعر "

---

(١) ينظر الإيضاح ٢/٤

(٢) وقد يوجد هذا النوع فى الكلام وعند قصد الادعاء والمبالغة .

(٣) ذكر السيوطى فى الإتقان أن الطرق التى تفيد القصر أربعة عشر طريقا منها ضمير الفصل ، وتقديم المسند ، وذكر المسند إليه ، وتعريفه ، ... " الإتقان ٣/١٣٥-١٤٠

٢- **النفى والإستثناء** : كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفراداً وقلبـــاً : " مـــا زيـــد إلا شاعر " فإذا كان لنفى كونه كاتباً كان قصر إفراد وإذا كان لنفى أنه مفحم كان قصر قلب .

٣- **إنما** : وجمهور البلاغيين على أنها تفيد القصر لتضمنها معنى . " ما وإلا " كقوله تعـالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ... ﴾ (١) بالنصب أى ماحرم عليكم إلا الميتة (٢)

ويأتى " إنما" فى القصر بقسميه الحقيقى والإضافى ، وموقع المقصور عليه معه هـــو المؤخـــر دائما.

٢- **التقديـــم :**

والتقديم الذى يفيد القصر عند البلاغيين تقديم ما حقه التأخير كتقديـــم الخـــبر علـــى المبتـــدأ، والمعمول على العامل وقد سبق تفصيل ذلك فى تقديم المسند إليه ، وأحوال متعلقات الفعل.

- **تعريف المسند وضمير الفصل :**

وهما طريقان من طرق القصر لم يهتم بهما البلاغيون برغم مالهما من أثر فى أساليب القصـــر كقولك : ((محمد هو الشاعر" فمجيء : "هو" بعد قولك " محمد " أفاد أنك تقصد إلـــى تحديـــده وتمييزه وتخصيصه قبل أن تخبر عنه وهذا لايكون إلا إذا كنت حريصاً على ألا يشاركه غـــيره فى هذا الخبر ، وكذلك يتولد معنى القصر فى قولك " محمد الكاتب " من شيء خفـــى ولطيـــف ليس هو من متن الكلمة وانما فى حافتها ؛ وذلك لأن التعريف بـــ " لام الجنس " يفيد الجنســـية فالكاتب يفيد جنس الكاتب ،فهذه الأداة قد أفرغت على الكلمة هذا العموم الواسع فصار زيد كل كاتب ، فليس كاتب سواه وهذا هو معنى القصر)) (٣)

- وإذا انتقلنا إلى تفسير الطاهر لنقف على بحث القصر نجده قد أشار إلى أقسامه وطرقه فـــى مواضع كثيرة من تفسيره لسورة البقرة .

فعن القصر الحقيقى يقول فى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤)

((وقوله " الْكِتَابُ " يجوز أن يكون خبراً عن اسم الإشارة ويكون التعريف تعريف الجنس فتفيـــد الجملة قصر حقيقة الكتاب على القرآن بسبب تعريف الجزءين فهو إذن قصر ادعائى ، ومعناه

---

(١) من الآية (١٧٣) من سورة البقرة .

(٢) ينظر الإيضاح ١٢/٢

(٣) ينظر دلالات التراكيب صـــ ٩٣،٩٢

(٤) الآية (٢) من سورة البقرة .

ذلك هو الكتاب الجامع لصفات الكمال فى جنس الكتب بناء على أن غيره من الكتب إذا نسبت إليه كانت كالمفقود منها وصف الكتاب لعدم استكمالها جميع كمالات الكتب ...)) [١]

ويلاحظ إشارة الطاهر إلى نوع القصر وطريقه ، فالقصر حقيقى ادعائى لأن المقام لما كان لإثبات صدق القرآن استحق الوصف بأنه الكتاب الجامع لصفات الكمال دون غيره . وطريق القصر هو التعريف بـ " لام الجنس " وهو من طرق القصر التى أغفلها البلاغيون برغم ما له من أثر فى أساليب القرآن .

ويقول فى قوله تعالى :

﴿ ... يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾ [٢]

((... إن كان محمل " الفاسقين " على اليهود كان القصر حقيقيا ادعائيا أى يضل به كثيرا وهم الطاعنون فيه وأشدهم ضلالا هم الفاسقون ، ووجه ذلك أن المشركين فى شركهم وأما اليهود فهم أهل كتاب وشأنهم أن يعلموا أفانين الكتب السماوية وضرب الأمثال فإنكارهم إياها غاية الضلال فكأنه لا ضلال سواه)) [٣]

ويتضح أن طريق القصر هنا هو النفى والاستثناء ودلالته على القصر دلالة وضعية بخلاف طريق التعريف فى الآية السابقة كما يتضح أن القصر فى الآية حقيقى ادعائى إن كان المقصود بالفاسقين اليهود ، وذلك التحديد من قبل الطاهر يدل على إلمام كامل بالسياق وارتباط أجزائه . ولم يشر صاحب الكشاف إلى القصر فى هذه الآية والتى قبلها .

ويشير الطاهر إلى القصر الحقيقى وطريقة التقديم فى قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٤]

((وقوله ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أى يكون رجوعكم إليه... وتقديم المتعلق على عامله مفيد القصر

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٢١/١ باختصار .

(٢) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٧/١

(٤) الآية (٢٨) من سورة البقرة .

وهو قصر حقيقي للمخاطبين لإفادتهم ذلك إذ كانوا منكرين ذلك ، وفيه تأييس لهم من نفع أصنامهم إياهم إذ كان المشركون يحاجون المسلمين بأنه إن كان بعث وحشر فسيجدون الآلهة ينصرونهم)) [١]

ويشير الطاهر إلى طريقين من طرق القصر أغفلهما البلاغيون من المفسرين وهما " التعريف وضمير الفصل" : فيقول في قوله تعالى : ﴿ ... **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [٢]

((وجملة ﴿ **إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ تعليل لطلب التقبل منهما ، وتعريف جزء هذه الجملة والإتيان بضمير الفصل يفيد قصرين للمبالغة في كمال الوصفين له تعالى بتنزيل سمع غيره منزلة العدم . ويجوز أن يكون قصراً حقيقياً باعتبار متعلق خاص أي السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك وهذا قصر حقيقي مقيد ، وهو نوع مغاير للقصر الإضافي لم ينبه عليه علماء المعاني)) [٣]

ويلمح من خلال كلام الطاهر ما أضافه إلى كلام البلاغيين فيما يتعلق بـ " **القصر الحقيقي المقيد** " وهو كلام له وجاهته كما نلمح إشارته إلى طريقي القصر وهما " التعريف وضمير الفصل " وهما أيضاً من الطرق التي لم يهتم بها علماء المعاني اهتماماً كبيراً برغم ما لهما من أثر في نظم القرآن كما سبق . غير أن هناك تحفظ على كلام الطاهر فيما يتعلق بسر التعريف وضمير الفصل وهو المبالغة في كمال الوصفين له تعالى ... " فالأولى أن نتحاشى عن لفظة " مبالغة " فيما يتعلق بالقرآن ولذلك تحاشى علماء المعاني أن يطلقوا على **القصر الحقيقي** الادعائي " مبالغة " وسموه " القصر المجازي " غير أن ذلك لا يقلل من جهد الطاهر في الكشف عن سر القصر في الآية .

- **أما عن القصر الإضافي وطريقه " إنما "** :

فيقول في قوله تعالى :

﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾ [٤]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٧٧/١

(٢) من الآية (١٢٧) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٧١٩/١

(٤) الآية (١١) من سورة البقرة .

((وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[١] . جاءوا بـ " إنما " المفيدة للقصر باتفاق أئمة العربية والتفسير ولا اعتداد بمخالفة شذوذ في ذلك . وأفاد " إنما " هنا قصر الموصوف على الصفة رداً على قول من قال لهم : لا تفسدوا ، لأن القائل أثبت لهم وصف الفساد إما باعتقاد أنهم ليسوا من الصلاح في شئ أو باعتقاد أنهم قد خلطوا عملاً صالحاً وفاسداً ، فردوا عليهم بقصر القلب ، وليس هو قصراً حقيقياً لأن قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقياً ولأن حرف " إنما " يختص بقصر القلب كما في دلائل الإعجاز[٢] واختير في كلامهم حرف " إنما " لأنه يخاطب به مخاطب قصر على الخطأ كما في دلائل الإعجاز وجعلت جملة القصر اسمية لتفيد أنهم جعلوا اتصافهم بالإصلاح أمر ثابتاً دائماً ، إذ من خصوصيات الجملة الاسمية إفادة الدوام)) [٣]

ويتضح من خلال كلام الطاهر حول الآية عدة أمور :

الأول : فيما يتعلق بـ " إنما " ودلالتها على القصر ، وهذا محل اتفاق بين البلاغيين والمفسرين وأئمة العربية كما سبق .

الثاني : إشارته إلى طرفي القصر ، وهو هنا قصر موصوف على صفة ، وقلما يحدد الطاهر طرفي القصر في تحليله للآيات ، ويبدوا أن ما دفعه إلى تحديد طرفي القصر في الآية هو كلامه حول نوع القصر ، وأنه قصر قلب ؛ لأن قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقياً ، وقد سبق ما ذكره صاحب الإيضاح حول هذا النوع من القصر . وهو يتفق مع ما ذكره الإمام الطاهر [٤]

الثالث: اختصاص " إنما " بقصر القلب كما في دلائل الإعجاز ، وهذا الرأي للإمام عبد القاهر وحده [٥] ولم يناقشه فيه أحد من البلاغيين وقرروا أنها تأتي لكل صور القصر[٦]

الرابع : السر في اختيار " إنما " أنه يخاطب به مخاطب مصر على خطئه كما في دلائل الإعجاز ، وحقيقة إن " إنما " من الأدوات التي لها عدة معان ومواقع في القصر ، فقد تستعمل في التعريض وهذا من أفضل مواقعها كما قال الإمام عبد القاهر .. وأنها تستعمل في المعاني

---

(١) الآية (١١) من سورة البقرة .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز صـ٣٤٦

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٨٥

(٤) ينظر الإيضاح ٢/٤ ، والمطول صـ٢٠٥

(٥) ينظر دلائل الإعجاز صـ٣٥٤

(٦) دلالات التراكيب صـ١٤١

المأنوسة القريبة من النفوس فلا تدخل على الحقائق الغريبة والأفكار البعيدة ، بخلاف " ما و إلا " التى تأتى فى المعانى النافرة والحقائق النادرة ، وما ذكره الطاهر حول " إنما " تكلم عليه عبد القاهر فى دلائل الإعجاز فى " الفرق بين النفى والاستثناء وإنما" [١]

ويشير الطاهر إلى قصر القلب وطريقةُ ضمير الفصل فى قوله تعالى :

﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢] فيقول :

((وأنت " فى **﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾** ضمير فصل ، وتوسيطه من صيغ القصر فالمعنى قصر العلم والحكمة على الله قصر قلب لردهم اعتقادهم أنفسهم أنهم علىجانب من علم وحكمة حين راجعوا بقولهم: **﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾** أو تنزيلهم منزلة من يعتقد ذلك على الاحتمالين المتقدمين ، أو هو قصر حقيقى ادعائى مراد منه قصر كمال العلم والحكمة عليه تعالى)) [٣]

وعن القصر الإضافى وطريقه التقديم :

يقول فى قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٤]

((وتقديم المسندين على المسند إليهما فى **﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾** لقصر المسند إليه على المسند ، أى ما كسبت الأمة لا يتجاوزها إلى غيرها ، وما كسبتم لا يتجاوزكم ، وهو قصر إضافى لقلب اعتقاد المخاطبين فإنهم لغرورهم يزعمون أن ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبوه هم من المعاصى أو يحمله عنهم أسلافهم)) [٥]

أما عن القصر الإضافى ، وطريقه التعريف وضمير الفصل :

فيقول فى قوله تعالى :

﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [٦]

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز صـ ٣٣٢ ، ٣٣٣

(٢) الآية (٣٢) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤١٦/١

(٤) الآية (١٣٤) من سورة البقرة

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٧٣٥/١

(٦) الآية (١٢٠) من سورة البقرة

((... إضافة الهدى إلى الله تشريف والقصر إضافى . وفيه تعريض أن ما هم عليه يومئذ شئ حرفوه ووضعوه ... وقوله " هو الهدى " الضمير ضمير فصل . والتعريف فى الهدى تعريف الجنس الدال على الاستغراق ففيه طريقان من طرق الحصر هما ضمير الفصل وتعريف الجزأين ، وفى الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر وتأكيده للعناية به فأيهما اعتبرته طريق القصر كان الآخر تأكيد للقصر وللخبر أيضا . والتوكيد بـ " إن " لتحقيق الخبر وتحقيق نسبته وإبطال تردد المتردد لأن القصر الإضافى لما كان المقصود منه رد اعتقاد المخاطب قد لا يتفطن المخاطب إلى ما يقتضيه من التأكيد فزيد هنا مؤكد آخر وهو حرف " إن " اهتماماً بتأكيد هذا الحكم . فقد اجتمع فى هذه الجملة عدة مؤكدات هى : حرف إن ، والقصر ، إذ القصر تأكيد على تأكيد كما فى المفتاح[١] فهو فى قوة مؤكدين ، مع تأكيد القصر بضمير الفصل وهى تنحل إلى أربعة مؤكدات لأن القصر بمنزلة تأكيدين وقد انضم إليهما تأكيد القصر بضمير الفصل وتأكيد الجملة بحرف (إن))) [٢]

ويلاحظ عناية الطاهر بطريقى القصر اللذين أهملهما البلاغيون وهما " التعريف وضمير الفصل" برغم مالهما من أثر فى أسلوب القرآن . كما يلاحظ إشارته إلى المؤكدات التى اجتمعت فى الآية ، وهى لا شك تأتى فى محلها رداً على من يعتقد أن هناك هدى غير هدى الله . وهذا التحليل الدقيق للآية لم يشر إليه صاحب الكشاف ولم نجده عند المفسرين الذين اهتموا ببلاغة القرآن [٣]

ويلاحظ على بحث القصر عند الطاهر عدة أمور :

الأول : عنايته بطريقى القصر اللذين أهملهما البلاغيون من المفسرين وهما " التعريف وضمير الفصل " مبيناً ما لهما من أثر فى نظم القرآن .

---

(١) ينظر المفتاح صـ١٦٤

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٩٤

(٣) ينظر روح المعانى ١/٣٧١،٣٧٢

الثانى : إشارته إلى " القصر الحقيقى المقيد " وهو نوع من القصر لم ينبه عليه علماء المعانى ، وذلك عند تفسيره للآية (١٢٧)

الثالث : متابعته للبلاغيين فيما ذهبوا إليه من أن قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيـًا لا يكاد يوجد فى الكلام ؛ لأنه ما من موصوف إلا وله صفات تتعذر الإحاطه بها أو تتعسر كمـا يقول الخطيب .

الرابع : متابعته للإمام عبد القاهر فيما ذهب إليه من أن " إنما " يختص بقصر القلـب ، وهـو رأى لعبد القاهر وحده ، ولم يناقشه فيه كثير من البلاغيين ، وقرروا أنها تـأتى لكـل صـور القصر كما تقدم .

الخامس: متابعته للبلاغيين فى إفادة " إنما " للقصر ولا اعتداد بمخالفة شذوذ فى ذلك .

السادس : إشارته إلى منزلة القصر من التأكيد ، وأن وجوده فى أسلوب من الأساليب بمنزلـة مؤكدين لأنه تأكيد على تأكيد كما نقل عن صاحب المفتاح .

السابع : يلاحظ تحليلات الطاهر الممتعة التى تتناول السياق من نواح متعددة يحاول من خلالها الكشف عن مزايا النظم القرآنى وما ينطوى عليه من أسرار .

هذا ولقد أشار الطاهر إلى القصر فى مواضع كثيرة من سورة البقرة[١] ، وهى لا تختلف فـى منهج تناولها عما سبق ذكره .

---

(١) من مواضع القصر التى أشار إليها الطاهر فـى سـورة البقـرة الآيـات (١٣) ، (١٤) ، (١٦) ، (٢٧) ، (٣٢) ، (٥٧) ، (١٠٢) ، (١٢٠) ، (١٢١) ، (١٨١) ، (٢٢٩) ، (٢٥٤) ، (٢٥٥) ، (٢٧٥)

المبحث السابع

الإنشاء الطلبى

وأسراره البلاغية

فى تفسير

"التحرير والتنوير"

(سورة البقرة)

الإنشاء الطلبى :

قسم البلاغيون الإنشاء إلى ضربين : طلب وغير طلب

فالطلب : هو ما يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لا متناع تحصيل الحاصل ،وهو المقصود بالنظر هنا[١]

- **أنواع الطلب :**

(١) التمنى **(٢) الاستفهام** **(٣) الأمر**

(٤) النهى **(٥) النداء**

(١) التمنى :

وهو طلب حصول شئ على سبيل المحبة والشئ المطلوب يكون فى التمنى غير متوقع ، ويدخل فيه ما لا سبيل إلى تحقيقه . فإذا كان المطلوب متوقعاً كان الكلام ترجياً والعبارة عن ذلك تكون بـ " لعل وعسى " فإذا قلت : " ليت زيداً يجئ " كان وراء ذلك إحساس بأن مجئ زيد من الأمور المتوقعة .

أما غير الممكن فلا يأتى فيه الترجى نحو قولك : " ليت الشباب يعود يوماً " وأداته " ليت " . وهناك أدوات قد تستعمل فى التمنى مجازاً مثل : " هل " كقول القائل : " هل لى من شفيع ؟[٢] " فى مكان يعلم أنه لا شفيع فيه لإبراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ... **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا** ... ﴾ [٣] وقد يتمنى بـ " لو " كقوله تعالى :

﴿ **أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [٤]

فـ " لو " تفيد التمنى بدليل نصب المضارع بـ " إن " مضمرة بعد الفاء المسبوقة بها وذلك لا يكون فى هذا السياق إلا لإفادتها التمنى "[٥]

(١) **أما عن الإمام الطاهر :** فإن بحثه للتمنى من أصغر مباحث الإنشاء الطلبى فى تفسيره لسورة البقرة بخلاف بحث الاستفهام ، والأمر التى تجاوزت الثلاثين موضعاً فى السورة ، وفيما يبدوا أن ذلك يرجع إلى كثرة المعانى المجازية وقلتها وراء كل نوع من أنواع الإنشاء

---

(١) ينظر الإيضاح ٢/٢٨-٥٢ ، والمطول صـ ٢٢٤

(٢) استعمال "هل" فى التمنى لا يخرجها عن الاستفهام ، والآية إشارة إلى أن حاجتهم إلى شفيع غلبت على نفوسهم حتى صارت تفترض غير الواقع واقعا لإبراز المتمنى فى صورة الممكن . ينظر المطول صـ ٢٢٥

(٣) من الآية (٥٣) من سورة الأعراف .

(٤) الآية (٥٨) من سورة الزمر .

(٥) ينظر دلالات التراكيب صـ ٢٠٢

الطلبى ، ففى الاستفهام نجد البلاغيين تناولوه بالتفصيل لكثرة أدواته وكثرة معانيـــه المجازيــة بخلاف التمنى ، ويبدوا أن الطاهر قد تأثر بالبلاغيين فى هذه الناحية على أن ذلك لا يغض مـن جهده الذى قدمه والذى سنلحظه من خلال بحثه للآيات .

فعن الترجى بـــ " لعل " يقول فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

((و " لعل " حرف يدل على الرجاء . والرجاء هو الإخبار عن وقوع أمر فى المستقبل وقوعـــاً مؤكداً . فتبين أن " لعل " حرف مدلوله خبرى لأنها إخبار عن تأكد حصـــول الشـــئ ومعناهـــا مركب من رجاء المتكلم فى المخاطب وهو معنى جزئى حرفى وقد شاع عند المفسرين وأهـــل العلوم الحيرة فى محمل " لعل " الواقعة فى كلام الله تعالى لأن معنى الـــترجى يقتضـــى عـــدم الجزم بوقوع المرجو عند المتكلم فللشك جانب فى معناها حتى قال الجوهرى " لعل كلمة شـك " وهذا لا يناسب علم الله تعالى بأحوال الأشياء قبل وقوعها ولأنها قد وردت فى أخبار مع عـــدم حصول المرجو كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَـــرَاتِ لَعَلَّـــهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٢) مع أنهم لم يتذكروا كما بينته الآيات من بعد . وللعلماء فى تأويل " لعل " الواقعـة فى كلام الله تعالى وجوه :

أحدها : قال سيبويه " لعل " على بابها والترجى أو التوقع إنما هو فى حيز المخاطبين "

ثانيها : أن " لعل " للإطماع تقول : للقاصد لعلك تنال بغيتك قال الزمخشرى : " وقـــد جـــاءت على سبيل الإطماع فى مواضع من القرآن "

ثالثها : أنها للتعليل بمعنى " كى " قاله قطرب وأبو على الفارسى وابن الأنبارى .

رابعها : أنها مجاز وهو ما ذكره صاحب الكشاف فقال " ولعل الواقعة فى الآية موقع المجـــاز لأن الله خلق عباده ليتعبدهم ووضع فى أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم فـــى صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والمعصية كما ترجحت

---

(١) الآية (٢١) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٣٠) من سورة الأعراف .

حال المرتجى بين أن يفعل وأن لا يفعل [١].

ثم يذكر الإمام الطاهر رأيه فيقول :

((وعندى وجه آخر مستقل وهو أن " لعل " الواقعة فى مقام تعليل أمر أو نهى لـــها استعمال يغاير استعمال يغاير استعمال " لعل " المستأنفة في الكلام سواء وقعت فى كلام الله أم فى غيره، فإذا قلت : " افتقد فلاناً لعلك تنصحه " كان إخباراً باقتراب وقوع الشئ وأنه فى حيز الإمكان إن تم ما عُلِّق عليه فأما اقتضاؤه عدم جزم المتكلم بالحصول فذلك معنى التزامى أغلبى قـد يعلـم انتفاؤه بالقرينة وذلك الانتفاء فى كلام الله أوقع فاعتقادنا بأن كل شئ لـم يقـع أولا يقـع فـى المستقبل هو القرينة على تعطيل هذا المعنى الالتزامى دون احتياج إلى التأويل فى معنى الرجاء الذى تفيده " لعل" حتى يكون مجازاً أو استعارة لأن " لعل " إنما أتى بها لأن المقـام يقتضـى معنى الرجاء فالتزام تأويل هذه الدلالة فى كل موضع من القرآن تعطيل لمعنى الرجـاء الـذى يقتضيه المقام والجماعة لجأوا إلى التأويل لأنهم نظروا إلى " لعل " بنظر متحـد فـى مواقـع استعمالها [٢] بخلاف " لعل " المستأنفة فإنها أقرب إلى إنشاء الرجاء منها إلى الإخبـار بـه ... ولما كانت التقوى نتيجة العبادة جعل رجاؤها أثراً للأمر بالعبادة ، ... فالمعنى اعبـدوا ربكـم رجاء أن تتقوا فتصبحوا كاملين متقين ، فإن التقوى هى الغاية من العبادة فرجاء حصولها عنـد الأمر بالعبادة وعند عبادة العابد أو عند إرادة الخلق والتكوين واضح الفائده)) [٣]

والطاهر هنا يفصل بين " لعل " المستأنفة فى الكلام وبين " لعل" الواقعة فى تعليل أمر أو نـهى سواء وقعت فى كلام الله أم فى كلام غيره وهو يعول على السياق والقرينة كعادته .

---

(١) ينظر الكشاف ١٢٣/١

(٢) ينظر البحر المحيط ٩٥/١ ، وحاشية الشهاب ١٨/٢ ، وأبو السعود ٧٢/١، وغرائب القرآن ١٨١/١ ، وروح المعانى ١٨٥/١ ، وتفسير الرازى ٤٩٠/١.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٨/١-٣٣٠ باختصار .

غير أن مما يجب التنبيه إليه هو الفرق بين وقوعها فى كلام الله وكلام غيره ، وكلام الطاهر فى جملته كلام سديد ينم عن فهم وذوق بيد أنه لا يغض من كلام صاحب الكشاف حين حمل " لعل " على المجاز فى الآية ، ولذلك نرى الطاهر فى مواضع أخرى يتابع صاحب الكشاف فى حملها على المجاز !

• يقول فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١]

((والرجاء الذى يقتضية حرف " لعل " مستعمل فى معنى تقريب سبب التقوى بحضهم على الأخذ بقوة ، وتعهد التذكر لما فيه ، فذلك التقريب والتبيين شبيه برجاء الراجى . ويجوز أن يكون " لعل " قرينة استعارة تمثيل شأن الله حين هيألهم أسباب الهداية بحال الراجى تقواهم وعلى هذا محمل موارد كلمة " لعل" فى الكلام المسند إلى الله تعالى .وتقدم عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُم ﴾ " [٢]

• وقوله تعالى : ﴿ ... وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [٣]

يقول : ((﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ مجاز فى لازم معنى الرجاء وهو قرب ذلك وتوقعه .)) [٤]

• وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٥]

يقول : ((﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ " لعل " إما مستعارة لمعنى " كى " استعارة تبعية ، وإما تمثيلية بتشبيه شأن الله فى إدارته من تشريع الصوم التقوى بحال المترجى من غيره فعلاً ما)) [٦]

هذا ولقد أحال الطاهر فى مواضع أخرى من سورة البقرة على ما سبق ذكره من مواضع [٧]

---

(١) الآية (٦٣) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٥٤٢/١

(٣) من الآية (١٥٠) سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٤٧/٢

(٥) الآية (١٨٣) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ١٥٨/٢

(٧) الآيات (١٨٥) ، (١٨٩) ، (٢١٩) ، (٢٤٢) ، (٢٦٦) ، وغيرها من المواضع .

• أما عن " التمني " :

فلم أجد للطاهر إشارة إليه إلا في موضعين من سورة البقرة فيما أعلم .

• يقول في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ (١)

((و " لو " في قوله ﴿ لو أن لنا كرة ﴾ مستعملة في التمني وهو استعمال كثير لحرف " لو " وأصلها الشرطية حذف شرطها وجوابها واستعيرت للتمني بطريق اللزوم لأن الشئ العسير المنال يكثر تمنيه ، وسدّ المصدر مسد الشرط والجواب وتقدير الكلام لو ثبت لنا كرة لتبرأنا منهم وانتصب ما كان جواباً على أنه جواب التمني وشاع هذا الاستعمال حتى صار من معاني " لو " وهو استعمال شائع وأصله مجاز مرسل مركب وهو في الآية مرشح بنصب الجواب)) (٢)

والطاهر هنا يتفق مع البلاغيين فيما ذكروه حول التمني بـ " لو " يقول الخطيب " وقد يتمنى بـ " لو " كقولك : " لو تأتيني فتحدثني " بالنصب " (٣)

ويقول صاحب الكشاف عن التمني في الآية : ((لو في معنى التمني ولذلك أجيب بالفاء التي يجاب بها التمني ، كأنه قيل ليت لنا كرة ، فنتبرأ منهم)) (٤)

• ويقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ (٥)

((قيل إن " لو " للتمني على حد " لو أن لنا كرة " . والتحقيق أن " لو " التي للتمني هي " لو " الشرطية أشربت معنى التمني لأن الممتنع يتمنى إن كان محبوباً (وأحب شئ إلى الإنسان ما منعا) واستدل على هذا بأنها إذا جاءت للتمني أجيبت جوابين جواباً منصوباً كجواب ليت وجواباً مقترناً باللام كجواب الامتناعية ... والتمني على تقديره مجاز من الله تعالى عن الدعاء للإيمان والطاعة أو تمثيل لحال الداعي بحال المتمني فاستعمل له المركب الموضوع للتمني أو هو ما لو نطق به العربي في هذا الباب لنطق بالتمني ... وعلى هذا الوجه يكون قوله " لمثوبة " مستأنفاً واللام للقسم .)) (٦)

---

(١) الآية (١٦٧) من سورة البقرة
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٩٨/٢
(٣) الإيضاح ٢٩/٢
(٤) الكشاف ٢٣٨/١
(٥) الآية (١٠٣) من سورة البقرة
(٦) ينظر التحرير والتنوير ٦٤٩/١ ، ٦٥٠ باختصار

هذا ولقد أشار صاحب الكشاف إلى التمنى على سبيل المجاز ، فقال :

((ويجوز أن يكون قوله " ولو أنهم آمنوا " تمنياً لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له ، كأنه قيل وليتهم آمنوا . ثم ابتدئ " لمثوبة من عند الله خير)) (١)

ويلمح من تحليل الطاهر لهذه الآية والتى قبلها إشارته إلى أن " لو " تكون فى الشئ العسير المنال أو الشئ الممتنع ، ولقد أشار الأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى إلى هذا الفرق الدقيق بينها وبين ليت فقال :

((... فيما نظن أن " لو" تزيد المتمنى بعداً ... ويظهر هذا فى المثال المشهور " لو تأتينى فتحدثنى " بنصب " تحدثنى" فإن " لو" بمعنى " ليت " والفرق بين هذا وقولنا " ليتك تأتينى فتحدثنى " هو فيما نتوهم استبعاد الإتيان أكثر مع " لو " التى هى حرف امتناع لوجود))(٢)

وهو خيط رفيع يفصل بين الأداتين ولا يلمح إلا بالتأمل فى الأساليب العربية وفى نظم القرآن!

(٢) الاستفهام :

وهو طلب حصول صورة الشئ فى الذهن .

فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور (٣)

والهمزة : وحدها هى التى يسأل بها عن كل شئ فى الجملة فتأتى لطلب التصديق كقولك " أقام زيد ؟ وأزيد قائم ؟ " ولطلب التصور كقولك : " أدبس فى الإناء أم عسل ؟ " (٤)

والمسئول عنه بها هو ما يليها ، وهذا يعنى من وجه آخر أن بقية أجزاء الجملة لا شك فيها ، فإذا قلت : " أزيداً أكرمت ؟ " اقتضى هذا أنك تشك فى المفعول فقط .

أما عن ذكر المعادل مع الهمزة فإن كانت لطلب التصديق لا يذكر معها معادل (٥)

كقولك : " أحضر الأمير " ؟ وفى هذه الحالة يجاب بـ " نعم " او " لا " والتصديق يكثر فى

---

(١) ينظر الكشاف ٢٠٠/١

(٢) ينظر دلالات التراكيب صـ٢٠٢ باختصار .

(٣) ينظر المطول صـ٢٢٦

(٤) ينظر الإيضاح ٣١،٣٠/٢ والدبس : عصارة الرطب .

(٥) فإن جاءت " أم " بعدها قدرت منقطعة وتكون بمعنى " بل " .

الجمل الفعليه كالمثال السابق ، ويقل فى الجمل الإسمية نحو " أعلى مسافر " ؟
وإذا كانت لطلب التصور ، ويذكر معها غالباً معادل مع لفظة " أم " كقولك : " أعلى مسافر أم سعيد" ؟ وفى هذه الحالة يجاب بالتعيين فيقال : سعيد مثلاً . وعن ضابط الاستفهام عن التصور والتصديق يقول السيوطى : ((وضابط الاستفهام عن التصور والتصديق أن الأول يصلح أن يأتى بعده " أم " المتصلة دون المنقطعة والثانى عكسه ، وأن الأول يكون عند التردد فى تعيين أحد شيئين أحاط العلم بأحدهما لا بعينه . والثانى : يكون عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها ونفيها ...)) [١]

- **أما عن الإمام الطاهر :**

فكما تقدم أن بحث الاستفهام من أكبر مباحث الإنشاء الطلبى عنده نظراً لكثرة أدواته ومعانيه المجازية واتساع دلالاته وبحثها عند البلاغيين ، وسنرى للطاهر بحث قيم حول الاستفهام فى سورة البقرة جمع فيه بين كلام النحاة والبلاغيين ، وأضاف معان جديدة إلى معانيه المجازية ، كما عقب على ما يستحق التعقيب .

- **فعن همزة الاستفهام :**

فإنها تخرج عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية كثيرة كالتوبيخ ، والإنكار ، والتعجب ، والتقرير ، وغير ذلك . والذي يحدد هذا المعنى هو السياق والمقام .

- **فعن مجئ الاستفهام بها للإنكار يقول الطاهر في قوله تعالى :**

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢]

((وقوله **﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء ﴾** استفهام للإنكار، قصدوا منه التبرؤ من الإيمان على أبلغ وجه ...))[٣]

- **وعن مجئ الاستفهام للإنكار والتوبيخ :**

يقول في قوله تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [٤]

---

(١) ينظر شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان صـ٤٩ ط الحلبي ١٣٥٨ هـ
(٢) الآية (١٣) من سورة البقرة .
(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٧/١
(٤) الآية (٤٤) من سورة البقرة .

((وقوله ﴿ أَتَأْمُرُونَ ﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ لعدم استقامة الحمل على الاستفهام الحقيقي فاستعمل في التوبيخ بقرينة المقام ... وقوله ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ استفهام عن انتفاء تعقلهم مستعملاً في الإنكار والتوبيخ نزلوا منزلة من انتفى عقله فأنكر عليهم ذلك ، ووجه المشابهة بين حالهم وحال من لايعقلون أن من يستمر به التغفل عن نفسه وإهمال التفكر في صلاحها مع مصاحبة شيئين يذكرانه قارب أن يكون منفياً عنه التعقل)) [١]

ويلاحظ أثر السياق والمقام في تحديد المعنى المجازي للاستفهام ولأجل ذلك تختلف نظرات البلاغيين إلى السياق ، وبالتالي يختلف إدراكهم للمعاني المجازية فمثلاً الآية التي معنا على حين يرى الطاهر أن الاستفهام فيها للتوبيخ والإنكار يرى صاحب الكشاف أنه " للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم " [٢]

وبلاغة القرآن تقبل هذه المعاني المجازية تبعاً للسياق وقرائنه ، وكما هو معلوم أن النكت لا تتزاحم !

• **وعن مجئ الاستفهام للتقرير والتوبيخ والتحضيض :**

يقول الطاهر في قوله تعالى : ﴿ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [٣]

((الاستفهام فيه على غير حقيقته فهو إما مجاز في التقرير أي ليسوا يعلمون ذلك والمراد التقرير بلازمه وهو أنه إن كان الله يعلم فقد علم رسوله وهذا لزوم عرفي ادعائي في المقام الخطابي أو مجاز في التوبيخ والمعنى هو هو . أو مجاز في التحضيض أي أهل كان وجود أسرار دينهم في القرآن موجباً لعلمهم أن الله يعلم ما يسرون والمراد لازم ذلك أي يعلمون أنه منزل عن الله أي هلا كان ذلك دليلاً على صدق الرسول عوضاً عن أن يكون موجباً لتهمة قومهم الذين تحققوا صدقهم في اليهودية وهذا الوجه هو الظاهر لي ويرجحه التعبير بـ ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ المضارع دون علموا ، وموقع الاستفهام مع حرف العطف في قوله : ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ وقوله ﴿ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وسيأتي الكلام على نظائره وخلاف علماء العربية فيه عند قوله تعالى : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم ﴾)) [٤]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٤٧٧-٤٧٥/١ باختصار .

(٢) ينظر الكشاف ١٦٢/١

(٣) الآية (٧٧) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٥٧٢/١

• **وعن مجئ الاستفهام للتعجب أو التقرير أو الإنكار :**

يقول في قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ (١)

((واعلم أن تركيب " ألم ترا إلى كذا " إذا جعل فعل الرؤية فيه متعدياً إلى ما ليس من شأن السامع أن يكون رآه كان مقصوداً منه التحريض على علم ما عُدى إليه فعل الرؤية وهذا مما اتفق عليه المفسرون ، ولذلك تكون همزة الاستفهام مستعملة في غير معنى الاستفهام بل في معنى مجازى أو كنائى ، من معانى الاستفهام غير الحقيقي ، وكان الخطاب به غالباً موجهاً إلىغير معين ، وربما كان المخاطب مفروضاً متخيلاً ... ولنا في بيان وجه إفادة التحريض من ذلك التركيب وجوه ثلاثة :

الأول : أن يكون الاستفهام مستعملاً في التعجب أو التعجيب من عدم علم المخاطب بمفعول فعل الرؤية ...

الثاني : أن يكون الاستفهام تقريرياً فإنه كثر مجيئ الاستفهام التقريري في الأفعال المنفية مثل : **﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾** (٢)

الثالث : أن تجعل الاستفهام إنكارياً ، إنكار لعدم علم المخاطب بمفعول فعل الرؤية والرؤية علمية أو تكون الرؤية بصرية ضمن الفعل معنى تنظر على أن أصله أن يخاطب به من غفل عن النظر إلى شئ مبصر ويكون الاستفهام إنكارياً حقيقة أو تنزيلاً ، ثم نقل المركب إلى استعماله في غير الأمور المبصرة فجرى مجرى المثل ... واستفادة التحريض على الوجوه الثلاثة إنما هي عن طريق الكناية بلازم معنى الاستفهام لأن شأن الأمر المتعجب منه ، أو المقر به ، أو المنكور علمه ، أن تتوافر الدواعي على علمه وذلك مما يحرض على علمه)) (٣)

والظاهر كما سبق يعول على السياق والقرائن في إدراك معنى الاستفهام . ولذلك نراه يشير في بعض المواضع إلى أن الإستفهام يحمل على الحقيقة ، والفيصل في ذلك هو السياق والقرائن .

---

(١) الآية (٢٤٣) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١) من سورة الشرح .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤٧٦/٢ ، ٤٧٧ باختصار .

يقول في قوله تعالى :

﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ... ﴾ (١)

((والاستفهام المحكي من كلام الملائكة على حقيقته مضمن معنى التعجب والاستبعاد من أن تتعلق الحكمة بذلك فدلالة الاستفهام على ذلك هنا بطريق الكناية مع تطلب ما يزيل إنكارهم واستبعادهم فتعين بقاء الاستفهام على حقيقته خلافاً لمن توهم الاستفهام هنا لمجرد التعجب ...)) (٢)

والفقرة الأخيرة من كلام الطاهر – فيما يبدوا – أنها إشارة إلى رأي صاحب الكشاف ؛ حيث يرى أن الاستفهام في الآية للتعجب ، يقول : ((وقوله ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل ...)) (٣)

• **وعن مجيئ " أم " المتصلة مع همزة الاستفهام :**

يقول في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

((وقوله ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا ﴾ الاستفهام غير حقيقي بدليل قوله بعده " بَلَى " فهو استفهام تقريري للإلجاء إلى الاعتراف بأصدق الأمرين وليس إنكاري لوجود المعادل وهو " أَمْ تَقُولُونَ " لأن الاستفهام الإنكاري لامعادل له ... ، و " أَمْ " في قوله : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ معادلة همزة الاستفهام فهي متصلة وتقع بعدها الجملة كما صرح به ابن الحاجب في الإيضاح وهو التحقيق كما قال عبد الحكيم فما قاله صاحب المفتاح من أن علامة أم المنقطعة كون مابعدها جملة أمر أغلبي ولامعنى للانقطاع هنا لأنه يفسده ما أفاده الاستفهام من الإلجاء والتقرير .)) (٥)

ويلاحظ من كلام الطاهر أن الاستفهام في الآية للإنكار ، وأنه لامعادل له لأن الاستفهام الإنكاري لامعادل له ، وأن " أَمْ " متصلة كما يرى ابن الحاجب وعبد الحكيم .

---

(١) من الآية (٣٠) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٤٠٢/١
(٣) ينظر الكشاف ١٥٤/١
(٤) الآية (٨٠) من سورة البقرة .
(٥) ينظر التحرير والتنوير ٥٨٠/١

ولكن صاحب الكشاف يرى أن " أم " في الآية يجوز أن تكون منقطعة ، فيقول :

((وأم إما أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير ، لأن العلم واقع بكون أحدهما . أن تكون منقطعة))[1]

وما قرره صاحب الكشاف تبعه عليه ابن هشام في مغنى اللبيب ، فقال :

((قد ترد أم محتملة للاتصال والانقطاع : فمن ذلك قوله تعالى : **﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾** [2] والفيصل في تحديد نوع "أم" في الآية هو السياق وقرائنه كما سبق . وكلا المعنيين لا يأباهما السياق .

- **ويشير إلى "أم" المنقطعة الملازمة للاستفهام :**

فيقول في قوله تعالى : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3]

((أم " عاطفة جملة **﴿ كُنتُمْ شُهَدَاءَ ﴾** على جملة "ووصى بها ابراهيم بنيه " فإن " أم " من حروف العطف كيفما وقعت وهي هنا منقطعة للانتقال من الخبر عن إبراهيم ويعقوب إلى مجادلة من اعتقدوا خلاف ذلك الخبر ولما كانت " أم " يلازمها الاستفهام كما مضى عند قوله تعالى : **﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** [4] فالاستفهام هنا غير حقيقي لظهور أن عدم شهودهم احتضار يعقوب محقق فتعين أن الاستفهام مجاز ، ومحمله على الإنكار لأنه أشهر محامل الاستفهام المجازي ولأن مثل هذا المستفهم عنه مألوف في الاستفهام الإنكاري ، ثم إن كون الاستفهام إنكارياً يمنع أن يكون الخطاب الواقع فيه خطاباً للمسلمين لأنهم ليسوا بمظنة حال من يدعي خلاف الواقع حتى ينكر عليهم خلافاً لمن جوّز كون الخطاب للمسلمين من المفسرين ، توهموا أن الإنكار يساوي النفي مساواة تامة وغفلوا عن الفرق بين الاستفهام الإنكاري وبين النفي المجرد فإن الاستفهام الإنكاري مستعمل في الإنكار مجازاً بدلالة المطابقة وهو يستلزم النفي بدلالة الالتزام ، ومن العجيب وقوع الزمخشري في هذه الغفلة . فتعين أن المخاطب اليهود

---

(١) ينظر الكشاف ١/١٨٥

(٢) ينظر مغنى اللبيب ١/٥٨

(٣) الآية (١٣٣) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٠٨) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٦٥

وأن الإنكار متوجه إلى اعتقاد اعتقدوه يعلم من سياق الكلام وسوابقه وهو ادعاؤهم أن يعقوب مات علىاليهودية وأوصى بها فلزمت ذريته فكان موقع الإنكار على اليهود واضحاً وهو أنهم ادعوا مالاقبل لهم بعلمه إذ لم يشهدوا كما سيأتي فالمعنى ماكنتم شهداء احتضار يعقوب ... فالإنكار ينتهي عند قوله " الموت " والبقية تكملة للقصة ، والقرينة على الأمرين[١] ظاهرة اعتماداً على مألوف الاستعمال في مثله فإنه لاإبطال فيه المستفهم عنه بالإنكار ألاترى إلى قوله : ﴿ **أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ...** ﴾ [٢] فلما قال هنا " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت " علم السامع موقع الإنكار ... ولم يكن داع لجعل " أم " متصلة بتقدير محذوف قبلها تكون هي معادلة له ، كأن يقدر أكنتم غائبين إذ حضر يعقوب الموت أم شهداء وأن الخطاب للمسلمين أو لليهود والاستفهام للتقرير ، ولا لجعل الخطاب فى قوله " كنتم " للمسلمين على معنى جعل الاستفهام للنفى المحض أى ما شهدتم احتضار يعقوب أى على حد ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِي...** ﴾ [٣] وحد ﴿ **... وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلَامَهُم...** ﴾ [٤] كما حاوله الزمخشرى ومتابعوه ، وإنما حداه إلى ذلك قياسه على غالب مواقع استعمال أمثال هذا التركيب مع أن موقعه هنا موقع غير معهود وهو من الإيجاز والإكمال إذ جمع الإنكار عليهم فى التقول على من لم يشهدوه ، وتعليمهم ما جهلوه ، ولأجل التنبيه على هذا الجمع أعيدت إذ فى قوله ﴿ **إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ** ﴾ ، ليكون كالبدل من " إذ حضر يعقوب الموت " فيكون مقصوداً بالحكم أيضاً))[٥]

- **ويلاحظ من خلال كلام الطاهر السابق عدة أمور :**

الأول : أن "أم" فى الآية منقطعة ،وهى هنا لعطف جملة على جملة مع ملازمتها للاستفهام .

الثانى: أن الخطاب فى قوله " أم كنتم شهداء إلخ " لليهود وليس للمسلمين لدلائل وقرائن فى السياق.

---

(١) أى قولهم أن يعقوب مات على اليهودية وأوصى بها .

(٢) من الآية (١٩) من سورة الزخرف .

(٣) من الآية (٤٤) من سورة القصص .

(٤) من الآية (٤٤) من سورة آل عمران .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١/٧٣٠،٧٣١

الثالث : أن الاستفهام فى الآية استفهام إنكارى لأنه أشهر محامل الاستفهام المجازى ، ولأن مثل هذا المستفهم عنه مألوف فى الاستفهام الإنكارى .

الرابع : غفلة بعض المفسرين عن الفرق بين الاستفهام الإنكارى والنفى المجرد مما دفعهم إلى القول بأن الخطاب فى الآية للمسلمين .

الخامس : وقوع الزمخشرى فيما وقع فيه المفسرون لعدم تفريقه بين الأمرين السابقين .

السادس : أن هذا الموقع موقع غير معهود وهو من الإيجاز والإكمال إذ جمع الإنكار عليهم فى التقول على من لم يشهدوه وتعليمهم ما جهلوه .

هذا ولقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن " أم " فى الآية منقطعة للاستفهام منهم الطبرى [١] ، والرازى [٢] ، والقرطبى [٣] ومن المعاصرين القاسمى [٤] ، وصاحب المنار [٥] .

كما ذكر كثير من المفسرين أن الخطاب فى الآية لليهود منهم الشهاب الخفاجى [٦] ، والألوسى[٧] والنيسابورى [٨] ، وابن كثير [٩] أما عن صاحب الكشاف فلقد ذكر الوجهين فى الآية أى جواز أن تكون أم متصلة أو منقطعة واختار كونها متصلة ، كما ذكر جواز كون الخطاب فى الآية للمسلمين ولليهود ، وتبعه على ذلك الإمام النسفى [١٠]

وفيما يبدوا أن ما ذكره الطاهر من أن " أم " فى الآية منقطعة وأن الخطاب فيها لليهود ، وأن الاستفهام للإنكار أقرب إلى سياق الآية والقرائن تشهد له ، فضلاً عن أنه لم ينفرد بهذا الرأى بل سبقه إليه بعض المفسرين ، كما لا يخفى ما بذله من جهد فى الكشف عن سر الاستفهام فى الآية .

---

(١) ينظر تفسير الطبرى ٨٢/١ ط دار الغد العربى .

(٢) ينظر تفسير الرازى ٤٣٩/٢ ط دار الغد العربى .

(٣) ينظر تفسير القرطبى ٥٢٢/١ ط دار الشعب .

(٤) ينظر تفسير القاسمى ٤٠٤/١ ط دار الكتب العلمية .

(٥) ينظر تفسير المنار ٤٧٨/١ ط دار المعرفة .

(٦) ينظر حاشية الشهاب ٣٩٦/٢ ط دار الكتب العلمية .

(٧) ينظر روح المعانى ٢٩٠/١ ط دار الفكر .

(٨) ينظر غرائب القرآن ٤٠٨/١ ط دار الكتب العلمية .

(٩) ينظر تفسير ابن كثير ١٧٥/١ ط دار إحياء التراث العربى .

(١٠) ينظر الكشاف ٢١٨/١-٢١٩ ، والنسفى ٧٦/١

• هـــل :

ذكر البلاغيون أن هل لطلب التصديق ، كقولك : " هل قام زيد ؟ وهل عمرو قاعد ؟ " . ولـــهذا امتنع " هل زيد قام أم عمرو ؟ ".

لأنك حينئذ تريد تعيين المسند إليه وهذا يعنى أنك تعلم النسبة وأن القيام كـــان لأحدهمـــا ، ولا يؤتى بـــ "هل" فى هذه الحالة ، وإنما تقول : " أزيد قام أم عمرو ؟ " [١]

قالوا : ومن القبيح أن تقول : " هل زيد قام ؟ " وهل زيداً أكرمت ؟ وما شابه ذلك مـــن تقديـــم المسند إليه على الخبر الفعلى أو تقديم المفعول ، ووجه قبحه عند الجمهور أن التقديم فى هذيـــن الحالين قد يكون للاختصاص ، والاختصاص يقتضى وقوع النسبة ، والمـــراد الســـؤال عـــن الفاعل أو المفعول ، " وهل " لا يؤتى بها لهذا .

و" هل " تخصص المضارع للاستقبال ، ولذلك لا يجوز أن تقول : " هل يقوم الآن ؟ " لأن فـــى ذلك تدافعاً فى بناء الجملة من حيث دلالة الاستقبال التى أبرزتها " هل " والتقييد بالحال المدلـــول عليه بلفظ " الآن " وكأنك تقول : " هل يقوم بعد الآن ثم تقول : الآن " وهذا اضطراب .

يقول الخطيب : ((ولهذين يعنى اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال كـــان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر كالفعل أما الثاني فظاهر ، وأما الأول فـــلأن الفعـــل لايكون إلا صفة والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفـــات لا إلى الذوات ، ولهذا [٢] كان قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [٣] دال على طلب الشـــكر من قولنا : " فهل تشكرون " وقولنا : " فهل أنتم تشكرون "لأن إبرازها ماسيتجدد في معـــرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله)) [٤]

• **أما عن الإمام الطاهر :**

فلقد أشار إلى " هَلْ " الاستفهامية ، ومعانيها المجازية في موضعين من سورة البقرة فيما أعلم .

---

(١) ينظر الإيضاح ٣١/٢ ، والمطول صـــ ٢٨٨ ، ودلالات التراكيب صـــ٢٠٩

(٢) أي لكونها لها مزيد اختصاص بالفعل .

(٣) من الآية (٨٠) من سورة الأنبياء .

(٤) ينظر الإيضاح ٣٢/٢

يقول في قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾ (١)

((" وحرف " هَلْ " مفيد للاستفهام ومفيد للتحقيق ، ويظهر أنه موضوع للاستفهام عن أمر يـراد تحقيقه ، فلذلك قال أئمة المعاني : إن "هَلْ " لطلب تحصيل نسبة حكميـة تحصـل فـي علـم المستفهم ، وقال الزمخشري في الكشاف : " إن أصل " هَلْ " أنها مرادفة " قد " فـي الاسـتفهام خاصة ، بمعنى " قد " التي للتحقيق وإنما اكتسبت إفادة الاستفهام من تقدير همزة الاستفهام معـها كما دل عليه ظهور الهمزة معها في قول زيد الخيل :

سائلْ فوارسَ يَرْبُوع بشدَّتنا   أهَلْ رأَونا بسَفْحِ القاعِ ذي الأكم (٢)

وقال في المفصل : وعن سيبويهِ أن " هَلْ " بمعنى " قد " إلا أنهم تركوا الألف قبلـها ؛ لأنـها لاتقع إلا في الاستفهام ١ هـ . يعنى أن همزة الاستفهام التزم حذفها للاستغناء عنها بملازمـة " هَلْ " للوقوع في الاستفهام ، إذ لم يقل أحد أن " هَلْ " ترد بمعنى " قد " مجردة عن الاسـتفهام فإن مواردها في كلام العرب وفي القرآن يبطل ذلك ونسب ذلك إلى الكسائى والفراء والمـبرد في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ... ﴾ (٣) ولعلهم أرادوا تفسير المعنى لاتفسير الإعراب ولانعرف في كلام العرب اقتران " هَلْ " بحرف الاستفهام إلا في هذا البيـت ، ولا ينهض احتجاجهم به لإمكان تخريجه على أنه جمع بين حرفـي الاسـتفهام علـى وجـه التأكيد ... وأيا ما كان فإن " هَلْ " تمحضت للاستفهام في جميع مواقعها وسيأتي هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ .. ﴾ (٤) والاستفهام إنكاري لامحالة بدليل الاستثناء ، فالكلام خبر في صورة الاستفهام)) (٥)

ويلاحظ أن الطاهر يريد أن يقرر بحق أن " هَلْ "متمحضة للاستفهام في جميع مواقعها حتى في المواقع التي جاءت فيها بمعنى " قد " التي للتحقيق ، ولاحاجة إلى تقدير همزة الاستفهام .

---

(١) الآية (٢١٠) من سورة البقرة .
(٢) ينظر الكشاف ٦٦٦/٤
(٣) من الآية (١) من سورة الإنسان .
(٤) يقول في الآية "هل "حرف يفيد الاستفهام ومعنى التحقيق وقال جمع : إن "هل" في الاستفهام مثل "قد" في الخبر وبملازمتـها للاستفهام كثر حذف حرف الاستفهام معها فكانت بمعنى "قد" وخصت بالاستفهام فلا تقع في الخبر ... ينظر التحرير والتنوير ٣٧١/٢٩-٣٧٢ باختصار .
(٥) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٢/٢،٢٨٣

معها كما قرر الزمخشري لأن البيت الذي استشهد به هو ومن تبعه من النحاة لاينهض لاحتجاجهم به لإمكان تخريجه على أنه جمع بين حرفي الاستفهام للتأكيد .

وما ذكره الطاهر عن استعمال " هل " في الاستفهام أشار إليه ابن قتيبة في " تأويل مشكل القرآن " حيث يقول : ((هل تكون للاستفهام ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألف التي يستفهم بها ، كقوله تعالى : ﴿ .. **هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء ؟..** ﴾ [١] وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ ... والمفسرون يجعلونها في بعض المواقع بمعنى " قد " كقوله تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ..** ﴾ أي قد أتى ...)) [٢]

• ويقول الطاهر في قوله تعالى : ﴿ ... **قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا ...** ﴾ [٣]

((وقوله ﴿ **قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ .. الآية** ﴾ ، استفهام تقريري وتحذير ، فقوله " أَلاَّ تُقَاتِلُوا " مستفهم عنه بـ " هَلْ " وخبر "عَسَيْ" متوقع ، ودليل على جواب الشرط ﴿ **إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَال** ﴾ وهذا من أبدع الإيجاز : فقد حكى جملاً كثيرة وقعت في كلام بينهم، وذلك أنه قررهم في نية عدم القتال اختباراً وسبراً لمقدار عزمهم عليه ولذلك جاء في الاستفهام بالنفي فقال ما يؤدي معنى " هل لاتقاتلون " ولم يقل : " هل تقاتلون " ؛ لأن المستفهم عنه هو الطرف الراجح عند المستفهم ، وإن كان الطرف الآخر مقدراً وإذا خرج الاستفهام إلى معانيه المجازية كانت حاجة المتكلم إلى اختيار الطرف الراجح متأكدة .)) [٤]

والإمام الطاهر هنا يتفق مع صاحب الكشاف في الغرض من الاستفهام وإن اختلفا في طريقة تناول الآية وتحليل السياق يقول صاحب الكشاف : ((... وخبر" عَسَيْتُمْ " " **أَلاَّ تُقَاتِلُوا** " والشرط فاصل بينهما . والمعنى : هل قاربتم أن لاتقاتلوا ؟ يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لاتقاتلون ؟ أراد أن يقول عسيتم ألا تقاتلوا ، بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ، فأدخل "هل " مستفهماً عما

---

(١) من الآية (٢٨) من سورة الروم .

(٢) ينظر تأويل مشكل القرآن صـ٥٣٨ ، ٥٣٩ باختصار تحقيق أ / السيد صقر – ط دار التراث – ط ثانية .

(٣) من الآية (٢٤٦) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٤٨٥/٢

هو متوقع عنده ومظنون . وأراد بالاستفهام التقرير [١] ، وتثبيت أن المتوقع كائن ، وأنه صـادق في توقعه ، كقوله تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ ..** ﴾ معناه التقرير » [٢]

• **أدوات أخرى للاستفهام :**

ذكر البلاغيون أن أدوات الاستفهام الأخرى كـ " ما ، ومن ، وأي ، وكم ، وأيـن ، وأنـى ، ومتى ، وأيان " تأتي لطلب التصور فقط .

– فـ " مـا " تأتي بما لايعقل ، كقوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [٣] ويطلب بها إما شرح الاسم ، كقولنا : " ما العنقاء ؟ " ، وإما بيان ماهيته ، كقولنا : " ما الحركة ؟ " .

ـ و"أي" لتمييز أحد المشتركين في أمر يعمهما،كقوله تعالى : ﴿ ... **أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامـاً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً** ﴾ [٤]

– و " مـن " للسؤال عن الجنس من ذوي العلم (العقل) كقوله تعـالى حكايـة علـى لسـان فرعون : ﴿ **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ؟** ﴾ [٥]

ـ و " كـم " للسؤال عن العدد ، كقوله تعالى : ﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ** ﴾ [٦]

– و " كيـف " للسؤال عن الحال ، كقوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ...** ﴾ [٧]

– و " أيـن " للسؤال بها عن المكان ، كقوله تعالى : ﴿ .. **أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِـن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [٨]

– و " أنـى " للسؤال بها عن الحال مثل " كيف " ، كقوله تعالى : ﴿ **نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَـأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ..** ﴾ [٩]

– ويسأل بها عن المكان مثل " أين " كقوله تعالى : ﴿ ... **قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَـكِ هَـذَا ...** ﴾ "الآية (٣٧) من سورة آل عمران "

– و " أيـان " يسأل بها عن الزمان كقوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّيـنِ** ﴾ "الآيـة (١٢) من سورة الذاريات "

---

(١) أضاف الطاهر إلى التقرير التحذير كما سبق في تفسير الآية .
(٢) ينظر الكشاف ٣١٩/١
(٣) الآية (٥٧) من سورة الحجر .
(٤) من الآية (٧٣) من سورة مريم .
(٥) الآية (٤٩) من سورة طه .
(٦) الآية (١١٢) من سورة المؤمنين .
(٧) من الآية (٢٨) من سورة البقرة .
(٨) من الآية (٩٢) والآية (٩٣) كاملة من سورة الشعراء .
(٩) من الآية (٢٢٣) من سورة البقرة .

- و " متـــى " ويسأل بها عن الزمان أيضاً ، كقوله تعالى : ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ... ﴾ [١]

وهذه الأدوات كثيراً ماتستعمل في معان مجازية غير معانيها الحقيقية .

- كالاستبطاء في قوله تعالى :﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ ﴾ [٢]
- والتنبيه على ضلال ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾[٣]
- والتعجب ، كقوله تعالى : ﴿ ... مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ... ﴾ [٤]

وهناك معان أخرى كثيرة تختلف باختلاف السياق والمقام والقرائـــن كالتـــهكم ، والتحقـــير ، والتهويل ، والاستبعاد ، والتوبيخ وغيرها من المعاني المجازية

- على أن مما يجب التنبيه إليه أن السياق الواحد قد يجمع أكثر مـــن معنـــى مـــن المعـــاني المجازية تبعاً للقرائن والدلائل الموجودة في السياق ، وقد أشار إلى ذلك الإمام عبد القـــاهر في بحث الاستفهام من دلائل الإعجاز حين قال في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـــذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [٥] « واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان وإنكار له لم كـان وتوبيخ لفاعله عليه » [٦]
- أما عن الإمام الطاهر فقد أشار إلى بعض هذه الأدوات الاستفهامية ومعانيها المجازية التـي تخرج إليها في عدة مواضع من سورة البقرة ، وسأشير إلى المواضع التي تمثـل طريقتـه ومنهجه في الكشف عن البلاغة القرآنية .
- **يقول عن الاستفهام بـــ " ما " في قوله تعالى :**

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْـــهَا قُـلْ لِلَّـهِ الْمَشْـرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٧]

« والاستفهام في قوله ﴿ مَا وَلَّاهُمْ ﴾ مستعمل في التعريض بالتخطئة واضطراب العقل »[٨]

---

(١) من الآية (٢١٤) من سورة البقرة .
(٢) الآية السابقة .
(٣) الآية (٢٦) من سورة التكوير .
(٤) من الآية (٢٠) من سورة النمل .
(٥) من الآية (٦٢) من سورة الأنبياء .
(٦) ينظر دلائل الإعجاز صـــ ١١٤
(٧) الآية (١٤٢) من سورة البقرة .
(٨) ينظر التحرير والتنوير ٢/٨

• وعن الاستفهام بـ "ماذا" يقول في قوله تعالى :

﴿..فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلاً... ﴾ (١)

« وأصل " ماذا " كلمة مركبة من " ما " الاستفهامية و " ذا " اسم إشارة ولذلك أصلها أن يسأل بها عن شيئ مشار إليه... غير أن العرب توسعوا فيه فاستعملوه اسم استفهام مركباً من كلمتين وذلك حيث يكون المشار معبراً عنه بلفظ آخر غير الإشارة تصير الإشارة إليه مع التعبير عنه بلفظ آخر لمجرد التأكيد ، نحو ماذا التواني ، أو حيث لايكون للإشارة موقع نحو ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ ... ﴾ (٢) ولذلك يقول النحاة إن " ذا " ملغاة في مثل هذا التركيب ... والاستفهام هنا إنكاري أي جعل الكلام في صورة الاستفهام كناية به عن الإنكار لأن الشيء المنكر يستفهم عن حصوله فاستعمال الاستفهام في الإنكار من قبيل الكناية ، ومثله لا يجاب بشيء غالباً لأنه غير مقصود به الاستعلام . وقد يلاحظ فيه معناه الأصلي فيجاب بجواب لأن الاستعمال الكنائي لايمنع من إرادة المعنى الأصلي كقوله تعالى :

﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ » (٣) (٤) (٥)

• وعن "من" الاستفهامية :

فلقد أشار إلى معانيها المجازية في أكثر من موضع من سورة البقرة ، يقول في قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٦) « والاستفهام للإنكار والاستبعاد ، واستعماله في الإنكار قد يكون مع جواز إرادة قصد الاستفهام فيكون كناية ، وقد يكون مع عدم جواز إرادة معنى الاستفهام فيكون مجازاً في الإنكار ومعناه معنى النفي ، والأظهر أنه هنا من قبيل الكناية فإن الإعراض عن ملة إبراهيم مع العلم بفضلها ووضوحها أمر منكر مستبعد . ولما كان شأن المنكر المستبعد أن يسأل عن فاعله استُعمل الاستفهام في ملزومه وهو الإنكار والاستبعاد على وجه الكناية مع أنه لو

---

(١) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .

(٢) من الآية (٣٩) من سورة النساء .

(٣) الآيتان (٢،١) من سورة النبأ .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٤/١ ، ٣٦٥ باختصار .

(٥) ينظر تفسير الآية (٢١٥) في التحرير والتنوير وهي من مواضع "ماذا" الاستفهامية في السورة .

(٦) الآية (١٣٠) من سورة البقرة .

سئل عن هذا المعرض لكان السؤال وجيهاً ، والاستثناء قرينة على إرادة النفي واستعمال اللفظ في معنيين كنائيين ، أو ترشيح للمعنى الكنائي وهما للإنكار)) [١].

هذا ولقد أشار صاحب الكشاف إلى أن الاستفهام في الآية للإنكار والاستبعاد غير أنه لم يفصله على هذا النحو الدقيق !! [٢]

أما عن " كـم الاستفهامية " :

فيقول في قوله تعالى : **﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [٣]

((" وكم " اسم للعدد المبهم فيكون للاستفهام ، ويكون للإخبار ، وإذا كانت للإخبار دلت على عدد كثير مبهم ؛ ولذلك تحتاج إلى تمييز في الاستفهام وفي الإخبار ، وهي هنا استفهامية كما يدل عليه وقوعها في حيز السؤال ، فالمسئول عنه هو عدد الآيات ... وجوز صاحب الكشاف أن تكون "كم خبرية "، أي فتكون ابتداء كلام وقد قطع فعل السؤال عن متعلقة اختصاراً لما دل عليه مابعده ، أي سلهم عن حالهم في شكر نعمة الله ، فبذلك حصل التفريع . ويكون **﴿ كَمْ آتَيْنَاهُم ﴾** تدرجاً في التفريع بقرينة **﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾** ولبعد كونها خبرية أنكره أبو حيان على صاحب الكشاف ، وقال إنه يفضي إلى اقتطاع الجملة التي فيها"كم " عن جملة السؤال مع أن المقصود السؤال عن النعم)) [٤]

ومما تجدر الإشارة إليه أن صاحب الكشاف جوّز كون " كم " في الآية خبرية أو استفهامية ، يقول : ((فإن قلت :كم استفهامية أم خبرية ؟ قلت : تحتمل الأمرين . ومعنى الاستفهام فيها للتقرير .)) [٥] وأنكر عليه أبو حيان بقوله : ((وهو ليس بجيد ، لأن جعلها خبرية هو اقتطاع للجملة التي هي فيها من جملة السؤال ،لأنه يصير المعنى سل بني إسرائيل ، وما ذكر المسئول

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٧٢٤/١

(٢) ينظر تفسير الآية (٢٤٥) من التحرير والتنوير ٤٨١/٢ وهي من مواضع "من الاستفهامية " .

(٣) الآية (٢١١) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٩/٢ ، ٢٩٠

(٥) ينظر الكشاف ٢٨١/١

عنه ، ثم قال : كثيراً من الآيات آتيناهم ، فيصير هذا الكلام مفلتاً مما قبله ؛ لأن جملة "كم آتيناهم " صار خبراً صرفاً لايتعلق به " سل " وأنت ترى معنى الكلام ومصب السؤال على هذه الجملة ، فهذا لايكون إلا في الاستفهامية ...)) [١]

ومن هنا رجح الطاهر أن " كم " استفهامية لوقوعها فى حيز السؤال [٢]

ويلاحظ أن هذا الموضع هو الموضع الثانى الذى يخالف فيه الطاهر صاحب الكشاف ، وقد مضى الأول عند الحديث عن " أم " الاستفهامية ، وهذا يدل على أن دلالة السياق وقرائنه تؤدى إلى اختلاف نظرة البلاغيين فى تحديد المعنى المجازى للاستفهام .

أما عن " كيف " الاستفهامية :

فيقول فى قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٣]

((" وكيف " اسم لايعرف اشتقاقه يدل على حالة خاصة وهي التي يقال لها الكيفية نسبة إلى " كيف " ويتضمن معنى السؤال في أكثر موارد استعماله فلدلالته على الحالة كان في عداد الأسماء لأنه أفاد معنى في نفسه ... وأكثر استعماله اسم استفهام فيعرب إعراب الحال . ويستفهم بـ " كيف " عن الحال العامة . والاستفهام هنا مستعمل في التعجيب والإنكار بقرينة قوله ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ إلخ أي أن كفركم مع تلك الحالة شأنه أن يكون منتفياً لا تركن إليه النفس الرشيدة لوجود مايصرف عنه وهو الأحوال المذكورة بعدُ فكان من شأنه أن ينكر فالإنكار متولد من معنى الاستفهام ولذلك فاستعماله فيهما من إرادة لازم اللفظ وكأن المنكر يريد أن يقطع معذرة المخاطب فيظهر له أنه يتطلب منه الجواب بما يظهر السبب فيبطل الإنكار والعجب حتى إذا لم يبد ذلك حقيقاً باللوم والوعيد))[٤]

---

(١) ينظر البحر المحيط ١٣٦/٢ ط دار الكتب العلمية .

(٢) ينظر تفسير الآية (٢٤٩) في التحرير والتنوير ٤٩٩/٢ وهي موضع آخر من مواضع " كم " الاستفهامية .

(٣) الآية (٢٨) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٧٣/١ ، ٣٧٤

• هذا ولقد أشار صاحب اللسان إلى ماذكره الطاهر عن أصل اشتقاق " كيف " كما ذكر أن الاستفهام في الآية التي معنا للتعجب " [١]

كما أشار الكشاف إلى أن الاستفهام بـ " كيف " في الآية للتعجب والإنكار [٢]

ولقد ورد "كيف" في ثلاثة مواضع من سورة البقرة ، وهذا هو الموضع الوحيد الذي قرر فيه الطاهر أن "كيف" اسم استفهام ، والثاني عند الآية (٢٥٩) ، والثالث عند الآية (٢٦٠) وذكر في الأخير أن "كيف " منتصب على الحال مجردة عن الاستفهام " [٣]

• **أما عن " أنى " الاستفهامية :**

فيقول في قوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (٤)

((وكلمة " أنّى " اسم لمكان مبهم تبينه جملة مضاف هو إليها ، وقد كثر استعماله مجازاً في معنى " كيف " بتشبيه حال الشيء بمكانه ، لأن " كيف " اسم للحال المبهمة يبينها عاملها كيف يشاء ، وقال في اللسان : إن " أنّى " تكون بمعنى "متى " وقد أضيفت " أنّى " في هذه الآية إلى جملة " شئتمْ " والمشيئات شتى فتأوله كثير من المفسرين على حمل " أنى " على المعنى المجازي وفسروه بـ" كيف شئتم " وهو تأويل الجمهور الذي عضدوه بما رووه في سبب نزول الآية وفيها روايتان إحداهما عن جابر بن عبد الله والأخرى عن ابن عباس ، وتأويل الضحاك على معنى متى شئتم ، وتأوله جمع على معناه الحقيقي من كونه اسم مكان مبهم ... فالذي يتبادر من موقع الآية ، وتساعد عليه معاني ألفاظها أنها تذييل وارد بعد النهي عن قربان النساء في حال الحيض فتحمل " أنى " على معنى " متى " ويكون المعنى " فأتوا نساؤكم متى شئتم إذا تطهرن ...))[٥]

---

(١) ينظر اللسان مادة " كيف " ٣٩٦٨/٥ ط دار المعارف ، والمفردات للراغب مادة "كيف" ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة صـ٥٢٠

(٢) ينظر الكشاف ١٥٠/١ ، ومغني اللبيب ٢٣٠/١

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٨/٣

(٤) من الآية (٢٢٣) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣٧١/٢ – ٣٧٤

• والإمام الطاهر هنا يخالف جمهور المفسرين الذين يرون أن "أنى" في الآية بمعنى" كيف" [١] وفيما يبدوا أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين أولى بالقبول وللسياق وسبب النزول أثر في الكشف عن معنى " أنى " في الآية [٢] وهذا هو الموضع الثالث الذي يخالف فيه الطاهر صاحب الكشاف في بحث الاستفهام .

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُواْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ... ﴾ [٣]

((و " أنى" في قوله " أنى يكون له الملك علينا " بمعنى " كيف " وهو استفهام مستعمل في التعجب ، تعجبوا من جعل مثله ملكاً ، وكان رجلاً فلاحاً من بيت حقير ، إلا أنه كان شجاعاً ، وكان أطول القوم ...)) [٤]

• **أما عن " متى " الاستفهامية :**

فيقول في قوله تعالى : ﴿ ... وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [٥]

((" ومتى " استفهام مستعمل في استبطاء زمن النصر)) [٦]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الطاهر ببحث الاستفهام في سورة البقرة ، ويلاحظ أنه جمع في كلامه عن أسماء الأستفهام بين كلام النحاة والبلاغيين ، كما أنه أشار إلى أهمية السياق والقرائن في إدراك المعنى المجازى للاستفهام ، كما اتضح مناقشته للبلاغيين ، وهي مناقشات ممتعة يستفيد منها الباحثون ، وهي في جملتها تنم عن سعة اطلاعه وإلمامه بكلام اللغويين والنحويين والبلاغيين على السواء ، كما يلاحظ اهتمامه بآراء صاحب الكشاف ومخالفته في بعضها على أنه حذر عند المخالفة ، ودائماً يدعم رأيه بالأدلة من القرآن وكلام العرب ، ويلاحظ أيضاً المعاني المجازية المتعددة التي ذكرها للاستفهام في الآيات ، ومعظمها

---

(١) ينظر الكشاف ٢٩٤/١ ، والتفسير الكبير ٣٥٥/٣ ، وتفسير القرطبي ٩٠١/٢ ، والإتقان ٤٥٥/٢ ، وتأويل مشكل القرآن صـ ٥٢٥
(٢) ينظر تفسير الطبري ٥٧٢/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٧/١
(٣) من الآية (٢٤٧) من سورة البقرة .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ٤٩٠/٢
(٥) من الآية (٢١٤) سورة البقرة .
(٦) ينظر التحرير والتنوير ٣١٦/٢

من إضافاته إلى ما ذكره المفسرون حولها . وقد يختلف معه الباحثون فى بعض هذه المعانى المجازية للاستفهام ، وفى تصورى أن ذلك يرجع إلى السياق وقرائنه وما فيه من دلالات يترتب عليها اختلاف آراء البلاغيين فى تقرير المعانى المجازية للاستفهام فى الآيات .

٣- **الأمر** : ذكر البلاغيون أن صيغة الأمر موضوعة لطلب الفعل استعلاءً، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك ، وتوقف ما سواه على القرينة " [١]

وقد تستعمل صيغة الأمر فى غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام .

كالإباحة : فى قولك : " جالس الحسن أو ابن سيرين "

والتهديد : كقوله تعالى : ﴿ ... **ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [٢]

والتعجيز : كقوله تعالى : ﴿ ... **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ** ... ﴾ [٣]

والتسخير : كقوله تعالى : ﴿ ... **كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ [٤]

والتسوية : كقولهُ تعالى : ﴿ ... **أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ** ... ﴾ [٥]

والاحتقار : كقولهُ تعالى : ﴿ ... **أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ** ﴾ [٦]

ولمعان أخرى مجازية تختلف تبعاً للسياق والقرائن كالإهانة والتمنى ، والدعاء ، والالتماس ... " [٧]

- **أما عن الإمام الطاهر** : فإن بحث الأمر فى تفسيره لسورة البقرة يلى بحث الاستفهام فى طوله نظراً لكثرة معانيه المجازية التى يخرج إليها عن معناه الحقيقى ، ولقد أشار الطاهر إلى صيغة الأمر ومعانيها فى مواضع كثيرة من سورة البقرة ، وأشير هنا إلى أهم هذه المواضع التى تمثل منهجه التحليلى فى الكشف عن البلاغة القرآنية .
- يقول فى قوله تعالى :

﴿ ... **أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ** ... ﴾ [٨]

---

(١) ينظر الإيضاح ٦٤/٢
(٢) من الآية (٤٠) من سورة فصلت .
(٣) من الآية (٢٣) من سورة البقرة .
(٤) من الآية (٦٥) من سورة البقرة .
(٥) من الآية (٥٣) من سورة التوبة .
(٦) من الآية (٤٣) من سورة الشعراء .
(٧) ينظر الإيضاح ٤٦/٢-٤٨
(٨) من الآية (٦١) من سورة البقرة .

((فالأمر في قوله " اهبطوا " للإباحة المشوبة بالتوبيخ أى إن كان هذا همكم فـاهبطوا بقرينـة قوله : " أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير " فالمعنى اهبطوا مصراً من الأمصار يعنـى وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله . وقيل أراد اهبطوا مصر أى بلد مصر أى ارجعوا إلى مصر التى خرجتم منها والأمر لمجرد التوبيخ إذ لا يمكنهم الرجوع إلى مصر . ويكون قول موسى لهم " اهبطوا مصراً " أمرٌ قُصِدَ منـه التـهديد علـى تذكرهم أيام ذلهم وعنائهم وتمنيهم الرجوع لتلك المعيشة ، كأنه يقول لهم ارجعوا إلى ما كنتـم فيه إذ لم تقدروا قدر الفضائل النفسية ونعمة الحرية والاستقلال .))[١]

ويلاحظ أثر السياق والقرائن في تحديد المعنى المجازى لصيغة الأمر ، ففى الآية قـد يكـون الأمر للإباحة المشوبة بالتوبيخ أو للتوبيخ أو للتهديد . هذا ولم يشر صاحب الكشاف إلى المعنى المجازى لصيغة الأمر فى الآية . [٢]

- **وعن مجئ الأمر " للتكوين " :**

يقول فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [٣]

((وقوله ﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ كونوا أمر تكوين وتكوينهم قردة يحتمل أن يكون بتصييـر أجسامهم أجسام قردة مع بقاء الإدراك الإنسانى وهذا قول جمـهور المفسـرين وهـذا الأمـر التكوينى كان لأجل العقوبة على ما اجترأوا من الاسـتخفاف بـالأمر الإلـهى حتـى تحيلـوا عليه ...))[٤]

ومجئ الأمر للتكوين من المعانى المجازية التى يخرج إليها كما أشـار إليـه السـيوطى فـى الإتقان [٥] ، ويرى العلوى أن الأمر فى هذه الآية " للتسخير " [٦] [٧]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥٢٤/١ ، ٥٢٥ باختصار

(٢) ينظر الكشاف ١٧٤/١- وذكر العلامة الجمل أن الأمر فى الآية " للتعجيز والإهانة " حاشية الجمل على الجلالين ٨٧/١

(٣) الآية (٦٥) من سورة البقرة

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٥٤٥/١ باختصار

(٥) ينظر الإتقان ٢١٨/٣ – ٢٢٠

(٦) ينظر الطراز صـ ٥٣١

(٧) التكوين أعم من التسخير

• وعن مجئ الخبر فى معنى الأمر :

يقول فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ... ﴾ (١)

((وقوله ﴿ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ خبر فى معنى الأمر ومجئ الخبر فى معنى الأمر أبلغ من صيغة الأمر لأن الخبر مستعمل فى غير معناه لعلاقة مشابهة الأمر الموثوق بامتثاله بالشئ الحاصل حتى أنه يخبر عنه ...)) (٢) (٣)

• وعن مجئ الأمر للإباحة :

يقول فى قوله تعالى : ﴿ ... فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُم ... ﴾ (٤)

((وقوله تعالى : ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ الأمر للإباحة ... والابتغاء : الطلب ، وما كتبه : ما أباحه من مباشرة النساء فى غير وقت الصيام أو اطلبوا ماقدّر الله لكم من الولد تحريضاً للناس على مباشرة النساء عسى أن يتكون النسل من ذلك وذلك لتكثير الأمة وبقاء النوع فى الأرض)) (٥) (٦)

وعن مجئ الأمر للعموم : يقول فى قوله تعالى : ﴿ ... وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ﴾ (٧)

((الواو عاطفة على قوله ﴿ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ والعطف يقتضى أن الذكر المأمور به هنا غير الذكر المأمور به فى قوله : ﴿ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ فيكون هذا أمراً بالذكر على العموم بعد الأمر بذكر خاص فهو فى معنى التذييل بعد الأمر بالذكر الخاص فى المشعر الحرام)) (٨)

• وعن مجئ الأمر للدوام :

يقول فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ * (الآية (٢٠٨) من سورة البقرة)

((إذا فسّر السلم " بالإسلام أى دين الإسلام فإن الخطاب بـ ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ وأمر المؤمنين بالدخول فى الإسلام يؤول بأنه أمر بزيادة التمكن منه والتغلل فيه لأنه يقال دخل الإيمان فى قلبه إذا استقر وتمكن ... وهذا هو الظاهر فيراد بالأمر فى " ادخلوا " الدوام على

---

(١) من الآية (٨٣) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٥٨٢/١ ، ٥٨٣
(٣) ينظر نفس الغرض عند تفسيره للآيتين (٢٧٢،٢٨٣)
(٤) من الآية (١٨٧) من سورة البقرة .
(٥) ينظر التحرير والتنوير ١٨٣/٢
(٦) ينظر نفس الغرض عند تفسيره الآية (٢٢)
(٧) من الآية (١٩٨) من سورة البقرة .
(٨) ينظر التحرير والتنوير ٢٤١/٢

ذلك وقيل أريد بالذين آمنوا والذين أظهروا الإيمان فتكون خطاباً للمنافقين .))[١]

• **وعن مجئ الأمر للاعتبار :**

يقول فى قوله تعالى :

﴿ ... فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ... ﴾[٢]

((وقوله ﴿ **فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ** ﴾ تفريع على قوله ﴿ **لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ** ﴾ والأمر بالنظر للاعتبار أى فانظره فى حال أنه لم يتسنه ... وقوله ﴿ **وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً** ﴾ إلخ معطوف على مقدر دل عليه قوله – فانظر إلى طعامك – وانظر إلى حمارك ؛ فإن الأمر فيه للاعتبار لأنه ناظر إلى ذلك لا محالة . والمقصود اعتباره فى استبعاد أن يحى الله القرية بعد موتها ، فكان من قوة الكلام انظر إلى ما ذُكر جعلناه آيه لك على البعث وجعلناك آية للناس لأنهم لم يروا طعامه وشرابه وحماره ، ولكن رأوا ذاته وتحققوه بصفاته .)) [٣]

هذا ولقد أشار صاحب الإتقان [٤] إلى أن الأمر قد يأتى للاعتبار . ويلاحظ الطريقة التحليلية التى يتناول بها الطاهر الآيات ليكشف عن المعانى والأسرار البلاغية التى تنطوى عليها ، وهذه هى بعض المواضع التى أشار إلى ما فيها من معان مجازية للأمر ، وهناك مواضع أخرى لا تختلف فى منهج تناولها عن هذه المواضع [٥]

٤- النهى :

ذكر البلاغيون أن للنهى حرفاً واحداً وهو " لا " الجازمة فى قولك " لا تفعل " وهو كالأمر فى الاستعلاء ، وقد يستعمل فى غير طلب الكف أو الترك .

كالتهديد فى قولك لعبد لا يمتثل أمرك : " لا تمتثل أمرى "

والضراعة : كقوله تعالى : **﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ... ﴾** [٦]

والإهانة : كقوله تعالى : **﴿ ... اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾** [٧]

والتأييس : كقوله تعالى : **﴿ ... لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ... ﴾** [٨]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٧٧/٢ باختصار .

(٢) من الآية (٥٩) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٧،٣٦/٣ باختصار .

(٤) ينظر الإتقان ٢٢٠/٣

(٥) من هذه المواضع الآيات (٣٥) ، (٧٤) ، (١٩٦) ، (٢٣١) ، (٢٨٢)

(٦) من الآية (٨) من سورة آل عمران .

(٧) من الآية (١٠٨) من سورة المؤمنون .

(٨) من الآية (٧) من سورة التحريم .

والتقليل : كقوله تعالى : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ (١) أى فهو قليل وحقير .

والإرشاد : كقوله تعالى : ﴿ ... لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ... ﴾ (٢)

وهناك أغراض أخرى تختلف باختلاف السياق ودلالته وقرائنه كالتحقير ، وبيان العاقبة ، والكراهة (٣)

• **وعن بحث " النهى " فى تفسير الطاهر لسورة البقرة :**

فكما سبق أنه من البحوث الصغيرة فى تفسيره إذا قارناه ببحث الاستفهام وبحث الأمر فى تفسيره لسورة البقرة ، وكما سبق أيضاً أن ذلك – فيما يبدوا – يرجع إلى قلة المعانى المجازية وكثرتها فكثرة أدوات الاستفهام يتبعها كثرة المعانى المجازية ، واتضح ذلك من خلال ما سبق .

أما عن بحث النهى عند الطاهر فلقد أشار إلى بعض الأغراض التى يستعمل فيها النهى مجازاً ، وأشار إلى عطف النهى على النهى ، وعطف النهى على الأمر .

• **فعن مجئ النهى للتوبيخ :**

يقول فى قوله تعالى:﴿ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ... ﴾ (٤)

« ... لما كان الإيمان والكفر نقيضين إذا انتفى أحدهما ثبت الآخر كان النهى عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم أن يكونوا أول المؤمنين . والمقصود من النهى توبيخهم على تأخرهم فى اتباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كُنِى به عن معنيين من ملزوماته ، هما المبادرة إلى الإسلام ، ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهى ، فيكون معنى النهى مراداً ولازمه وهو الأمر بالمبادرة بالإيمان مراداً وهو المقصود فيكون الكلام كناية اجتمع فيها الملزوم واللازم معاً فباعتبار اللازم يكون النهى فى معنى الأمر فيتأكد به الأمر الذى قبله كأنه قيل ﴿ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ ﴾ وكونوا أول المؤمنين ، وباعتبار الملزوم يكون نهياً عن الكفر

---

(١) من الآية (١٣١) من سورة طه .

(٢) من الآية (١٠١) من سورة المائدة .

(٣) ينظر الإتقان ٢٢٠/٣، وشرح عقود الجمان صـ ٥٦ ، ودلالات التراكيب صـ ٢٥٧

(٤) من الآية (٤١) من سورة البقرة .

بعد الأمر بالإيمان فيحصل بذلك غرضان)) [١]

ويلاحظ أن الغرض من النهى كما ذكر الطاهر هو التوبيخ على تأخرهم فى اتباع الإسلام وهذا معنى كنائى يفهم من السياق وقرائنه حيث إن ظاهر الكلام " نهى عن أن يكونوا كافرين بالقرآن وذلك مدلول اللفظ حقيقة وصريحاً كما يقول الطاهر ، ويضاف إلى غرض التوبيخ أن يكون المقصود بالنهى الأمر بالمبادرة إلى الإيمان ، وأن يكونوا أول المؤمنين .

• **وعن مجئ النهى للنصح والإرشاد :**

يقول فى قوله تعالى :

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢]

((وقوله **﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾** عطف غرض على غرض عقب الأمر بالإنفاق فى سبيل الله بالنهى عن الأعمال التى لها عواقب ضارة إبلاغاً للنصيحة والإرشاد لئلا يدفع بهم يقينهم بتأييد الله إياهم إلى التفريط فى وسائل الحذر من غلبة العدو ، فالنهى عن الإلقاء بالنفوس إلى التهلكة يجمع معنى الأمر بالإنفاق وغيره من تصاريف الحرب وحفظ النفوس ... ومعنى النهى عن الإلقاء باليد إلى التهلكة النهى عن التسبب فى إتلاف النفس أو القوم عن تحقق الهلاك بدون أن يجتنى منه المقصود))[٣]

• **وعن مجئ النهى لتأكيد الأمر :**

يقول فى قوله تعالى:**﴿ ... فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ ...﴾** [٤]

((وقوله **﴿ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾** جاء النهى عن قربانهن تأكيداً للأمر باعتزالهن وتبييناً للمراد من الاعتزال وإنه ليس التباعد عن الأزواج بالأبدان كما كان عند اليهود بل هو عدم القربان ...)) [٥]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٤٦٠/١،٤٦١ باختصار .

(٢) الآية (١٩٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢١٣/٢ ، ٢١٤ باختصار .

(٤) من الآية (٢٢٢) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٦/٢

• أما عن عطف النهى على النهى للتحذير :

فيقول فى قوله تعالى :﴿ ... ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ... ﴾ (١)

((عطف هذا النهى على النهى فى قوله ﴿ ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ﴾ لزيادة التحذير من صنيعهم فى تطويل العدة لقصد المضارة ، بأن فى ذلك استهزاءً بأحكام الله التى شرع فيها حق المراجعة مريداً رحمة الناس فيجب الحذر من أن يجعلوها هزءاً ، وآيات الله هى ما فى القرآن من شرائع المراجعة نحو قوله :﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ إلى قوله ﴿ وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾)) (٢)

ويلاحظ أن هذه الآية الكريمة اجتمع فيها عطف النهى على الأمر ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ... ﴾ ، وعطف النهى على النهى كما سبق فى الآية والغرض من عطف النهى على الأمر تقرير المعنى المراد فى الذهن بطريقتين غايتهما واحدة)) (٣)

هذا ولقد أشار الطاهر إلى عطف الأمر على النهى وعكسه فى عدة مواضع من سورة البقرة وهى لا تخرج فى طريقة تحليلها عما سبق ذكره وإن اختلفت أغراضها (٤)

٥- النداء :

عرف سعد الدين النداء بقوله : ((هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعوا لفظاً أو تقديراً كأيا وهيا وغيرها .))(٥) وقد تستعمل صيغته فى غير معناه لأغراض مجازية :

كالإغراء : فى قولك لمن أقبل يتظلم : " يا مظلوم "

والاختصاص : فى قولهم : " اغفر اللهم لنا أيتها العصابة " اى متخصصين من بين الأقوام والعصائب .

والتحسر : كقوله تعالى : ﴿ ... يا ليتني كنت ترابا ﴾ (٦)

والندبة : كما تقول : " واإسلاماه "

---

(١) من الآية (٢٣١) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٤٢٤/١

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤٢٣/٢

(٤) منها الآيات (١٣٢) ، (١٨٨) ، (٢٣٣) ، (٢٨٢)

(٥) ينظر المطول صـ ٢٤٤

(٦) من الآية (٤٠) من سورة النبأ .

وتستعمل صيغته في أغراض أخرى ، كالزجر ، والملامة ، وقصد التعظيم ، وقصد انحطاط المدعو ، وإظهار الحرص على إقباله أو كون المتلو معتنى به إلى غير ذلك من الأغراض التي يقتضيها المقام ويدعو إليها الحال [١]

• **أما عن الإمام الطاهر** : فكما سبق أن بحث النداء في تفسيره لسورة البقرة من أصغر مباحث الإنشاء الطلبي ،ولقد أشار إلى بعض المعاني المجازية التي يستعمل فيها النداء .

• **فعن مجئ النداء للتعظيم :**

يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ** ﴾ [٢]

((ونداء " آدمُ " قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملإ الأعلى لأن نداءه يسترعي اسماع أهل الملإ الأعلى فيتطلعون لما سيخاطب به ، وينتزع من هذه الآية أن العالم جدير بالإكرام بالعيش الهنئ ، كما أخذ من التي قبلها أنه جدير بالتعظيم)) [٣]

• **وعن استعمال صيغة النداء في الضراعة :**

يقول في قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[٤]

((فائدة تكرير النداء بقوله " رَبَّنَا " إظهار الضراعة إلى الله تعالى وإظهار أن كل دعوى من هاته الدعوات مقصودة بالذات ولذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى فإن الدعوة الأولى لطلب تقبل العمل والثانية : لطلب الاهتداء فجملة النداء معترضة بين المعطوف هنا والمعطوف عليه في قوله الآتي: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً ...** ﴾))[٥]

• **وعن مجئ النداء لإظهار التذلل :**

يقول في قوله تعالى:﴿ **... رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا...** ﴾ [٦]

---

(١) ينظر الإتقان ٢٢٣،٢٢٢/٣ وشرح عقود الجمان صـــ ٥٧

(٢) الآية (٣٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤٢٨/١

(٤) الآية (١٢٨) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٧١٩/١

(٦) من الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .

((وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ إلخ فصل بين الجملتين ، بإعادة النداء مع أنه مستغنى عنه ؛ لأن مخاطبة المنادى مغنية عن إعادة النداء لكن قصد من إعادته إظهار التذلل .)) [١]

• ويلاحظ تعويل الطاهر على السياق والقرائن وأهميتهما في إدراك المعاني المجازية للنداء . والمعاني التي ذكرها لصيغ النداء في الآيات السابقة " التعظيم ، والضراعة ، وإظهار التذلل " لم يشر إليها صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآيات [٢]

• **وضع الخبر موضع الإنشاء :** ذكر البلاغيون أن الخبر قد يوضع موضع الإنشاء لأغراض بلاغية . كالتفاؤل أو لإظهار الحرص في وقوعه ، أو للاحتراز عن صورة الأمر ، كقول العبد للمولى إذا حوّل عنه وجهه : ((ينظر المولى إليّ ساعة " أو لحمل المخاطب على المطلوب بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذب الطالب أو لنحو ذلك)) [٣]

((والقول بمجيء الإنشاء في لفظ الخبر لا يعني أن المسألة مسألة لفظ ، وأن الإنشاء بقي كما لو كان في لفظ الإنشاء ... الأمر أدق من هذا لأن الذي يحدث تغيير في الحس بالمعنى والشعور به ، ولو تأملت لوجدت الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الخبر ...فقولك " ارحم اللهم زيداً ... دعاء منك بالرحمة وقولك : " رحم الله زيداً " دعاء منك بالرحمة أيضاً ولكن الرغبة هنا أكثر إلحاحاً وأشد تعلقاً بالنفس ، وكأنها لقوة إحاطتها بالقلب أوهمت أنها وقعت وأن الله قد ناله برحمته ، وأنت تخبر عن هذه الحاله ، قال البلاغيون في هذا : إن النفس إذا عظمت رغبتها في شئ تخيلت غير الواقع واقعاً وبنت الكلام على هذا التخيل وأجرته على نسجه ...)) [٤]

• هذا ولقد أشار الطاهر إلى وضع الخبر موضع الإنشاء في عدة مواضع من سورة البقرة ، كما أشار أيضاً إلى عطف الإنشاء على الخبر .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣/١٤٠

(٢) ينظر الكشاف ١/١٥٦،٢١٤،٣٦٠

(٣) ينظر الإيضاح ٢/٥٢

(٤) ينظر دلالات التراكيب صـ٢٢٦،٢٦٧ باختصار .

يقول في قوله تعالى :

﴿ ... وليس البرُّ بأنْ تأتوا البيوتَ من ظهورها ولكنَّ البرَّ مَن اتَّقى وأتوا البيوتَ من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [١]

((وقوله ﴿وأتوا البيوتَ منْ أبوابها ﴾ معطوف على جملة ﴿ وليس البرُّ ﴾ عطف الإنشاء على الخبر الذي هو في معنى الإنشاء ؛ لأن قوله ﴿ وليس البرُّ ﴾ في معنى النهي عن ذلك فكان كعطف أمر على نهي)) [٢]

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ ... وقدّموا لأنفسكمْ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾ [٣]

((عطف على جملة ﴿ فأتوا حرثكمْ ﴾ ، أو على جملة ﴿ إنَّ اللهَ يُحبُّ التوابين ويُحبُّ المتطهّرين ﴾ . عطف الإنشاء على الخبر ، على أن الجملة المعطوفة عليها وإن كانت خبراً فالمقصود منها الأمر بالتوبة والتطهر فكرر ذلك اهتماماً بالحرص على الأعمال الصالحة بعد الكلام على اللذائذ العاجلة .)) [٤]

والإمام الطاهر هنا يلفت الأنظار إلى أمرين : الأول : عطف الإنشاء على الخبر في الآية . الثاني : أن الخبر مقصود منه الأمر بالتوبة والتطهر ... فلوضع الخبر موضع الإنشاء وعكسه أسرار بلاغية كما سبق .

- وفي موضع آخر ، يقول في قوله تعالى :﴿ والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء ولا يحلّ لهنّ أن يكتمنَ ما خلقَ اللهُ في أرحامهنّ إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر وبعولتهنّ أحقّ بردّهنّ في ذلك إنْ أرادوا إصلاحا... ﴾ [٥]

((وجملة ﴿ والمطلّقات يتربّصنَ ... ﴾ خبرية مراد بها الأمر ، فالخبر مستعمل في الإنشاء وهو مجاز فيجوز جعله مجازاً مرسلاً مركباً ، باستعمال الخبر في لازم معناه ، وهو التقرير والحصول . وهو الوجه الذي اختاره التفتازاني في قوله تعالى ﴿ أفمنْ حقّ عليه كلمةُ العذاب أفأنت تنقذُ مَن في النار ﴾ [٦] بأن يكون الخبر مستعملاً في المعنى المركب الإنشائي ، بعلاقة اللزوم بين الأمر ، مثلاً كما هنا ، وبين الامتثال حتى يقدر المأمور فاعلاً

---

(١) من الآية (١٨٩) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٩٨/٢
(٣) من الآية (٢٢٣) من سورة البقرة .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٧٤/٢
(٥) من الآية (٢٢٨) من سورة البقرة .
(٦) الآية (١٩) من سورة الزمر .

فيخبر عنه . ويجوز جعله مجازاً تمثيلياً كما اختاره الزمخشري في هذه إذ قـــال : ((فكأنـــهن امتثلـــن الأمـــر بـــالتربص فـــهو يخـــبر عنـــه موجـــوداً ونحـــوه قولـــهم فـــي الدعــــاء : "رحمك الله" أخرج الكلام في صورة الخبر ثقة بالاستجابة))[١][٢]

ونظراً لأن الطاهر أشار إلى ما ذكره صاحب الكشاف حول الآية أنقل بعض كلامه عن الغرض من وضع الخبر في موضع الأمر يقول : ((فإن قلت : فما معنى الإخبار عنـــهن بـــالتربص ؟ قلت : هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام : وليتربص المطلقات . وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر ، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله ، فكأنـــهن امتثلـــن الأمر بالتربص ...)) [٣]

وفي تقديري أن صاحب الكشاف كان أقدر على الكشف عن الغرض من وضـــع الخـــبر فـــي موضع الأمر !

• **وعن استعمال الخبر في معنى الأمر للتحقيق والتأكيد :**

يقول في قوله تعالى : ﴿ ... **وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّـــهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ [٤]

((وقوله ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ ﴾ جملة حالية ، وهي خبر مستعمل في معنى الأمر ، أي إنما تكون منفعة الصدقات لأنفسكم إن كنتم ما تنفقون إلا ابتغــــاء وجـــه الله لا للريــاء ولا لمراعاة حال مسلم وكافر ، وهذا المعنى صالح لكلا المعنيين المحتملين في الآية التي قبلـــها . ويجوز كونها معطوفة عليها إذا كان الخبر بمعنى النهي ، أي لا تنفقوا إلا ابتغـــاء وجـــه الله . وهذا الكلام خبر مستعمل في الطلب لقصد التحقيق والتأكيد ولذلك خولف أسلوب ما حفَّ به مـــن جملة " وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ – وجملة – وَمَا تُنفِقُـــواْ مِـــنْ خَـــيْرٍ يُـــوَفَّ إِلَيْكُـــمْ)) [٥]

ويلاحظ هنا أيضاً إشارة الطاهر إلى أهمية السياق وقرائنه في تحديد المعنى المجازي والسر

---

(١) ينظر الكشاف ٢٩٨/١

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٨٨/٢

(٣) ينظر الكشاف ٢٩٨/١ باختصار .

(٤) من الآية (٢٧٢) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٧٢/٣

البلاغي وراء استعمال الخبر في معنى الأمر . هذا ولقد أشار الطاهر إلى عطف الخبر على الإنشاء ، والتناسب بين الخبرية والإنشائية ، وعطف الإنشاء على الإنشاء في عدة مواضع من سورة البقرة ، وذكر في بعض المواضع أن عطف الإنشاء على الخبر وعكسه كثير في كلام العرب ، يقول في قوله تعالى :

﴿ ... وبشّر الصّابرين ۝ الّذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ﴾ [1]

«وجملة ﴿ وبشّر الصّابرين ﴾ معطوفة على ﴿ ولنبلُونّكُمْ ﴾ ، والخطاب للرسول عليه السلام بمناسبة أنه ممن شمله قوله ﴿ ولنبلُونّكُمْ ﴾ وهو عطف إنشاء على خبر ولا ضير فيه عند من تحقق أساليب العرب ورأى في كلامهم كثرة عطف الخبر على الإنشاء وعكسه . » [2] ومع إشارة الطاهر إلى كثرته في كلام العرب إلا أنه لم يشر إليه إلا في مواضع معدودة من سورة البقرة ، ولعله أشار إلى ذلك في باقي التفسير [3]

وأنتقل إلى المبحث الثامن من علم المعاني لنقف على جهود الطاهر البلاغية وطريقته في الكشف عن أسرار النظم القرآني ، وما أضافه إلى ميدان البحث البلاغي .

---

(١) من الآية (١٥٥) والآية (١٥٦) كاملة من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢/٥٦

(٣) من هذه المواضع في سورة البقرة الآيات (١٠١) ، (١٠٢) ، (١١٩) ، (١٥٧) ، (٢٣٦) .

المبحث الثامن
الفصل والوصل
وأسرارهما البلاغية
فى تفسيـــر
" التحرير والتنوير "
(سورة البقرة)

تعريف الوصل والفصل :

((هذا الفن من علم المعاني فن عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتى فى فهم كلام العرب طبعاً سليماً ، ورزق فى إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً .)) (١)

ولقد عرف الخطيب الوصل والفصل بقوله : ((الوصل عطف الجمل على بعض ، والفصل تركه...))(٢) والجمل التى يقصدها هى الجمل التى لا محل لها من الإعراب كما أن هذا العطف يكون بالواو وخاصة ، ودقة الوصل والفصل إنما تظهر فى هذين الأمرين .

وكون الواو مختصة ببحث " الوصل " دون غيرها من أدوات العطف . يجيب عن ذلك الإمام عبد القاهر بقوله : ((واعلم أنه إنما يعرض الإشكال فى " الواو " دون غيرها من حروف العطف وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معانى ، مثل أن " الفاء " توجب الترتيب من غير تراخ ، و " ثم " توجبه مع تراخ ، و " أو " تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه ، فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة ... وليس للواو " معنى سوى الإشراك فى الحكم الذى يقتضيه الإعراب الذى أتبعت فيه الثانى الأول .)) (٣)

((فالواو هى الأداة التى يحتاج العطف بها إلى دقة فى الإدراك ولطف فى الفهم ، لأنها لا تفيد سوى مجرد الربط بين متعاطفيها فهى لمطلق الجمع بين المتعاطفين ، فيحتاج الأمر إلى بيان أسرار هذا الربط والعطف فوق مطلق الجمع)) (٤)

هذا ((ويشترط لصحة العطف " بالواو " فى المفردات والجمل التى لها محل من الإعراب أن تكون بين الجملة الأولى والثانية جهة جامعة نحو " زيد يكتب ويشعر " لما بين الكتابة والشعر من التناسب والجهة الجامعة بين الشعر والكتابه هو التأليف))(٥)

---

(١) ينظر الإيضاح ٢/٥٦

(٢) السابق ٢/٥٥

(٣) ينظر دلائل الإعجاز صـ ٢٢٤

(٤) ينظر فصول من علم المعانى صـ ١٢٥

(٥) ينظر المطول صـ ٢٤٧

أما عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، ومجيئ الواو للوصل بينها فيأتي الحديث عن ذلك في أحوال الوصل .

أحوال الفصل :

سيقتصر الحديث هنا على ثلاث أحوال من أحوال الفصل وهي " كمال الاتصال ، وكمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال " وهذه هي الأحوال التي أشار إليها الطاهر في تفسيره لسورة البقرة وظهرت عنايته بها واضحة جلية ، كما أن الموضعين الآخرين وهما " شبه كمال الانقطاع ، والتوسط بين الكمالين مع وجود المانع ((قد زادهما المتأخرون من علماء المعاني على مواضع الفصل ، ولكن عند التأمل : يمكن ردهما إلى الموضع الثالث)) [١]

(١) كمال الاتصال :

((وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوى ، بأن تكون الثانية منهما متصلة اتصالاً وثيقاً بالتى قبلها ، بحيث تنزل منها منزلة نفسها ، وفى هذه الحالة لا مكان للواو العاطفة لما بينهما من ربط معنوى)) [٢]

وكمال الاتصال يكون لأمور ثلاثة :

الأول : أن تكون الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط وهو قسمان : **أحدهما :** أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوى من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى كقوله تعالى : ﴿ **الم ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [٣] فالجملة الأولى تفيد بواسطة تعريف الطرفين أنه الكتاب الكامل ، والمراد بكماله كماله فى الهداية وقوله ﴿ **لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ يعنى نفى الريب ، وهذا المعنى لو أدرته فى نفسك تجده يؤدى إلى توكيد معنى الهداية ؛ لأنه ما دام قد نفى عنه الريب والتبس باليقين ، كان مظنة التأثير والسيطرة على القلوب التي استيقنته وقوله ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ تأكيد ظاهر لمعنى الكمال في الهداية . "

---

(١) ينظر البلاغة الواضحة للأستاذين / علي الجارم ومصطفى أمين صـ ٢٣٠ ط دار المعارف .

(٢) ينظر فصول من علم المعاني للأستاذ الدكتور / فوزي عبد ربه صـ ١٢٧

(٣) الأيتان (١ ، ٢) من سورة البقرة .

ثانيهما : أن تنزّل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى ، ومثاله : « الآية السابقة ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ معناه أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ لأن معناه كما سبق الكتاب الكامل ...» [1]

• **الثاني** : أن تكون الثانية بدلاً من الأولى، والمقتضى للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية،والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة ، ككونه مطلوباً في نفسه أو فظيعاً أو عجيباً وهو ضربان : **أحدهما** : أن تنزّل الثانية من الأولى منزلة بدل بعض من متبوعه كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [2]

وقوله : ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ أوفى بتأديته مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعملون"

ثانيهما : أن تنزّل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ، كقوله تعالى :

﴿ ... اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [3] فقوله ﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أوفى بتأدية ذلك ؛ لأن معناه لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة .

الثالث : أن تكون الثانية بياناً للأولى، وذلك بأن تنزّل منها منزلة عطف البيان مع متبوعه في زيادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته .

كقوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[4] فصل جملة ﴿ .. قَالَ يَا آدَمُ ... ﴾ عما قبلها لكونها تفسيراً له وتبييناً

---

(١) ينظر الإيضاح ٦٣/٢

(٢) الآيات (١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤) من سورة الشعراء .

(٣) من الآية (٢٠) والآية (٢١) كاملة من سورة يس .

(٣) الآية (١٢٠) من سورة طه .

((فلم تدخل الواو فيما سبق لوثوق الصلة بين هذه الجمل ؛ ولأنها لا تقـــع إلا بيـــن متغـــايرين ومتناسبين ، وإذا دخلت الواو بين الجمل السابقة آذنت أن هذا شيء ، وهذا شئ آخر ، وكـــأنك تخبر عن حقيقتين لا حقيقة واحدة)) [١]

وإذا انتقلنا إلى الإمام الطاهر لنرى بحث " كمال الاتصال في تفسيره :

نجد أن مبحث الفصل والوصل من أكبر مباحث علم المعاني في تفسيره لسورة البقرة خاصـــة " شبه كمال الاتصال " من أحوال الفصل ، وسأتناول في هذا المبحث الآيات التي كشف عما فيها من أسرار الفصل والوصل كما أنها تبين منهجه وطريقته في الكشف عن أسرار النظم القرآنـــي .

فعن كمال الاتصال : يقول في قوله تعالى :**﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَـــاتِ أَنَّ لَـــهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْـــلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** [٢]

((جملة **﴿ كلما رزقوا ﴾** يجوز أن تكون صفة ثانية لجنات . ويجوز أن تكون خبر عن مبتـــدأ محذوف وهو ضمير الذين آمنوا ، ولكمال الاتصال بينها وبين جملة **﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾** فصلت عنها كما تفصل الأخبار المتعددة)) [٣]

والطـــاهر هنـــا خـــالف صـــاحب الكشـــاف حيـــث إنـــه جـــوز أن يكـــون قولـــه تعـــالى : **﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ ... ﴾** جملة مستأنفة أو صفة ثانية لجنات أو خبر لمبتدأ محـــذوف ، وفصـــل صاحب الكشاف الاستئناف في الآية بقوله : ((لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا ، أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجنـــاس ؟ فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا ، أي أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله)) [٤]

وعلى هذا يكون الفصل لشبه كمال الاتصال حيث إن الجملة الأولى مثيرة لسؤال تصلح الثانيـــة أن تكون جوابا له .

---

(١) ينظر دلالات التراكيب صـــ ٢٩٤ باختصار .

(٢) الآية (٢٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٣٥٦

(٤) ينظر الكشاف ١/١٣٦

((ويرى الشهاب الخفاجي أن قوله تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ ... الآية** ﴾ من عطف القصة على القصة ... بأن يعطف مجموع جمل متعددة مسوقة لمقصود على مجموع جمل أخرى مسوقة لغرض آخر فيعتبر حينئذ التناسب بين القصتين دون آحاد جملها ...))[1]

وهكذا تختلف نظرات البلاغيين إلى السياق وقرائنه وعلى كل فالسياق لا يأبى هذه التأويلات !

ويقول في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ...** ﴾[2]

((...وفصلّ الجملة السابقة أي قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ... الآية** ﴾[3] يجوز أن يكون لمراعاة كمال الاتصال بين الجملتين لأن هذه الجملة كالنتيجة للدليل الأول لأن في خلق الأرض وجميع ما فيها وفي كون ذلك لمنفعة البشر إكمالاً لإيجادهم المشار إليه بقوله ﴿ **وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ** ﴾ لأن فائدة الإيجاد لا تكمل إلا بإمداد الموجود بما فيه سلامته من آلام الحاجة إلى مقومات وجوده ... ويجوز أن يكون قوله ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ امتناناً عليهم بالنعم لتسجيل أن إشراكهم كفران بالنعمة أدمج[4] فيه الاستدلال على أنه خالق لما في الأرض من حيوان ونبات ومعادن استدلالاً بما هو نعمة مشاهدة كما أشار إليه قوله " لَكُم " فيكون الفصل كما قرر آنفاً، ولم يلتفت إلى ما في هذه الجملة من مغايرة للجملة الأولى بالامتنان لأن ما أدمج فيها من الاستدلال رجح اعتبار الفصل ...))[5]

ويلمح من تحليل الطاهر للآية حرصه على إظهار مدى ارتباط النظم وأجزائه في القرآن .

ويقول في قوله تعالى : ﴿ ... **وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ...** ﴾[6]

---

(١) ينظر حاشية الشهاب ٨٤/٢

(٢) من الآية (٢٩) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٢٨) من سورة البقرة .

(٤) الإدماج : أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر . ينظر الإيضاح ٥٣/٤

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣٧٨/١ باختصار .

(٦) من الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .

« فصل بين الجملتين المتعاطفتين[١] ، بإعادة النداء ، مع أنه مستغنى عنه :لأن مخاطبة المنادى مغنية عن إعادة النداء لكن قصد من إعادته إظهار التذلل »[٢]

وتلك أشهر المواضع التى أشار الطاهر فيها إلى كمال الاتصال ، كما أن بحث " كمال الانقطاع " فى تفسيره لا يختلف فى حجمه " عن كمال الاتصال " وفيما يبدوا أن الطاهر قد وضع جُـلَّ جهده فى بحث " شبه كمال الاتصال " أو الاستئناف البيانى كما سيتضح فيما بعد .

٢- كمال الانقطاع :

وضابطه : « أن يكون بين الجملتين تباين تام لا يسوغ العطف بينهما إذ العطف يقتضي التآلف والتناسب بين الجملتين وحيث لا تآلف ولا تناسب لا يصح العطف فيجب الفصل ولكن الفصل مشروط بأن لا يوهم خلاف المراد »[٣]

وكمال الانقطاع يكون لأمرٍ يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه :

الأول : أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى ، كقولهم : " لا تدن من الأسد يأكلك "

الثاني : ألا يكون بين الجملتين جامع يصحح العطف ؛ لأن العطف لابد له من مناسبة معينة بين طرفي جملتيه وما يتعلق بهما . كقوله تعالى : ﴿ ... سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤] يقول الزمخشري : « لم يعطف قصة الكافرين على المؤمنين مع وجود الجامع – وهو التضاد – لأن هذا الكلام مسوق لبيان حال الكفار قصداً ، والأول مسوق لبيان حال الكتاب قصداً ، وذكر حال المؤمنين ليس مقصوداً على الأصالة »[٥]

ولقد أشار الطاهر إلى " كمال الانقطاع في عدة مواضع من سورة البقرة ، مبيناً ما وراءه من أسرار تتصل بالمقام . يقول عن الآية السابقة .

---

(١) والجملة التي قبلها ﴿ ... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ... ﴾

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٤٠/٣

(٣) ينظر فصول من علم المعاني صـ ١٣٣

(٤) من الآية (٦) من سورة البقرة .

(٥) ينظر الكشاف ٨٦/١

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

((... وإنما قطعت هاته الجملة عن التي قبلها (٢) لأن بينهما كمال الانقطاع إذ الجمل السابقة لذكر الهدى والمهتدين ، وهذه لذكر الضالين فبينهما الانقطاع لأجل التضاد ، ويعلم أن هؤلاء قسم مضاد للقسمين المذكورين قبله من سياق المقابلة .)) (٣)

ومما تجدر الإشارة إليه أن هاتين الجملتين وإن كان الفصل بينهما لكمال الانقطاع كما أشار الظاهر فإن هناك ثمة جامع بين الكلام ذكرت الواو أم لم تذكر ، ولقد أشار إلى هذا الجامع السيد الشريف في حاشيته على المطول ، يقول : ((الجملتان إذا لم يعطف احداهما على الأخرى فهم اجتماع مضمونيهما في الحصول بدلالة العقل ضرورة أن الأمور الواقعة في نفس الأمر تكون مجتمعة فيها ، وربما لا تكون هذه مقصودة للمتكلم ، وإذا عطفت بالواو فقد دل على الاجتماع بدلالة لفظية مقبولة ...)) (٤)

هذا ولقد أشار السيوطي في الإتقان إلى الآية التي معنا ، وذكر ما فيها من كمال الانقطاع وأنه يربطها بما قبلها التضاد وهو من القرائن المعنوية التي تؤذن بالربط " (٥) كما أشار صاحب الكشاف إلى " كمال الانقطاع في هذه الآية (٦) وهي رأس شواهد هذا الضرب في كتب البلاغة(٧)

- ويقول في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٨)

((وفصلت الجملة عن سابقتها ، وهو قوله ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ للانتقال إلى غرض آخر ، وافتتحت بـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لما في النداء من إظهار العناية بما سيقال بعد))(٩)

---

(١) الآية (٦) من سورة البقرة .

(٢) ما قبلها الآيات التي اشتملت على ذكر صفات المتقين في أول سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٤٧

(٤) ينظر حاشية السيد على المطول صـ ٢٥٠ باختصار .

(٥) ينظر الإتقان ٣/٢٩٠ ، ٢٩١

(٦) ينظر الكشاف ١/٨٦

(٧) ينظر دلالات التراكيب صـ ٣٣٥

(٨) الآية (١٨٣) من سورة البقرة .

(٩) ينظر التحرير والتنوير ٢/١٥٤

ويقول في قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...** ﴾ [١]

((وقوله " الْحَيُّ " خبر لمبتدأ محذوف ، و" الْقَيُّوم " خبر ثان لذلك المبتدأ المحذوف والمقصود إثبات الحياة وإبطال استحقاق آلهة المشركين وصف الإلهية لانتفاء الحياة عنهم ... وفصلت هذه الجملة عن التي قبلها للدلالة على استقلالها لأنها لو عطفت لو عطفت لكانت كالتبع ، وظاهر كلام الكشاف أن هذه الجملة مبينة لما تضمنته جملة ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ من أنه القائم بتدبير الخلق أي لأن اختصاصه بالإلهية يقتضي أن لا مدبر غيره فلذلك فصلت خلافاً لما قرر به التفتازاني كلامه فإنه غير ملائم لعبارته)) [٢]

وكلام صاحب الكشاف يدل على أن الآية من كمال الاتصال ، يقول : ((فإن قلت : كيف ترتب الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف ؟ قلت : ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتب عليه والبيان متحد بالمبين ، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولِحائِها [٣] فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساهٍ عنه والثانية لكونه مالكاً لما يدبره . والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق ، وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره)) [٤]

وفيما يبدوا أن ما ذكره صاحب الكشاف حول سر الفصل في الآية أولى بالقبول فالآية من بدايتها إلى نهايتها تشير إلى وحدانية الله وقيوميته وكمال صفاته وعلمه سبحانه فهي ملتحمة ببعضها تمام الالتحام ولأجل ذلك فُصل بين أجزائها لما فيها من كمال الاتصال وكمال الانقطاع من أحوال الفصل التي يكثر دورانها في الكلام كما سبق ، وأكتفي منه بهذه الومضات [٥] وأنتقل إلى بحث شبه كمال الاتصال من أحوال الفصل .

---

(١) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٧/٣، ١٨

(٣) اللحاء : قشر الشجرة مختار الصحاح مادة " لحي " صـ٣٢١

(٤) ينظر الكشاف ٣٢٩/١

(٥) من مواضع كمال الانقطاع التي أشار إليها الطاهر الآية (١٩٥) ينظر التحرير والتنوير ٢١٣/٢

٣-شبه كمال الاتصال "الاستئناف البيانى"

وضابطه : ((أن تكون الجملة الأولى مثيرة لسؤال تصلح الثانية ان تكون جواباً لــه . فيتحقــق بذلك ارتباط قوى بين الجملتين يمنع من دخول "الواو" ، كما يمتنع بيــن الســؤال والجــواب ، ويسمى الفصل فى هذا الموضع استئنافاً كما تسمى الجملة الثانية مستأنفة))(١)

يقول الخطيب : ((وأما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جوابا عن سؤال اقتضتــه الأولــى ، فتنزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال)) (٢)

((فالعلاقة هنا كالعلاقة بين السؤال والجواب ، والسؤال والجواب متغايران بلا ريب)) (٣)

ويسمى الفصل لذلك استئنافاً، وكذلك الجملة الثانية أيضاً تسمى استئنافــاً، والاستئناف ثلاثــة أضرب :

الأول : السؤال عن سبب عام للحكم ، وذلك حيث يكون ما خفى على السامع هو سبب الحكـم ، بمعنى أنه يجهل سبب الحكم من أصله ، كقول الشاعر :

قال لى : كيف أنت ؟ قلت : عليلٌ سَهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طَويلٌ (٤)

أى ما بالك عليلاً ؟ أو ما سبب علتك؟

الثانى : السؤال عن سبب خاص للحكم ، وذلك حيث يتصور السامع نفى جميع الأســباب إلا سبباً خاصاً شك فى حصوله ونفيه ، فيكون المقام مقام تردد ، فتأتى الجملة الثانية لتجيب عن ذلك السؤال وتزيل هذا التردد .كقوله تعالى : ﴿ **وَمَــا أُبَــرِّىءُ نَفْسِــي إِنَّ النَّفْــسَ لأَمَّــارَةٌ بِالسُّوءِ** ... ﴾ (٥) كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء .

الثالث : السؤال عن غيرهما ، وذلك حيث يكون ما انبهم على السامع شئ غير سبب الحكـم ، وإنما هو شئ يتعلق بالجملة الأولى كقوله تعالى : ﴿ ... **قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ** ... ﴾ (٦)

كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل قال سلام)) (٧)

---

(١) ينظر فصول من علم المعانى صـــ١٣٦
(٢) ينظر الإيضاح ٦٨/٢
(٣) دلالات التراكيب صــ٣٠٨
(٤) لا يعرف قائله .
(٥) من الآية (٥٢) من سورة يوسف .
(٦) من الآية (٦٩) من سورة هود .
(٧) ينظر الإيضاح ٧٠/٢

وإذا انتقلنا إلى تفسير الطاهر لنقف على شبه كمال الاتصال لوجدناه من أكبر مباحث هذا الفصل من علم المعاني وبحثه في قسمين .

الأول : الاستئناف البياني .

الثاني: الاستئناف الابتدائي .

* **الاستئناف البياني :**

يقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [١]

« هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ وبيان لسببه في الواقع ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله ، فإذا علم أن على قلوبهم ختماً وأن على أبصارهم غشاوة علم سبب ذلك كله وبطل التعجب ، فالجملة استئناف بياني يفيد جواب سائل يسأل عن سبب كونهم لا يؤمنون وموقع هذه الجملة في نظم الكلام مقابل موقع جملة ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [٢] فلهذه الجملة مكانة بين ذم أصحابها بمقدار ما لتلك من المكانة في الثناء على أربابها » [٣]

* **وفي موضع آخر يشير إلى اجتماع الاستئناف البياني مع موجبين من موجبات الفصل :**

فيقول في قوله تعالى :﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ** ﴾ [٤]

« الإشارة [٥] إلى ﴿ **مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ...** ﴾ وما عطف على صلته من صفاتهم وجئ باسم إشارة الجمع لأن ما صدق " من " هو فريق من الناس ، وفصلت الجملة عن التي قبلها لتفيد تقرير معنى ﴿ **وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ فمضمونها بمنزلة التوكيد وذلك مما يقتضي الفصل [٦] ولتفيد تعليل . جملة ﴿ **وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ فتكون استئنافاً بيانياً لسائل عن العلة وهي أيضاً فذلكة للجملة السابقة الشارحة لأحوالهم وشأن الفذلكة عدم

---

(١) الآية (٧) من سورة البقرة .

(٢) من الآية (٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٥٤/١

(٤) الآية (١٦) من سورة البقرة .

(٥) أي في قوله تعالى ﴿ أولئك ... ﴾ .

(٦) أي الفصل لكمال الاتصال .

العطف كقوله تعالى : ﴿ ... تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ... ﴾ [١]، وكل هذه الاعتبارات مقتض للعطف ففيها ثلاث موجبات للفصل » [٢]

ومن خلال تحليل الطاهر الدقيق للآية يتضح أن الفصل فى الآية لكمال الاتصال بينها وبين التى قبلها [٣] فهى بمنزلة التأكيد لها ، كما أن الفصل بينهما للتعليل استئنافاً بيانياً ، كما أن فيها فذلكة وهى من مقتضيات الفصل . وهذه الإشارة الدقيقة لما فى السياق من أسرار الفصل جهد خلص للطاهر لم يسبق إليه فيما أعلم !! [٤]

• ويقول فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٥]

« وجمل ﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ استئناف بيانى مشير إلى أن مخالفة حاله لحال الملائكة فى السجود لآدم شأنه أن يثير سؤالاً فى نفس السامع كيف لم يفعل إبليس ما أمر به وكيف خالف حال جماعته وما سبب ذلك لأن مخالفته لحالة معشره مخالفةٌ عجيبةٌ إذ الشأن الموافقة بين الجماعات فبين السبب بأنه أبى واستكبر وكفر بالله »[٦]

• **ويشير إلى الاستئناف البيانى وعطف التلقين فى قوله تعالى :**

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [٧] فيقول :

« وجملة ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عما اقتضاه قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ من تعظيم الخبر والتنويه به لما يقتضيه ظرف "إذ" من الإشارة إلى قصة من الأخبار التاريخية العظيمة فيترقب السامع ما يترتب على اقتصاصها ، ويجوز أن يكون الفصل على طريق المقاولة لأن هذا القول مجاوبةٌ لما دل عليه قوله " ابتلى" ... وقوله " قال ومن ذريتى " جواب صدر من إبراهيم فلذلك حكى بـ " قال " دون عاطف على طريق حكاية المحاورات كما تقدم عند

(١) من الآية (١٩٦) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٩٧/١
(٣) وهو قوله تعالى " الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون " الآية (١٥)
(٤) ينظر الكشاف ١٠٧/١ ، وحاشية الشهاب ، وتفسير أبى السعود ، وتفسير الألوسى ، وغيرها من كتب التفسير .
(٥) الآية (٣٤) من سورة البقرة .
(٦) ينظر التحرير والتنوير ٤٢٤/١
(٧) الآية (١٢٤) من سورة البقرة .

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ والمقول معطوف على خطاب الله تعالى إيـاه يسمونه : **عطف التلقين** وهو عطف المخاطب كلاماً على ما وقع في كلام المتكلم تنزيلاً لنفسه في منزلة المتكلم يكمّل له شيئاً تركه المتكلم إما عن غفلة وإما عن اقتصار فيلقنه السامع تداركه بحيث يلتئم من الكلامين كلام تام في اعتقاد المخاطب ... وقد لقبوه عطف التلقيـن لأن أكـثر وقوع مثله في موقع العطف ، والأولى أن تحذف كلمة عطف ونسمي هذا الصنف من الكـلام باسم التلقين وهو تلقين السامع المتكلم ما يراه حقيقياً بأن يلحقه بكلامه ، فقد يكـون بطريـق العطف وهو الغالب كما هنا وقـد يكون بطريق الاستفهام الإنكاري والحال كقوله تعالى :
﴿ ... قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَـا عَلَيْـهِ آبَاءنَـا أَوَلَـوْ كَـانَ آبَـاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُـونَ شَـيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [١] ... » [٢]

وكلام الطاهر عن عطف التلقين يتضمن :

تعريفه كما أشار إليه التفتازاني في شرحه على الكشاف ، وسبب تسميته ، واقتراحـه [٣] بـأن يسمى " **التلقين** " دون كلمة عطف ، ثم التعريف الذي وضعه له ، وإشارته إلى طرقه في الكلام، • وهي تحليلات قيمة تعتمد على الإدراك الكامل لأسرار النظم وارتباط أجزائه . هذا ولقد أشار الألوسي إلى عطف "التلقين " في الآية وطرقه في الكلام ، [٤] وأضاف الطاهر إلى كـلامه مـا اقترحه من تسميته بالتلقين دون عطف ، وما ذكره من تعريف للتلقين . وهذا النوع من العطف ضرب من ضروب البلاغة لا يقل في أهميته عن الاستئناف البياني إلا أن البلاغيين لم يعطـوه اهتماماً كبيراً فلله در التفتازاني والألوسي والطاهر !!

• ويقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٥]

---

(١) من الآية (١٧٠) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٧٠٣/١ - ٧٠٥

(٣) أي اقتراح الطاهر .

(٤) ينظر روح المعاني ٣٧٦/١

(٥) الآية (١٧٣) من سورة البقرة .

((استئناف بياني ، ذلك أن الإذن بأكل الطيبات [١] يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات ؟ فجعله الاستئناف مبيناً المحرمات وهي أضداد الطيبات ، لتعرف الطيبات بطريق المضاد المستفادة من الحصر ، وإنما سلك طريق بيان ضد الطيبات للاختصار ، فإن المحرمات قليلة ، ولأن في هذا الحصر تعريضاً بالمشركين الذين حرموا على أنفسهم كثيراً من الطيبات وأحلوا الميتة والحرام ...)) [٢]

وفي موضع آخر يقول في قوله تعالى :

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ...﴾ [٣]

((استئناف بياني أثاره ضرب المثل العجيب للمنفق في سبيل الله بمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، ومثل جنة بربوة إلى آخر ما وصف من المثلين . ولمّا أتبع بما يفيد أن ذلك إنما هو للمنفقين في سبيل الله الذين لا يتبعون ما أنفقوا منًا ولا أذىً ، ثم أتبع بالنهي عن أن يُتْبِعوا صدقاتهم بالمن والأذى استشرفت نفس السامع لتلقي مثل لهم يوضح حالهم الذميمة كما ضرب المثل لمن كانوا بضد حالهم في حالة محمودة)) [٤]

وعن أثر الاستئناف البياني في تصحيح فهم المخاطب ودفع ما يتوهمه : يقول في قوله تعالى

﴿ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٥]

((استئناف بياني ناشئ عن قوله " وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه " . إذ أشعر تعميم " من نفقة " بحال الصدقات الخفية فيتساءل السامع في نفسه هل إبراء الصدقات يعد رياءً وقد سمع قبل ذلك قوله " كالذي ينفق ماله رئاء الناس " ، ولأن قوله " فإن الله يعلمه " قد كان قولاً فصلاً في اعتبار نيات المتصدقين وأحوال ما يظهرونه منها وما يخفونه من صدقاتهم.

---

(١) أي في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ " البقرة (١٧٢) "

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١١٥/٢

(٣) من الآية (٢٦٦) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٥٣/٣

(٥) الآية(٢٧١) من سورة البقرة .

فهذا الاستئناف يدفع توهماً من شأنه تعطيل الصدقات والنفقات ، وهو أن يمسك المرء عنها إذا لم يجد بداً من ظهورها فيخشى أن يصيبه الرياء ...)) [١]

ويتضح من خلال ما سبق عناية الطاهر ببحث " الاستئناف البياني " أو " شبه كمال الاتصال " ويلاحظ إشارته إلى مواضع من سورة البقرة انفرد بها ولم يسبق إليها ، كما يلاحظ إشارته إلى عطف التلقين ، وهو عطف بلاغي له أثره في النظم إلا أن البلاغيين لم يهتموا به اهتمامًا كبيراً كما يلاحظ تحليلات الطاهر الممتعة التي تتناول كل جزئية من جزئيات النظم ، ونلمح أنه لا يمل من تكرار الإشارة إلى مواضع الاستئناف البياني في السورة ، وهذه المواضع قد اجتزأتها من تفسيره ، وهناك مواضع أخرى كثيرة تحتاج إلى دراسة مستقلة أشير إلى أهمها [٢] ، وأنتقل إلى الحديث عن الاستئناف الابتدائي في تفسيره لسورة البقرة .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣/٦٦ ، ٦٧

(٢) من هذه المواضع الآيات (١٠) ، (١٥) ، (١٧) ، (٦١) ، (٧٠) ، (٨٥) ، (١١٤) ، (١٢١) ، (١٦٩) ، (١٨٥) ، (١٩٤) ، (٢١٠) ، (٢١٢) ، (٢١٣) ، (٢٢١) ، (٢٢٥) ، (٢٥٦) ، (٢٦١) ، (٢٦٣) ، (٢٧٦) وهذه الآيات لا تختلف في منهج دراستها وتناولها عما سبق ذكره في البحث .

الاستئناف الابتدائي :

اتضح من خلال ما سبق أن الاستئناف البياني معناه : استئناف جواب ، وليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه كما يشعر بذلك لفظ الاستئناف .

أما الاستئناف الابتدائي . فلقد أشار إليه ابن هشام عند حديثه عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب فقال :

" الجمل التي لا محل لها من الإعراب سبع :

الأولى : الابتدائية ، وتسمى أيضا المستأنفة ، وهو أوضح لأن الجملة الابتدائية تطلق على الجمل المصدرة بالمبتدأ ، ولو كان لها محل ، ثم الجمل المستأنفة نوعان :

الأول : الجملة المفتتح بها النطق ، كقولك ابتداءً : " زيد قائم " ومنه الجمل المفتتح بها السور .

الثاني : الجملة المنقطعة عما قبلها نحو " مات فلان ، رحمة الله " [١]

* **ولقد أشار الطاهر إلى الاستئناف الابتدائي في تفسيره** ، ودرسه دراسة بيانية موضحاً الرابط الذي يربط بينه وبين الاستئناف البياني وهو رابط معنوي كما سبق فالاستئناف الابتدائي كما سيتضح من خلال تحليله للآيات يعني : **ابتداء معنى له صلة بالكلام السابق لقصد التنبيه والإرشاد أو لقصد التعريض ، أو ابتداء تشريع جاء نتيجة لكلام سابق ، أو ابتداء بيان لكلام سابق ، أو ابتداء جواب عن سؤاله سأله بعض المسلمين أو ابتداء كلام لمناسبة ما تقدم .**

فعن الاستئناف لابتداء معنى له صلة بكلام سابق لقصد التنبيه والإرشاد : يقول في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [٢]

((استئناف ابتدائي ثنى به العنان إلى موعظة كل فريق من الفرق الأربع المتقدم ذكرها موعظة تليق بحاله بعد أن قضى حق وصف كل فريق منهم بخلاله ، ومثلت حال كل فريق

---

(١) ينظر مغنى اللبيب ٢/٤٤٠ ، ٤٤١ ، ودروس في المذاهب النحوية للأستاذ الدكتور / عبده الراجحي صـ٢٧٤ ط دار الجامعية –١٩٩٢م .

(٢) الآية (٢١) من سورة البقرة .

وضربت له أمثاله فإنه لما استوفى أحوالاً للمؤمنين وأضدادهم من المشركين والمنافقين لا جرم تهيأ المقام لخطاب عمومهم بما ينفعهم إرشاداً لهم ورحمة بهم لأنه لا يرضى لهم الضلال ولم يكن ما ذكر آنفاً من سوء صنعهم حائلاً دون إعادة إرشادهم والإقبال عليهم بالخطاب ففيه تأنيس لأنفسهم ...))[١]

هذا ويرى صاحب الكشاف أن هذه الآية من أسلوب الالتفات المذكور عند قوله تعالى :
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وتبعه على ذلك الإمام القاسمي من المحدثين [٢]

• **أما عن الاستئناف لابتداء تشريع جاء نتيجة لحكم سابق : فيقول في قوله تعالى :**
﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ ...﴾ [٣]

((استئناف ابتدائي وإفضاء لشرع استقبال الكعبة ونسخ استقبال بيت المقدس فهذا هو المقصود من الكلام المفتتح بقوله **﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا... ﴾** [٤] بعد أن مهّد الله بما تقدم من أفانين التهيئة وإعداد الناس إلى ترقبه ابتداءً من قوله **﴿ قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾** ثم قوله **﴿ ولن ترضى عنك اليهود ﴾** ثم قوله **﴿ وإذ جعلنا البيت ﴾** ثم قوله **﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء﴾**))[٥]

• **وعن الاستئناف لابتداء جواب عن سؤال سأله بعض المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم : يقول في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾** [٦]

((استئناف ابتدائي لابتداء جواب عن سؤال سأله بعض المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم روى الواحدي عن ابن عباس أن السائل عمْرو بن الجموح الأنصاري ، وكان ذا مال فقال

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٣/١ ، ٣٢٤ باختصار .

(٢) ينظر الكشاف ١٢٠/١، ١٢١ ومحاسن التأويل للقاسمي ٢٦٤/١

(٣) من الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

(٤) من الآية (١٤٢) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٢٦/٢

(٦) الآية (٢١٥) من سورة البقرة .

يا رسول الله : بماذا يُتصدق وعلى من ينفق[١] ، وقال ابن عطية السائلون هـم المؤمنـون[٢] يعني أنه تكرر السؤال عن تفصيل الإنفاق الذي أمـروا بـه غير مـرة علـى الإجمـال ، فطلبوا بيان من ينفق عليهم[٣] .

• **وعن الاستئناف لابتداء كلام لمناسبة ما تقدم ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[٤]

((قال الزجاج[٥] : " لما ذكر الله في هذه السورة أحكاماً كثيرة ، وقصصاً ختمها بقوله **﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾** تعظيماً لنبيه صلى الله عليه وسلم ـ وأتباعه ، وتأكيداً وفذلكـة لجميع ذلك المذكور من قبل " يعني أن هذا انتقال من المواعظ ، والإرشاد ، والتشريع ، ومـا تخلل ذلك : فما هو عون على تلك المقاصد ، إلى الثناء على رسوله والمؤمنين فـي إيمانـهم بجميع ذلك إيماناً خالصاً يتفرع عنه العمل ؛ لأن الإيمان بالرسول والكتاب يقتضي الامتثال لمـا جاء به من عمل .

فالجملة استئناف ابتدائي وضعت في هذا الموقع لمناسبة ما تقدم وهو انتقـال مـؤذن بانتـهاء السورة لأنه لما انتقل من أغراض متناسبة إلى غرض آخر:هو كالحاصل والفذلكة فقد أشـعر بأنه استوفى تلك الأغراض))[٦]

• ومن خلال ما سبق يتضح الصلة الوثيقة بين الاستئناف الابتدائي والاستئناف البياني فكلاهمـا يعتمد على الرابط المعنوي بين الجمل ، فلا يحتاجان إلى حرف عطف لما بينهما من صلة كمـا أن الاستئناف الابتدائي قد يأتي لاستئناف جواب عن سؤال كما تقدم وهو في ذلـك يتفق مـع الاستئناف البياني ، وبذلك يكون الطاهر قد تناول دراسة الاستئناف الابتدائي من الناحية البيانية ، وهي لفتة بلاغية توضع في سجل جهوده البلاغية في الكشف عن أسرار النظم القرآني .

هذا ولقد أشار الطاهر إلى الاستئناف الابتدائي في مواضع كثيرة من سورة البقرة وهي لا

---

(١) ينظر أسباب النزول للواحدي صـ٥٠ ط مكتبة الإيمان – ط أولى ١٤١٧هـ

(٢) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢٨٨/١ ط سابقة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣١٧/٢

(٤) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

(٥) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣٦٨/١ ط دار الحديث .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ١٣١/٣

تختلف في منهج دراستها عما سبق ذكره [١]

• **أحوال الوصل :**

ذكر الخطيب أنه إذا لم يكن بين الجملتين شيء من أحوال الفصل تعين الوصل ، إما لدفع إيهام خلاف المقصود ، كقول البلغاء : " لا ، وأيدك الله " وهذا عكس الفصل للقطع [٢]

والوصل يقع في موضعين :

• **الأول : التوسط بين الكمالين :**

وضابطه أن تتفق الجملتان في الخبرية أو الإنشائية وتكون بينهما مناسبة ورابطة قوية تجمع بينهما وتصحح العطف ، مع عدم المانع من العطف [٣]

والمراد بالمناسبة والرابطة الجامع الذي يجمع بين الجملتين ،ومثال المتفقتين في الخبرية لفظاً ومعنى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ [٤]

ومثال المتفقتين في الإنشائية لفظاً ومعنى قوله تعالى ﴿ ... **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ... الآية** ﴾ [٥]،[٦]

• **الثاني : كمال الانقطاع مع الإيهام :**

وذلك إذا كان الفصل بين الجملتين موهماً خلاف المقصود ، وجب – حينئذ – الوصل ،ومثاله : ما روي أن أبا بكر – رضي الله عنه – مر برجل في يده ثوب فقال له : " أتبيع هذا الثوب ؟ فرد الرجل : لا يرحمك الله . فقال أبو بكر للرجل : "لا تقل هذا وقل : لا ويرحمك الله "

---

(١) من هذه المواضع الآيات (٣٦) ، (١٦٨) ، (٢١٧) ، (٢١٩) ، (٢٢٦) ، (٢٣٦) ، (٢٨٢) ، (٢٨٣)

(٢) ينظر الإيضاح ٧٣/٢

(٣) ينظر فصول من علم المعاني صـ١٤١

(٤) الآيتان (١٣ ، ١٤) من سورة الانفطار .

(٥) من الآية (١٥) من سورة الشورى .

(٦) هناك أيضاً الجملتان المتفقتان في الخبرية معنى وإن اختلفتا في اللفظ ، والمتفقتان في الإنشائية معنى وإن اختلفتا في اللفظ .
ينظر الإيضاح ٧٤/٢ ، ٧٥

• والإمام الطاهر لم يشر إلى أحوال الوصل إلا في مواضع عديدة من سورة البقرة ، وكلامه حولها لا يختلف عما ذكره البلاغيون من الناحية التقريرية وإن اختلف من الناحية التحليلية وطريقة الكشف عن البلاغة القرآنية :

• **فعن التوسط بين الكمالين يقول في قوله تعالى :**

﴿ ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

((ووجه العطف " بالواو " دون الفصل أن بين الجملتين توسطاً بين كمالي الاتصال والانقطاع لأنك إن نظرت إلى اختلاف مفهومها وزمن حصولهما فإن مفهوم إحداهما وهو الهدى حاصل في الدنيا (٢) ومفهوم الأخرى وهو الفلاح حاصل في الآخرة كانتا منقطعتين . وإن نظرت إلى تسبب مفهوم إحداهما عن مفهوم الأخرى ، وكون كل منهما مقصوداً بالوصف كانتا متصلتين ، فكان التعارض بين كمالى الاتصال والانقطاع منزلاً إياهما منزلة المتوسطين كذا قرر شراح الكشاف ومعلوم أن حالة التوسط تقتضي العطف كما تقرر في علم المعاني وتعليله عندي أنه لما تعارض المقتضيان تعين العطف لأنه الأصل في ذكر الجمل بعضها بعد بعض ...)) (٣)

• **وعن الوصل لكمال الانقطاع مع الإيهام : يقول في قوله تعالى :**

﴿ ... وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤)

((كان سؤالهم عن الخمر والميسر حاصلاً مع سؤالهم ماذا ينفقون ، فعطفت الآية التي فيها جواب سؤالهم ماذا ينفقون على آية الجواب عن سؤال الخمر والميسر ، ولذلك خولف الأسلوب الذي سلف في الآيات المختلفة بجمل " يَسْأَلُونَكَ " بدون عطف فجيء بهذه معطوفة بالواو على التي قبلها . ومناسبة التركيب أن النهي عن الخمر والميسر يتوقع منه تعطل إنفاق عظيم كان ينتفع به المحاويج ، فبينت لهم الآية وجه الإنفاق الحق ... وقيل هو رجوع إلى الجواب عن

---

(١) من الآية (٥) من سورة البقرة .

(٢) أي في قوله ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٦/١ باختصار .

(٤) من الآية (٢١٩) من سورة البقرة .

سؤال عمرو بن الجموح الذي قيل إنه المجاب عنه بقوله تعالى : ﴿ ... **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ** ﴾ [١] إلخ وعليه فالجواب عن سؤاله موزع على الموضعين ليقع الجواب في كل مكان بما يناسبه ولإظهار ما يدفع توقعهم تعطيل نفع المحاويج وصلت هذه الآية بالتي قبلها بواو العطف)) [٢]

والإمام الطاهر وإن لم يصرح في تفسيره للآية أن الوصل لكمال الانقطاع مع الإيهام فإنه يستنتج من قوله : ((ولإظهار ما يدفع توقعهم تعطيل نفع المحاويج وصلت هذه الآية بالتي قبلها بـ " واو العطف ")) [٣]

وكما سبق أن بحث الوصل أقل نسبياً من بحث الفصل في تفسيره لسورة البقرة ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الأحوال وقلتها فإن للفصل خمس أحوال على ما استقر عليه تقسيم المتأخرين وللوصل حالتان كما سبق . وكثرة الأحوال يتبعها كثرة الأغراض والأسرار البلاغية مما يترتب عليه طول البحث وقصره في هذه المسائل ، ولذلك رأينا أن بحث المسند إليه وأحواله عند البلاغيين – أكبر من بحث أحوال المسند ، وكذلك بحث الاستفهام في الإنشاء الطلبي كما سبق .

واو الاستئناف :

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب عند حديثه عن أقسام " الواو "

((الثاني والثالث من أقسام " الواو " : واوان يرتفع ما بعدها .

إحداهما : واو الاستئناف نحو قوله تعالى : ﴿ ... **لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ** ... ﴾ [٤] ونحو "لا تأكل السمك وتشربُ اللبن " فيمن رفع ، ونحو قوله تعالى : ﴿ **مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [٥] فيمن رفع أيضاً إذ لو كانت واو العطف لانتصب " نقر " ولانتصب أو انجزم " تشرب " ولجزم " يذر " كما قرأ الآخرون ، وللزم عطف الخبر على الأمر ...)) [٦]

---

(١) من الآية (٢١٥) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٥١/٢
(٣) ينظر تفسيره للآيتين (١٩١) ، (١٩٨)
(٤) من الآية (٥) من سورة الحج .
(٥) الآية (١٨٦) من سورة الأعراف .
(٦) ينظر مغني اللبيب ٤١٤/٢ باختصار .

((فهذه الواو الواقعة هنا بين الخبر والإنشاء – عند ابن هشام – هي واو الاستئناف ، وهذه الواو التي يسميها النحاة واو الاستئناف هي الواو التي تأتي لعطف القصة على القصة أو لعطف مضمون كلام على مضمون آخر سواء كانت بين الخبر والإنشاء أو بين خبرين أو إنشائين))[١]

وعن هذه الواو يقول الزمخشرى فى قوله تعالى :

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ○ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [٢]

قال : ((فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطف عليه ؟ قلت : ليس الذى اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول : " زيد يعاقب بالقيد والإرهاق " ، و " بشر عمراً بالعفو والإطلاق)) [٣]

وكما يتضح أن صاحب الكشاف هو الذى نبه إلى هذا النوع من العطف " عطف القصة على القصة " ولذلك أثنى عليه السيد الشريف بقوله ((ولله درُّ جار الله ما أدق نظره فى أساليب الكلام وما أعرفه بأحوال أفانينه مهد لمن بعده موائد فوائده يأكلون منها ولا يحيطون بها)) [٤]

• أما عن الإمام الطاهر فلم تفته الإشارة إلى هذه " الواو " وأثرها فى النظم القرآنى . يقول فى قوله تعالى: **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾** [٥]

((هذا فريق آخر وهو فريق له ظاهر الإيمان وباطنه الكفر وهو لا يعدوا أن يكون مبطناً الشرك أو مبطناً التمسك باليهودية ويجمعه كله إظهار الإيمان كذباً ، فالواو لعطف طائفة من الجمل على طائفة مسوق كل منهما لغرض جمعهما فى الذكر المناسبة بين الغرضين فلا يتطلب

---

(١) ينظر دلالات التراكيب صـ٣٢٨

(٢) الآية (٢٤) وبعض الآية (٢٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر الكشاف ١/١٣٤

(٤) ينظر حاشية السيد على المطول صـ٢٦٤

(٥) الآية (٨) من سورة البقرة .

فى مثله إلا المناسبة بين الغرضين لا المناسبة بين كل جملة وأخرى من كلا الغرضين على ما حققه التفتازانى فى شرح الكشاف ، وقال السيد إنه أصل عظيم فى باب العطف لم ينتبه له كثيرون فأشكل عليهم الأمر فى مواضع شتى وأصله مأخوذ من قول صاحب الكشاف " وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة[١] فأفاد بالتشبيه أن ذلك ليس من عطف الجملة على الجملة . قال المحقق عبد الحكيم : وهذا مما أهمله السكاكى أى فى أحوال الفصل والوصل وتفرد به صاحب الكشاف)) [٢]

والطاهر يؤكد على ما ذكره السيد الشريف نقلاً عن العلامة الشيخ عمر بن عبد الرحمن صاحب الكشف فى تعليقه على كلام صاحب الكشاف " من أن المقصود بالعطف المجموع ، وشرطه المناسبة بين الغرضين " [٣]

• وعن الآية التى استشهد بها صاحب الكشاف لـ " واو الاستئناف " التى تأتى لعطف القصة على القصة يقول فى قوله تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار ... ﴾ [٤]

((وجعل جملة " وبشر " معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين يعنى جميع الذى فَصَّل فى قوله تعالى : **﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ... ﴾** إلى قوله **﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾** فعطف مجموع أخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع ، وليس هو عطف لجملة معينة على جملة معينة الذى يطلب معه التناسب بين الجملتين فى الخبرية والإنشائية ، ونظّره بقولك : زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق . وجعل السيد الجرجانى لهذا النوع من العطف لقب عطف القصة على القصة لأن المعطوف ليس جملة على جملة بل طائفة من الجمل

---

(١) ينظر الكشاف ١٣٤/١ ، وحاشيته السيد على المطول صـ ٢٦٣ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فى التمهيد لبحث هذه الواو فى تفسير الطاهر .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٥٩/١ باختصار .

(٣) حاشية السيد على المطول صـ ٢٦٣

(٤) من الآية (٢٥) من سورة البقرة .

((عطفت الواو قصة خلق أول البشر على قصة خلق السـماوات والأرض انتقـالاً بـهم فـى الاستدلال على أن الله واحد وعلى بطلان شركهم وتخلصاً من ذكر خلق السماوات والأرض إلى خلق النوع الذى هو سلطان الأرض والمتصرف فى أحوالها ، ليجمع بين الأدلة وبين مختلـف حوادث تكوين العوالم وأصلها ليعلم المسلمون ما علمه أهل الكتاب من العلم الذى كانوا يبـاهون به العرب وهو ما فى سفر التكوين من التوراة ... فإيراد واو العطف هنا لأجل إظهار استقلال هذه القصة فى حد ذاتها فى عظم شأنها .)) [١]

هذا ولقد كان للطاهر إشارات كثيرة إلى حروف العطف الأخرى كالفـاء ، وثـم " إلا أنـها لا تخرج فى بحثها عما قرره النحويون لها من المعانى ، ومن هنا آثرت الاقتصار علـى بحـث " الواو " التى قرر البلاغيون أنها لمطلق الجمع بين المتعاطفين ، كما أن بحث الوصل مقتصـر عليها كما سبق لما لها من خصوصية تميز بها عن سائر أدوات العطف آخرها عطف القصـة على القصة !

ونلمح من خلال ما سبق :

عناية الطاهر ببحث الفصل وأحواله خاصة " شبه كمال الاتصال أو " الاستئناف البيانى "

كذلك بحث الاستئناف الابتدائى وما ينطوى عليه من أسرار والصلة الوثيقه بينه وبيـن بحـث الاستئناف البيانى ، كما يتضح إشارة الطاهر إلى " واو الاستئناف " وتحرير الخلاف فى ذلـك إضافة إلى التحليلات الدقيقة التى يتمتع بها .

وأنتقل إلى المبحث التاسع : " الإيجاز والإطناب والمساواة " لنقف علـى جـهوده البلاغيـة ، ومنهجه فى الكشف عن البلاغة القرآنية .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٩٥/١

المبحث التاسع

الإيجاز والإطناب والمساواة وأسرارها البلاغية في تفسير " التحرير والتنوير " (سورة البقرة)

المبحـث التاسـع

• الإيجاز والإطناب والمساواة :

(١) الإيجـــاز :

((باب عظيم من أبواب البلاغة بل إن بعضهم عرف البلاغة بأنها الإيجاز ، فلقد سأل معاوية بن أبى سفيان صُحَارِ بن عيَّاش العبدى ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز .))[١]

ولقد عرفه صاحب المفتاح بأنه ((أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط))[٢] • ومتعارف الأوساط الذين ليس لهم فصاحة وبلاغة ولا عى وفهاهة •[٣]

وهو ضربـان :

الأول : إيجاز القِصَر : وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى :

﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ...** ﴾[٤] فإنه لا حذف فيه مع أن معناه يزيد على لفظه ؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِل كان داعياً له قوياً إلى ألا يُقْدم على القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان ارتفاع القتل حياة لهم وفَضْلُهُ على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى ، وهو قولهم : القتل أنفى للقتل))[٥]

الثانـى : وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو أكثر من جملة .

– وجزء الجملة المحذوف إما مضاف : كقوله تعالى : ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ...** ﴾[٦] أى أهلها .

– وإما صفة : كقوله تعالى :﴿ **... وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾[٧] أى كل سفينة صحيحة أو صالحة أو نحو ذلك بدليل ما قبله . وإما غير ذلك .

– وأما ما كان المحذوف جملة فهو إما مسبب ذكر سببه كقوله تعالى :

﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾[٨] أى فعل ما فعل .

---

(١) ينظر البيان والتبيين للجاحظ ٩٦/١ – تحقيق أ / عبد السلام هارون – ط دار الفكر .
(٢) ينظر المفتاح صـ ١٥٥، ١٥٦
(٣) ينظر المطول صـ ٢٨٢ . والفهّة : السّقطة فى الحديث . مختار الصحاح صـ ٢٨٠
(٤) من الآية (١٧٩) من سورة البقرة .
(٥) ينظر الإيضاح ١٠٤/٢ ، ١٠٥
(٦) من الآية (٨٢) من سورة يوسف .
(٧) من الآية (٧٩) من سورة الكهف .
(٨) الآية (٨) من سورة الأنفال .

- وإما سبب ذكر مسببه كقوله تعالى :

﴿ ... فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ (١)

أى امتثلتم فتاب عليكم وإما غير ذلك .

- وقد يكون المحذوف أكثر من جملة : كقوله تعالى :

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ... ﴾ (٢)

أى ضربوه ببعضها فحيا فقلنا : " كذلك يحيى الله الموتى "

- والحذف على وجهين : **أحدهما** : ألا يقام شئ مقام المحذوف .

ثانيهما : أن يقام مقامه ما يدل عليه ، كقوله تعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ... ﴾ (٣) ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم والتقدير " فإن تولوا فلا لوم على لأنى قد أبلغتكم " ، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأنى قد أبلغتكم وأدلة الحذف (٤) كثيرة : منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (٥) فالمقصود الأظهر يرشد إلى أن المقصود حرم عليكم نكاح أمهاتكم.

- ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ... ﴾ (٦)

أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه

- أو غير ذلك من أدلة الحذف (٧)

- وإذا انتقلنا إلى تفسير الطاهر لنقف على جهوده البلاغية فى بحث " الإيجاز " نجده قد أعطى بحث " الإطناب " أكبر قدر من الاهتمام أما عن بحث الإيجاز فتأتى عنايته به فى المرتبة الثانية، ولعله تأثر بالبلاغيين فى دراستهم لهذه الفنون من ناحية الكم كما سبق فى بحث الاستفهام وغيره من مباحث علم المعانى ، ولقد أشار إلى الإيجاز بنوعيه السابقين " القصر ، والحذف " وأضاف إليهما قسماً ثالثاً وهو إيجاز حذف وقصر معا .

---

(١) من الآية (٥٤) من سورة البقرة .
(٢) من الآية (٧٣) من سورة البقرة .
(٣) من الآية (٥٧) من سورة هود .
(٤) أى الحذف الذى لا يقام فيه شئ مقام المحذوف لأنه هو الذى يحتاج إلى ذلك .
(٥) من الآية (٢٣) من سورة النساء .
(٦) من الآية (٢٢) من سورة الفجر .
(٧) ينظر الإيضاح ٢/١١٥ ، ١١٦ باختصار .

* فعن اجتماع إيجاز " الحذف والقصر معاً " :

يقول فى قوله تعالى : ﴿ **وقَالُواْ لن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاَّ من كَانَ هُوداً أَوْ نَصارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إن كُنتُمْ صادِقِين** ﴾ (١)

((وقوله ﴿ **وقَالُواْ لن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاَّ من كَانَ هُوداً أَوْ نَصارَى** ﴾ إيجاز مركب من إيجاز الحذف لحذف المستثنى منه ولجمع القولين فى فعل واحد وهو " قَالُواْ " ، ومن إيجاز القصر لأن هذا الحذف لما لم يعتمد فيه على مجرد القرينة المحوجة لتقدير وإنما دُل على المحذوف من القولين بجلب حرف أو كانت " أو " تعبيراً عن المحذوف بأقل عبارة **فينبغى أن يعد قسماً ثالثاً من أقسام الإيجاز وهو إيجاز حذف وقصر معاً**)) (٢)

وهذا القسم الثالث الذى نتج عن اجتماع إيجاز الحذف والقصر معاً من إضافات الطاهر حيث لم يشر إليه أحد من البلاغيين (٣) أو المفسرين (٤)

بل ذكر الخطيب هذه الآية فى اللف والنشر الإجمالى أخذاً من كلام صاحب الكشاف لقوله :

((فلف بين القولين ثقةً بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمناً من الإلباس لما علم من التعادى بين الفريقين)) (٥)

وكما يتضح أن هذا الموضع من استنتاج الطاهر ، ولقد أشار إلى هذا القسم الثالث فى موضع آخر عند قوله تعالى : ﴿ **... وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾(٦)

يقول : ((وقوله ﴿ **وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ** ﴾ تذييل لجملة " سل بنى إسرائيل كم آتيناهم " إلخ أفاد أن المقصود أولاً من هذا الوعيد هم بنو إسرائيل المتحدث عنهم بقول : سل بنى إسرائيل وأفاد أن بنى إسرائيل قد بّدلوا نعمة الله تعالى فدل ذلك على أن الآيات التى أوتيها بنو إسرائيل هى نعم عليهم ، وإلا لما كان لتذييل خبرهم بحكم من يبدل نعمة الله مناسبة وهذا مما يقصده البلغاء

---

(١) الآية (١١١) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٧٣/١ باختصار.

(٣) ينظر شروح التلخيص ١٩٠/٣ –٢٠٢، وتقرير الشمس للإنبابى ٣٦٤/٣-٣٧١ ، وغيرها من كتب البلاغة .

(٤) ينظر البحر المحيط ، والشهاب الخفاجى ، وأبو السعود ، والألوسى ، والجمل ، وشيخ زاده ، وابن عطيه ، والبغوى ، والخازن ، وغيرهم من المفسرين .

(٥) ينظر الكشاف ٢٠٣/١ ، والإيضاح ٣٠/٤

(٦) من الآية (٢١١) من سورة البقرة .

فيغنى مثله فى الكلام عن ذكر جمل كثيرة إيجازاً بديعاً من إيجاز الحذف وإيجاز القصر معاً ؛ لأنه يفيد مفاد أن يقال : " كم آتيناهم من آية بينه هى نعمة عليهم فلم يقدروها حق قدرها ، فبدلوا نعمة الله بضدها بعد ظهورها فاستحقوا العقاب ؛ لأن من يبدل نعمة الله فالله معاقبه ...))[١]

* وعن إيجاز القصر فى قوله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢] يقول :

((وقوله ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ من جوامع الكلم فاق ما كان سائراً مسرى المثل عند العرب وهو قولهم : " القتل أنفى للقتل " وقد بينه السكاكى فى مفتاح العلوم [٣] وذيله من جاء بعده من علماء المعانى [٤] . ونزيد عليهم أن لفظ القصاص قد دل على إبطال التكايل بالدماء وعلى إبطال قتل واحد من قبيلة القاتل إذا لم يظفروا بالقاتل وهذا لا تفيده كلمتهم الجامعة)) [٥]

وكلام صاحب المفتاح الذى أشار إليه الطاهر هو قوله : ((والعلم فى الإيجاز قوله علت كلمته ﴿ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وإصابته المحز بفضله على ما كان عند أوجز كلام فى هذا المعنى وذلك قولهم " القتل أنفى للقتل)) [٦] وما ذيله من جاء بعده من علماء المعانى كصاحب الإيضاح، وصاحب المطول وغيرهم على أن ما أضافه الطاهر إلى كلامهم من أول قوله :

" إن لفظ القصاص قد دل على إبطال التكايل بالدماء ..." كلام له وجاهته والتكايل كما يقول صاحب اللسان : ((أن يتعارضا بالشتم أو الوتر ، وكايل الرجل صاحبه : قال له مثل ما يقول ، أو فعل كفعله . وكايلته وتكايلنا ...)) [٧]

هذا ولقد أشار صاحب الكشاف إلى الجزئية الأخيرة من كلام الطاهر حيث يقول :

((... ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة ، وذلك أنهم كانوا

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٩١/٢ باختصار .

(٢) الآية (١٧٩) من سورة البقرة .

(٣) ينظر المفتاح صـ١٥٦

(٤) ينظر الإيضاح ١٠٤/٢ ، والمطول صـ ٢٨٧

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١٤٥/٢

(٦) ينظر المفتاح صـ ١٥٦

(٧) ينظر اللسان مادة " كيل " ٣٩٦٩/٥

يقتلون بالواحد الجماعة ... وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر ، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة ...)) [١]

• أما عن إيجاز الحذف :

فلقد كان اهتمام الطاهر بهذا النوع من الإيجاز أكثر من اهتمامه بإيجاز القصر ، فلقد أشار إلى الإيجاز بحذف جزء جملة أو أكثر من جملة .

فعن الأول يقول فى قوله تعالى :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ... ﴾ [٢]

((وحذف " لكم " عند ذكر السماء إيجازاً لأن ذكره فى قوله **﴿ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً ﴾** دليل عليه .)) [٣]

وكما يتضح أن الحذف هنا قد دل عليه دليل من الكلام السابق ويقول فى قوله تعالى :

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [٤]

((والاستفهام فى قوله : **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾** إنكارى ومعناه لا أحسن من الله فى شأن صبغته ، فانتصب صبغة على التمييز تمييز نسبة محول عن مبتدأ ثان يقدر بعد " من " فى قوله ﴿ ومن أحسن ﴾ ومن صبغته أحسن من الله أى من صبغة الله ... وقد تأتى بهذا التحويل فى التمييز إيجاز بديع إذ حذف كلمتان بدون لبس فإنه لما أسندت الأحسنية إلى " من " جاز دخول من التفضيلية على اسم الجلالة بتقدير مضاف لأن ذلك التحويل جعل ما أضيفت إليه صبغة هو المحكوم عليه بانتفاء الأحسنية فعلم أن المفضل عليه هو المضاف المقدر أى ومن أحسن من صبغة الله .)) [٥]

• وعن الإيجاز بحذف جملة فأكثر : يقول فى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٦]

---

(١) ينظر الكشاف ٢٤٨/١ ، ٢٤٩ باختصار .
(٢) من الآية (٢٢) من سورة البقرة .
(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٢/١
(٤) الآية (١٣٨) من سورة البقرة .
(٥) ينظر التحرير والتنوير ٧٤٥/١
(٦) الآية (٥٦) من سورة البقرة .

((وقوله ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ إيجاز بديع ، أى فمتم من الصاعقة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ وهذا خارق للعادة جعله الله معجزة لموسى استجابة لدعائه وشفاعته أو كرامة لهم من بعد تأديبهم إن كان السائلون هم السبعين فإنهم من صالحى بنى إسرائيل))[١]

• **وعن الإيجاز بحذف أكثر من جملة :**

يقول فى قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٢]

((وقوله ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ ﴾ جمع ضمائر ﴿ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ ﴾ إخراجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر إذ مقتضى الظاهر أن يقول ذهب الله بنوره وتركه ، ولذلك اختير هنا لفظ " النور " عوضاً عن النار المبتدأ به ، للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين ، فهذا إيجاز بديع كأنه قيل فلما أضاءت ذهب الله بناره فكذلك ذهب الله بنورهم وهو أسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من أساليب الإعجاز))[٣]

- ويقول فى قوله تعالى :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ... ﴾ [٤]

((وتعليل البعث بقوله ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ انتظم من ذلك كلام من بليغ الإيجاز وهو أن الناس كانوا أمة واحدة فجاءتهم الرسل بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد ليدوموا على الحق خشية انصرافهم عنه إذا ابتدأ الاختلاف يظهر وأيدهم الله بالكتب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، فلا جرم أن يكون مجئ الرسل لأجل إبطال اختلاف حدث وأن الاختلاف الذى يحتاج إلى بعثة الرسل هو الاختلاف الناشئ بعد الاتفاق على الحق كما يقتضيه التفريع على جملة كان الناس أمةً واحدةً بالفاء فى قوله ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾ وعلى صريح

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٥٠٨

(٢) الآية (١٧) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٣٠٩

(٤) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة .

قوله : ﴿ **ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** ﴾. ولأجل هذه القرينة يتعين تقدير فاختلفوا بعد قوله ﴿ **أمة واحدة** ﴾ ، لأن البعثة ترتبت على الاختلاف لا على كون الأمة واحدة ...)) [١]

ومن خلال هذه المواضع السابقة [٢] يتضح ما أضافه الطاهر إلى بحث الإيجاز ، وأهم هذه الإضافات هي : " القسم الثالث للإيجاز وهو إيجاز الحذف والقصر معا " وقد سبق أنه لم يشر إليه أحد من البلاغيين من المفسرين فيما أعلم ، كذلك يلاحظ تحليلاته الدقيقة والتي عهد ناها عليه من بداية البحث ومنها ما ذكره عند قوله تعالى ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ... ﴾ فلقد أضاف وجهاً جديداً من وجوه الجمال إلى الإيجاز في الآية .

كما يتضح أن الطاهر يتفق مع البلاغيين فيما قرروه بشأن أقسام الإيجاز وأدلة الحذف ، ويتضح ذلك من خلال ما نقله عن صاحب المفتاح ، وتابعه عليه البلاغيون عند الآية السابقة . وبعد هذه الإشارات في تفسير الطاهر أنتقل إلى بحث الإطناب في تفسيره .

(١) الإطناب :

ذكر صاحب الطراز : ((أن الإطناب وادٍ من أودية البلاغة ، ولا يرد إلا في الكلام المؤتلف ، ولا يختص بالمفردات ، لأن معناه لا يحصل إلا في الأمور المركبة ...)) [٣]

كما عرفه صاحب المفتاح : ((بأنه أداء المقصود من الكلام بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل)) [٤]

وذكر الخطيب تسعة من أنواعه وهي " الإيضاح بعد الابهام وفروعه ، والتوشيع ، وذكر الخاص بعد العام ، والتكرير ، والإيغال ، والتذييل ، والتكميل "الاحتراس ، والتتميم ، والاعتراض [٥]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ٣٠٠ ، ٣٠١ باختصار .

(٢) من المواضع التي أشار الطاهر فيها إلى الإيجاز بنوعيه الآيات ١٧، ٣٧، ١٠٦، ١٢١، ١٩٢، ٢٨٢،

(٣) ينظر الطراز صـ ٣١٤

(٤) ينظر المفتاح صـ ١٥٦

(٥) ينظر الإيضاح ٢/ ١١٧-١٣٦

وأشار إلى أن هناك إطناب بغير هذه الأنواع[١]

وسأكتفى بالإشارة إلى الأنواع التى ذكرها الطاهر فى تفسيره ، وهى :

ذكر الخاص بعد العام ، والتكرير ، والتذييل ، والتكميل أو الاحتراس ، والاعتراض .

• ذكر الخاص بعد العام :

ذكر البلاغيون أن ذكر الخاص بعد العام يكون للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كقوله تعالى :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [٢] [٣]

وهذا النوع يجب أن يكون بطريق العطف ، وإلا كان من باب الإيضاح بعد الإبهام ، ولذلك عقّب سعد الدين على الخطيب بقوله: ((فلو قال وإما بعطف الخاص على العام لكان أوضح))[٤]

وكذلك أشار إليه الطاهر فى تفسيره تحت عنوان " **عطف الخاص على العام** "

يقول فى قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٥]

((وقوله تعالى **﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾** عطف على نعمتى أى واذكروا تفضيلى إياكم على العالمين وهذا التفضيل نعمة خاصة فعطفه على " نعمتى " عطف خاص على عام وهو مبدأ لتفصيل النعم وتعدادها وربما كان تعداد النعم مغنياً عن الأمر بالطاعة والامتثال لأن من طبع النفوس الكريمة امتثال أمر المنعم لأن النعمة تورث المحبة .)) [٦]

هذا ولقد أشار الإمام القاسمى إلى هذا النوع من الإطناب فى الآية ، وبين أن عطف الخاص على العام فى الآية " إشارة إلى كمال النعمة التى أنعم الله بها عليهم " ٣٠٢/١

• وفى موضع آخر يقول الطاهر فى قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ... ﴾ [٧]

---

(١) ينظر الإيضاح ١٣٣/٢

(٢) الآية (٩٨) من سورة البقرة .

(٣) ينظر الإيضاح ١١٩/٢

(٤) ينظر المطول صـ٢٩٢

(٥) الآية (٤٧) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٤٨٣/١

(٧) من الآية (١٨٩) من سورة البقرة .

((... وعطف الحج على الناس مع اعتبار المضاف المحذوف [١] من عطف الخاص على العام للاهتمام به .)) [٢]

* **وعن عطف العام على الخاص :** [٣]

فلقد أشار إليه فى تفسيره تحت عنوان " ورود العام على سبب خاص " ومن مواضعه فى سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [٤]

((وإنما جُمع الضمير فى قوله ﴿ **أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾ مراعاة لما صدق " مَنْ " وأفراد شرطها أو صلتها مراعاة للفظها . ومما حسَّن ذلك هنا وجعله فى الموقع الأعلى من البلاغة أن هذين الوجهين الجائزين عربيةً فى معاد الموصولات وأسماء الشروط قد جمع بينهما على وجه أنبأ على قصد العموم فى الموصول أو الشرط فلذلك أتى بالضمير الذى فى صلته أو فعله مناسباً للفظه لقصد العموم ثم لما جئ بالضمير مع الخبر أو الجواب جُمع ليكون عوداً على بدء فيرتبط باسم " إنَّ " الذى جئ بالموصول أو الشرط بدلاً منه أو خبراً عنه حتى يعلم أن هذا الحكم العام مراد منه ذلك الخاص أولاً ، كأنه قيل " إن الذين آمنوا " إلخ كل من آمن بالله وعمل إلخ فلأولئك الذين آمنوا أجرهم فعُلم أنهم مما شمله العموم على نحو ما يذكر المناطقة فى طى بعض المقدمات للعلم به . فهو من العام الوارد على سبب خاص)) [٥]

* ويقول فى قوله تعالى : ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ...** ﴾ [٦]

((وقوله ﴿ **مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ** ﴾ موصول ، فيجوز حمله على العهد : اى ما خلق من الحيض بقرينة السياق . ويجوز حمله على معنى المعرف بلام الجنس فيعم الحيض والحمل ، وهو الظاهر وهو من العام الوارد على سبب خاص ؛ لأن اللفظ العام الوارد فى القرآن عقب

---

(١) أى فى قوله تعالى ﴿مواقيت للناس ﴾ والتقدير أى لأعمال الناس .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٩٦/٢

(٣) أشار إليه السيوطى فى شرح عقود الجمان صـ ٧٢

(٤) الآية (٦٢) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٥٤٠/١

(٦) من الآية (٢٢٨) سورة البقرة .

ذكر بعض أفراده ، قد ألحقوه بالعام الوارد على سبب خاص ، فأما من يقصر لفظ العموم في مثله على خصوص ما ذكر قبله ، فيكون إلحاق الحوامل بطريق القياس ، لأن الحكم نيط بكتمان ما خلق الله في أرحامهن))[١]

وكما يلاحظ أن الطاهر يتفق مع البلاغين حول هذا النوع من الإطناب في مجموعه وإن اختلف معهم في تفصيله وطريقته التحليلية المعهودة . كما يلاحظ القاعدة التي أشار إليها وهي " أن اللفظ العام الوارد في القرآن عقب ذكر بعض أفراده قد ألحقوه بالعام الوارد على سبب خاص .."

* **التكرير :**

((وهو ذكر الشئ مرتين أو أكثر لأغراض [٢] . أو دلالة اللفظ على المعنى مردداً ؛ لتأكيد غرض من أغراض الكلام أو المبالغة فيه .)) [٣]

- كتأكيد الإنذار كما في قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٤]

وقد تكرر اللفظ لطول في الكلام كما في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [٥]

- وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى في قوله :

﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ [٦] لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى . [٧]

ولقد أشار الطاهر إلى هذا النوع من الإطناب في عدة مواضع من سورة البقرة .

* **فمن التكرير لأجل ربط النظم في الآية القرآنية:**

يقول في قوله تعالى : ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [٨]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/٣٩٢
(٢) ينظر جواهر البلاغة صـ١٨٣
(٣) ينظر البلاغة الفنية للأستاذ / على الجندى صـ ١٨٢ – ط مكتبة نهضة مصر .
(٤) الأيتان (٣،٤) من سورة التكاثر .
(٥) الآية (١١٠) من سورة النحل .
(٦) سورة الرحمن .
(٧) ينظر الإيضاح ٢/١٢٠
(٨) الآية (٣٨) من سورة البقرة .

« كررت جملة " قلنا اهبطوا " فاحتمل تكريرها أن يكون لأجل ربط النظم في الآية القرآنية من غير أن تكون دالة على تكرير معناها في الكلام الذى خوطب به آدم فيكون هذا التكرير لمجـود اتصال ما تعلق بمدلول " وقلنا اهبطوا " وذلك قوله " بعضكم لبعض عدو " وقوله " فإما يـأتينكم منى هدى " ... فهو مدلول واحد كرر مرتين لربط الكلام ولذلك لم يعطف " قلنا " لأن بينهما شبه كمال اتصال لتنزل قوله " قلنا اهبطوا منها جميعاً " من قوله " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعـض عدو " منزلة التوكيد اللفظى ثم بنى على قوله " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو " ليحصل شئ من تجدد فائدة فى الكلام لكى لا يكون إعادة ﻫ اهبطوا " مجرد توكيد ويسمي هذا الأسلوب فـي علم البديع بالترديد [١] نحو قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَـآ أَتَـوا۟ وَّيُحِبُّـونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢] وإفادتــه التـأكيد حاصلة بمجرد إعادة اللفظ » [٣]

- ثم يقول فى – هامش الصفحة – " أردت بهذا أن أنبه على أن ما وقـع فـى الكشـاف أن " اهبطوا " الثانى تأكيد . أراد به ما يقارب التأكيد وهو أن يحصل من مجرد إعادة اللفظ تقريـر لمدلوله فى الذهن وإن لم يكن المراد من ذكره التأكيد وعليه فالفصل ليس لكمال الاتصال كمـا توهمه الشيخ عبد الحكيم عند قول البيضاوى كرر للتأكيد " [٤]

ومن خلال ما سبق يتضح أن الطاهر يرى أن التكرير في الآية قد يكون لأجل ربط النظم فـى الآية القرآنية ، وهذا الأسلوب يسمى فى علم البديع بالترديد كما سبق وعليه فالآية اجتمع فيـها نكتتان من النكت البلاغية

الأولى : التكرار

والثانية : الترديد

والنكت البلاغية لا تتزاحم كما هو معلوم

- أما ما جاء عن صاحب الكشاف من أن التكرير فى الآية للتأكيد [٥] فالطاهر يرى أنه يقصـد ما يقارب التأكيد . وفيما يبدوا أن ما رآه صاحب الكشاف من أن التكرير فى الآية للتأكيد لا

---

(١) الترديد هو أن تعلق اللفظة . بمعنى من المعانى ثم تردها بعينها وتعلقها بمعنى آخر وعد هذا يحسن رصفـه ويعجـب تأليفه . ينظر الطراز صـ٤٤٠
(٢) الآية (١٨٨) من سورة آل عمران .
(٣) ينظر التحرير والتنوير ٤٤٠/١
(٤) السابق هامش ٤٤٠/١
(٥) ينظر الكشاف ١٥٨/١

يأباه السياق ، فالتكرير للتأكيد من أساليب العرب فى كلامهم والقرآن نزل بلغة العرب وفى ذلك يقول ابن قتيبة : ((فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم . ومن مذاهبهم التكرار : إرادة التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار :إرادة التخفيف والإيجاز ...))[١]
ويقول الزمخشرى فى الآية السابقة :

((فإن قلت : لم كرر " قلنا اهبطوا " ؟ قلت : للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله : " فإما يأتينكم منى هدى)) [٢]

فكلام الطاهر مع دقته ووجاهته لا يمنع من أن يكون التكرير فى الآية للتأكيد ولربط النظم ، وللترديد ، والنكت لا تتزاحم كما سبق !

هذا ولقد ذكر الطاهر وجهاً آخر لتكرير الأمر بالهبوط فى الآية حيث يقول :
((... وقيل هو أمر ثان بالهبوط بأن أهبط آدم من الجنة إلى السماء الدنيا بالأمر الأول ثم أهبط من السماء الدنيا إلى الأرض فتكون إعادة " قلنا اهبطوا " للتنبيه على اختلاف زمن القولين ...)) [٣]

وفى تصورى أن الطاهر – من خلال تحليله للآية – يريد أن يؤصل قاعدة هامة بخصوص التكرير فى القرآن وهى ((أنه إذا كانت الجمل مكررة الألفاظ فى الظاهر فإنها تحمل فى طياتها معان متعددة نستطيع أن ندركها من خلال تحليل السياق ، وربط أجزاء النظم بعضها ببعض)) ولذلك نلحظ إشارته فى أول كلامه " إلى أن التكرير قد يكون لأجل ربط النظم فى الآية القرآنية . [٤]

---

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن صـ٢٣٥ باختصار .

(٢) ينظر الكشاف ١/١٥٨

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٤٤٠ باختصار .

(٤) ينظر تفسيره للآية (٤٧) وما ذكره حول سر التكرير فى الآية .

• **وعن التكرير لأجل التنبيه والتذكير :**

يقول في قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ○ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [١]

((أعيد نداء بنى إسرائيل نداء التنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير فى الغرض الذى سيق الكلام الماضى لأجله فإنه ابتدأ نداءهم أولاً بمثل هاته الموعظة فى ابتداء التذكير بأحوالهم الكثيرة خيرها وشرها عقب قوله " وأنهم إليه راجعون " فذكر هذه الجملة هناك كذكر المطلوب فى صناعة المنطق قبل إقامة البرهان وذكرها هنا كذكر النتيجة فى المنطق عقب البرهان تأييداً لما تقدم وفذلكة له وهو من ضروب رد العجز على الصدر . وقد أعيدت هذه الآية بالألفاظ التى ذكرت بها هنالك للتنبيه على نكتة التكرير للتذكير ولم يخالف بين الآيتين إلا فى الترتيب بين العدل والشفاعة فهنالك قدم " ولا يقبل منها شفاعة " وأخر " ولا يؤخذ منها عدل " وهنا قدم " ولا يقبل منها عدل " وأخر لفظ رد الشفاعة " مسنداً إليها " تنفعها " وهو تفنن والتفنن فى الكلام تنتفى به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير ...)) [٢]

ويلاحظ أن الطاهر يريد أن يبين أن التكرير فى القرآن وراءه أسرار كثيرة غير التأكيد تختلف تبعاً للسياق والمقام كما فى هذه الآية والتى قبلها .

• **التذييل** : وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد .

وهو ضربان :

الأول : ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله ، كقوله تعالى : **﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ ﴾**[٣] إن قلنا :أن المعنى وهل نجازي ذلك الجزاء[٤]

وقال الزمخشري : ((وفيه وجه آخر أن الجزاء عام لكل مكافأة ، ويستعمل تارة في معنى المعاقبة ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله **﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ﴾** بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل **﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ ﴾** بمعنى وهل نعاقب ؟

---

(١) الآيتان (١٢٢، ١٢٣) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٩٧/١، ٦٩٨ باختصار .

(٣) الآية (١٧) من سورة سبأ .

(٤) وهو جزاء الاستئصال لوروده في أهل سبأ الذين استؤصلوا بالعقوبة فهو جزاء خاص بخلاف ما سينقله عن الزمخشري.

وهو الوجه الصحيح .))[١]

الثاني : ضرب لا يخرج مخرج المثل ، كقوله تعالى :

﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٢]

• وإذا انتقلنا إلى تفسير الطاهر نجد له بحثاً طيباً حول هذا النوع من الإطناب ، غير أن إشارته إليه في بعض المواضع إشارات موجزة يكتفي فيها بذكر أن في الآية تذييلاً تاركاً تفصيله لفطنة القارىء وذوقه ، وفي مواضع أخرى يشير إليه ويفصله ، وسأشير إلى بعض المواضع التي تمثل منهجه وخطته في الكشف عن أسرار النظم القرآني .

• **يقول في قوله تعالى :**

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [٣]

((وقوله **﴿ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾** تذييل لأن الفضل يشمل إعطاء الخير والمعاملة بالرحمة وتنبيه على أن واجب مريد الخير التعرض لفضل الله تعالى والرغبة إليه في أن يتجلى عليه بصفة الفضل والرحمة فيتخلى عن المعاصي والخبائث ويتحلى بالفضائل والطاعات عسى أن يحبه ربه وفي الحديث الصحيح تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)) [٤]

• **وعن التذييل للتأكيد :**

يقول في قوله تعالى : **﴿ ... وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾** [٥]

((والتذييل بقوله **﴿ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾** تأكيد لعدم إضاعة إيمانهم ومنّة بأن الحكم المنسوخ إنما يلغى العمل في المستقبل لا فيما مضى .)) [٦]

---

(١) ينظر الكشاف ٥٨٦/٣ ، والإيضاح ١٢٢/٢ ، والآية مثال للضربين .

(٢) الآية (٨١) من سورة الإسراء .

(٣) الآية (١٠٥) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٦٥٤/١

(٥) من الآية (١٤٣) سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٢٥/٢

* وعن مجيء التذييل لقصد الامتنان :

يقول في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١]

((وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ تذييل قصد به الامتنان أي أن الله موصوف بهذين الوصفين فلا جرم أن يغفر للمضطر أكل الميتة لأنه رحيم بالناس ، فالمغفرة هنا بمعنى التجاوز عما تمكن المؤاخذة عليه لا معنى تجاوز الذنب ...)) [٢]

* وعن مجيء التذييل لقصد التعظيم :

يقول في قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣]

((وقوله ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ تذييل قصد منه تعظيم تشريف المؤمنين يوم القيامة ؛ لأن التذييل لابد أن يكون مرتبطاً بما قبله فالسامع يعلم من هذا التذييل معنى محذوفاً تقديره والذين اتقوا فوقهم فوقية عظيمة لا يحيط بها الوصف ، لأنها فوقية منحوها من فضل الله وفضل الله لا نهاية له ، ولأن من سخرية الذين كفروا باللذين آمنوا أنهم سخروا بفقراء المؤمنين لإقلالهم .)) [٤]

ويلاحظ من كلام الطاهر إشارته إلى أنه لابد من ارتباط التذييل بما قبله ، وإلى أن التذييل في الآية لتعظيم تشريف المؤمنين يوم القيامة .

* ويقول في قوله تعالى :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٥]

((وقوله تعالى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ تذييل للتنبيه على أن من شاء الله إيتاء الحكمة هو ذو اللب ، وأن تذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استحضار اللب وقوته)) [٦]

ويلاحظ من خلال كلام الطاهر أنه لم يشر إلى الضربين اللذين ذكرهما الخطيب ، وإنما أشار إلى التذييل في الآيات بشكل عام كاشفاً عما وراءه من أسرار تخدم سياق القرآن ، وهي إشارات جديدة في مجموعها لم يسبق إليها واكتفى بما سبق

---

(١) الآية (١٧٣) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٢١/٢ ، ١٢٢ باختصار .

(٣) الآية (٢١٢) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٩٨/٢

(٥) الآية (٢٦٩) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٦٤/٣

ذكره من مواضع [١] ، وانتقل إلى بحث الاحتراس في تفسيره .

* **التكميل أو الاحتراس** [٢] :

وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان :

الأول : ضرب يتوسط الكلام ، كقول طرفة [٣] :

فسقى ديارَكَ غيرَ مفسدها ∴ صَوبُ الربيع وديمةٌ تَهمي

فالصوب : المطر ، والديمة : المسترسل ، وتهمي بمعنى تسيل والاحتراس في قولـــه " غـير مفسدها " لأن المطر المسترسل قد يخرب الديار .

الثاني : ضرب يقع آخر الكلام ، كقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـــهُ أَذِلَّـةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ... ﴾ [٤]

((فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل **﴿ أَعِـزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾** عُلِم أنها منهم تواضع لهم ولذا عدى الذل بعلى لتضمينه معنى العطف ، كأنـه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز أن تكون التعدية بعلى لأن المعنى أنـهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم)) [٥]

* ولقد أشار الطاهر إلى هذا النوع من الإطناب في عدة مواضع من سورة البقرة كاشفاً عمـــا وراءه من أسرار بلاغيه .

يقول في قوله تعالى : **﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُـــدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِـــن وَلِـيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾** [٦]

---

(١) من مواضع التذييل في ســـورة البقـرة الآيـات (٣٧) ، (٣٩) ، (٩٣) ، (١٠٨) ، (١٥٨) ، (١٥٩) ، (١٨٧) ، (٢٠٢) ، (٢١١) ، (٢١٣) ، (٢١٦) ، (٢١٧) ، (٢٢٣) ، (٢٢٤) ، (٢٢٨) ، (٢٣٢) ، (٢٦٣) ، (٢٦٤) ، (٢٨١) .

(٢) وجه تسميته بالتكميل لتكميله المعنى بدفع إيهام خلاف المقصود ، وأما تسميته بالاحتراس فلأن حرس الشيء يعني حفظه وهذا النوع فيه حفظ للمعنى ووقاية له من توهم المقصود . ينظر الاحتراس في ضوء القرآن للدكتور / قاســم خليفــة – بحـث بحوليه كلية الدراسات الإسلامية العدد (١٦)١٤١٨ –١٩٩٨م

(٣) سبقت ترجمته . والخطاب في قوله " ديارك لممدوحه وهو قتادة بن مسلمة الحنفي .

(٤) من الآية (٥٤) من سورة المائدة .

(٥) ينظر الإيضاح ١٢٥/٢

(٦) الآية (١٢٠) من سورة البقرة .

((وعطف النصير على الولي احتراس لأن نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصير إذ لا يكون لأحد ولي لكونه دخيلاً في قبيلة ويكون أنصاره من جيرته . وكان القصد من نفي الولاية التعريض بهم في اعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فنفى ذلك عنهم حيث لم يتبعوا دعوة الإسلام ثم نفي الأعم منه ، وهذه نكتة عدم الاقتصار على نفي الأعم .))(١)

* **وعن الاحتراس في قوله تعالى :**

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)

يقول : ((وقوله ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ احتراس لئلا يغتر المشركون بقوله ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي لا تكونوا هوداً أو نصارى فيتوهم المشركون أنه لم يبق من الأديان إلا ما هم عليه لأنهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم)) (٣)

وعلى كلام الطاهر فالاحتراس في الآية من الضرب الثاني الذي يقع في آخر الكلام ، ويرى صاحب الكشاف والمفسرون أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلاً منهم يدعي اتباع إبراهيم عليه السلام وهو على الشرك " (٤)

وعلى ذلك فإشارة الطاهر إلى الاحتراس في الآية لم يسبق إليها (٥) ويقول في قوله تعالى : **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾** (٦)

((وقوله ﴿ بِالإِثْمِ ﴾ الباء فيه للمصاحبة أي أخذته العزة الملابسة للإثم والظلم وهو احتراس لأن من العزة ما هو محمود قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي فمنعته من قبول الموعظة وأبقته حليف الإثم الذي اعتاده لا يرعوى عنه وهما قرينان)) (٧)

ويلاحظ أن الاحتراس في الآية من الضرب الأول وهو الذي يتوسط الكلام كما أن الآيتين السابقتين للموضع الأخير من الضرب الثاني وهو الذي يقع في آخر الكلام ، وقد أشار الطاهر

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٦٩٥/١

(٢) الآية (١٣٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٧٣٧/١ باختصار .

(٤) ينظر الكشاف ٢٢١/١

(٥) ينظر حاشية الشهاب الخفاجي ، وأبو السعود ، والألوسي ، وأبو حيان ، وغيرهم من المفسرين في تفسير هذه الآية .

(٦) الآية (٢٠٦) من سورة البقرة .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ٢٧١/٢

إلى الاحتراس في مواضع أخرى لا تخرج في منهج دراستها عما سبق ذكره [١]

- **الاعتــراض :**

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لـــها مــن الإعراب لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل [٢]

ويأتي الاعتراض لأغراض بلاغية :

- كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى : ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ [٣]

- والتنبيه على سبب فيه غرابة كقوله تعالى : ﴿ **لَوْ تَعْلَمُونَ** ﴾

من قوله تعالى :

﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ○ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ○ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ** ﴾ [٤]

اعتراض فى اعتراض لأنه اعترض به بين الموصوف والصفة [٥]

واعترض بقوله : ﴿ **وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** ﴾ بين القسم والمقسم عليه [٦]

- ويأتى الاعتراض لأغراض أخرى كالدعاء والتنبيه ، والاستعطاف وغير ذلك . وقــد يــأتى الاعتراض بالواو أو الفاء وتسمى كل منهما اعتراضيةً وقد لا يأتى بهما .

- ووجه حسن الاعتراض على الإطلاق : حسن الإفادة مع أن مجيئه مجئ ما لا معول عليه فى الإفادة ، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها . " [٧]

- ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك فريقاً من البلاغيين لا يشترط فى الاعتراض أن يكون واقعاً فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بل يجوز أن يقع فى آخر كلام لا يليه كــلام غــير متصل به معنى ، وبهذا يشعر كلام الزمخشرى فى مواضع من الكشاف : " فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل "

---

(١) من هذه المواضع الآيات (١٠٥) ، (١٢٣) ، (١٧١)

(٢) النكتة فى تعريف التكميل هى دفع الإيهام ، وغير دفع الإيهام يشمل التوكيد فيدخل فيما يأتى له الاعتراض .

(٣) الآية (٥٧) من سورة النحل .

(٤) الآيات (٧٥،٧٦،٧٧) من سورة الواقعة .

(٥) وهما : " قسم عظيم " .

(٦) وهو " إنه لقرآن " .

(٧) ينظر الإيضاح ١٣٢/٢

- وفريق آخر يشترط في الاعتراض أن يكون واقعاً بين كلامين متصلين ، ولكن لا يشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً في أحد الموقعين ، ومن التكميل ما كان واقعاً في أحدهما وليس له محل من الإعراب جملة كان أو أقل من جملة أو أكثر [١]

- أما عن الإمام الطاهر : فلقد اهتم بهذا النوع من الإطناب في تفسيره اهتماماً كبيراً كاشفاً عن أثره في النظم القرآني موضحاً ما ينطوي عليه من أسرار بلاغية ، ولقد أشار إلى الاعتراض بالواو وبدونها ، وكانت له ملاحظات هامة ، وتعقيبات مفيدة على البلاغيين فيما يتعلق بهذا النوع من الإطناب .

- **فعن تعريف الاعتراض ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢]

« وجملة " فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ " إلى قوله " وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ " تفريع مع اعتراض فإن الجملة المعترضة هي الواقعة بين جملتين شديدتي الاتصال من حيث الغرض المسوق له الكلام والغرض هو مجيء ما لم يسبق غرض الكلام له ولكن للكلام والغرض به علاقة وتكميلاً ... وتجيء الجملة المعترضة بالواو والفاء بأن يكون المعطوف اعتراضاً ... » [٣]

وتعريف الطاهر للجملة المعترضة قد أشار إليه صاحب الإيضاح كما سبق ، وقوله عن الاعتراض أنه « مجيء ما لم يسبق غرض الكلام له ... إلخ " فيما يبدو إشارة إلى العلاقة أو وجه الاتفاق بين التكميل والاعتراض . ولقد أشار الدسوقي إلى ذلك حيث يقول " ... فبين التكميل والاعتراض العموم والخصوص الوجهي لاجتماعهما في الصور المشمولة للاعتراض وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الإعراب لدفع الإيهام ... وينفرد الاعتراض بما يكون من الجمل

---

(١) ينظر الإيضاح ٢/١٣٢

(٢) الآية (١٠٩) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٧١ باختصار .

لغير دفع الإيهام ، وينفرد التكميل بغير الجملة وبالجملة التى لها محل .))[1]

• **وعن الاعتراض وأسراره البلاغية فى سورة البقرة :**

يقول فى قوله تعالى :

﴿ ... يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [2]

((وقوله " واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ " اعتراض للتذكير بأن المقصود التمثيل لحال المنافقين فى كفرهم لا لمجرد التفنن فى التمثيل)) [3]

• **ويشير إلى وجه المناسبة فى وقوع الاعتراض ، فيقول فى قوله تعالى :**

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [4]

((اعتراض بين قوله " وأقيموا الصلاة " وقوله " واستعينوا بالصبر والصلاة " ووجه المناسبة فى وقوعه هنا أنه لما أمرهم بفعل شعائر الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وذيل ذلك بقوله " واركعوا مع الراكعين " ليشير إلى أن صلاتهم التى يفعلونا أصبحت لا تغنى عنهم ، فصنا سب أن يزاد لذلك أن ما يأمر به دينهم من البر ليسو قائمين به على ما ينبغى ، فجئ بهذا الاعتراض ، وللتنبيه على كونه اعتراضاً لم يقرن بالواو لئلا يتوهم أن المقصود الأصلى التحريض على الأمر بالبر وعلى ملازمته ، والغرض من هذا هو النداء على كمال خسارهم ومبلغ سوء حالهم الذى صاروا إليه حتى صاروا يقومون بالوعظ والتعليم كما يقوم الصانع بصناعته والتاجر بتجارته لا يقصدون إلا إيفاء وظائفهم الدينية حقها ليستحقوا بذلك ما يعوضون عليه من مراتب ورواتب فهم لا ينظرون إلى حال أنفسهم تجاه تلك الأوامر التى يأمرون بها الناس .)) [5]

ومن خلال كلام الطاهر يتضح إشارته إلى صلة الاعتراض بما قبله ، وعن السبب فى كونه لم يقرن بالواو ، والغرض منه .

• ويقول فى قوله تعالى : **﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۝ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ ﴾** [6]

---

(١) ينظر حاشية الدسوقى على مختصر السعد ضمن شروح التلخيص ٢٤٨/٣ باختصار ط الحلبى .

(٢) من الآية (١٩) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣١٩/١

(٤) الآية (٤٤) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٤٧٤/١

(٦) الآيتان (٩٥،٩٤) من سورة البقرة .

((وجملة " ولن يتمنوه أبداً " إلخ معترضة بين جملة " قل إن كانت لكم الدار الآخـــرة " وبيــن جملة " قل من كان عدواً لجبريل "[١] والكلام موجه إلى النبى ﷺ والمؤمنيـــن إعلامـاً لـــهم ليزدادوا يقيناً وليحصل منه تحد لليهود إذ يسمعونه ويودوا أن يخالفوه لئلا ينهض حجـــة علــى صدق المخبر به فيلزمهم أن الدار الآخرة ليست لهم .))[٢]

• **وعن الواو الاعتراضية يقول فى قوله تعالى :**

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾[٣]

((هذه الجملة معترضة بين جملة " سيقول السفهاء " وجملة " وما جعلنا القبلة التى كنت عليـها " إلخ ، والواو اعتراضية وهى من قبيل الواو الاستئنافية ، فالآية السابقة[٤] لما أشارت إلـــى أن الذين هدوا إلى صراط مستقيم هم المسلمون وأن ذلك فضل لهم ناسب أن يستطرد لذكر فضيلـة أخرى لهم هى خير مما تقدم وهى فضيلة كون المسلمين عدولاً خياراً ليشهدوا على الأمـــم لأن الآيات الواقعة بعدها هى فى ذكر أمر القبلة وهذه الآية لا تتعلق بأمر القبلة .))[٥]

ويلاحظ أن الآيات التى سبقت كان الاعتراض فيها بجملة واحدة .

• **وعن مجئ الاعتراض بأكثر من جملة :**

يقول فى قوله تعالى :**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَـــعَ الصَّـــابِرِينَ ۝ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾**[٦]

((هذه جمل معترضة بين قوله تعالى **﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾** وما اتصل بـــه من تعليله بقوله **﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾** وما عطف عليه من قوله **﴿ وَلأُتِـــمَّ نِعْمَتِـــي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ ﴾** إلى قوله **﴿ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾** وبين قوله **﴿ لَّيْـــسَ الْـــبِرَّ أَن تُوَلُّـــواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾** لأن ذلك وقع تكملة لدفع المطاعن فى شأن تحويل القبلة فلـــه أشد اتصال بقوله : **﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾** المتصل بقوله **﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّـــواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾** **وهو اعتراض مُطْنِب ابتدئ به إعداد المسلمين لما هم أهله من نصـــر دين**

---

(١) وهى الآية التالية (٩٧)

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦١٥/١

(٣) من الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٤) وهى قوله " قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " (١٤٢)

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١٥،١٤/٢

(٦) الآيتان (١٥٤،١٥٣) من سورة البقرة .

الله شكراً له على ما خولهم من النعم المعدودة فى الآيات السالفة من جعلهم أمة وسطاً وشـهداء على الناس ، وتفضيلهم بالتوجه إلى استقبال أفضل بقعة ، وتأييدهم بأنهم على الحق فى ذلـك ، وأمرهم بالاستخفاف بالظالمين وأن لا يخشوهم وتبشيرهم بأنه أتم نعمته عليهم وهداهم ، وامتـن عليهم بأن أرسل فيهم رسولاً منهم ، وهداهم إلى الامتثال للأحكام العظيمة كالشكر والذكر ، فإن الشكر والذكر بهما تهيئة النفوس إلى عظيم الأعمال ، من أجل ذلك كله أمرهم هنـا بـالصبر والصلاة ، ونبههم إلى أنهما عون للناس على عظيم الأعمال ، فناسب تعقيبها بها ، وأيضاً فـإن ما ذكر من قوله : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ مشعر بأن أناسـاً متصـدون لشـغبهم وتشكيكهم والكيد لهم ، فأمروا بالاستعانة عليهم بالصبر والصلاة)) [١]

• وهذا التحليل الدقيق قلما نجده عند غير الطاهر ، وهو تحليل يقـوم علـى إدراك الروابـط المعنوية للسياق ، واتصال النظم بعضه ببعض ، وتأكيد على أن الجمـل المعترضـة متصلـة بالغرض المسوق له الكلام تأكيداً أو تكميلاً أو غير ذلك من الأغراض التى تختلف بـاختلاف السياق والمقام !!

• وكما أشار الطاهر إلى الاعتراض بجملة فأكثر ، وإلى مجئ الاعتراض بالواو ، أشار إلـى اجتماع **الاعتراض مع الاستطراد**[٢]

• حيث يقول فى قوله تعالى :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَـا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/٥١ ، ٥٢

(٢) الاستطراد من المحسنات المعنوية فى علم البديع : وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصـد بذكـر الأول التوصل إلى ذكر الثانى . ينظر الإيضاح ٤/٢٠

(٣) الآية (٧٥) من سورة البقرة .

« هذا اعتراض استطرادى بين القصة الماضية والقصة التى أولها ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ... ﴾ [1] فجميع الجمل من قوله تعالى " أفتطمعون ... إلى قوله ... وإذ أخذنا " داخلة فى هذا الاستطراد . » [2]

• ويقول فى قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [3]

« جملة معترضة بين جملة " وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ " إلخ ،وبين جملة " وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ " إلخ اعتراض استطراد بمناسبة ذكر مطاعن أهل الكتاب فى القبلة الإسلامية ، فإن طعنهم كان عن مكابرة مع علمهم بأن القبلة الإسلامية حق كما دل عليه قوله " وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ من رَّبِّهِمْ " ، فاستطرد بأن طعنهم فى القبلة الإسلامية ما هو إلا من مجموع طعنهم فى الإسلام وفى النبى ﷺ ، والدليل على الاستطراد قوله بعده " وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا " فقد عاد الكلام إلى استقبال القبلة . » [4]

هذا ولقد أشار صاحب الطراز إلى منزلة الاستطراد من البلاغة والصلة بينه وبين الاعتراض بقوله : « وهو نوع من علم البلاغة دقيق المجرى ، غزير الفوائد ، يستعمله الفصحاء ويعول عليه أكثر البلغاء ، وهو قريب من الاعتراض الذى قدمنا ذكره ، خلا أن الاعتراض منه ما يقبح ، ويحسن ، ويتوسط ، بخلاف الاستطراد فإنه حسن كله ... » [5] [6]

وهذه هى بعض المواضع التى تمثل منهج الطاهر وخطته فى الكشف عن البلاغة القرآنية تبين من خلالها عدة أمور :

الأول : اتفاق الطاهر مع البلاغين فى تعريف الاعتراض والجملة المعترضة .

الثانى : إشارته إلى الاعتراض المُطْنِب الذى يأتى فى جمل متعددة وهى إشارة لم يسبق إليها فى الأيتين (١٥٣،١٥٤)

---

(١) من الآية (٨٣) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٥٦٦/١

(٣) الآية (١٤٦) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٩/٢

(٥) ينظر الطراز صـ٤٠٤ باختصار .

(٦) أشار الطاهر إلى الاعتراض الاستطرادى فى مواضع أخرى منها الآية (١٢٥) ينظر التحرير والتنوير ٧١١/١

الثالث : إشارته إلى الواو الاعتراضية وكونها من قبيل الواو الاستئنافية وذلك عند تفسيره للآية (١٤٣)[١]

الرابع : إشارته إلى العلاقة بين الاستطراد والاعتراض وهى لفتتات بلاغية تضاف إلى رصيده البلاغى .

الخامس : مما تجدر الإشارة إليه أن بحث الاعتراض من بحوث علم المعانى التى عُنى بها الطاهر لما له من صلة وثيقة بنظرية النظم وكما عهدناه دائماً من بداية التفسير يهتم اهتماماً كبيراً بكل ما يتصل بالنظم كما سبق فى بحث الإنشاء الطلبى وخاصة الاستفهام ، وفى بحث الفصل والوصل وخاصة الاستئناف البيانى ، ولقد أشار إلى " الاعتراض " فى مواضع كثيرة من سورة البقرة وهى لا تختلف فى منهج تحليلها عما سبق ذكره كما أن إشارته إلى بعضها إشارات موجزة [٢] وأنتقل إلى بحث " المساواة " فى تفسيره .

٣-المساواة :

وهى تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له – بأن تكون المعانى بقدر الألفاظ ، والألفاظ بقدر المعانى . لا يزيد بعضها على بعض وهى الأصل المقيس عليه ، والدستور الذى يعتمد عليه كما فى قوله تعالى : ﴿ ... **وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ** ... ﴾ [٣]

فإن اللفظ على قدر المعنى لا ينقص عنه ولا يزيد [٤] والمساواة فن من القول عزيز المنال يعتبرها بعض البلاغيين وسطاً بين الإيجاز والإطناب وبعضهم يدمجها ولا يعدها قسماً ثالثاً لهما " وقد عدها من الإيجاز الرمانى وابن رشيق والعلوى [٥] فى الطراز وسماها بـ " التقرير " وعرف الخطيب المساواة والإيجاز والإطناب بقوله

((تأدية الأصل المراد بلفظ مساوٍ له أو ناقصٍ عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة ، والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره)) [٦]

---

(١) من مواضع الواو الاعتراضية الآية (٧٤) التحرير والتنوير ٥٦٤/١ ،٥٦٥

(٢) من هذه المواضع الآيات (٦٢) ، (٩٣) ، (١١٩) ، (١٦٥) ، (٢١٧) ، (٢٢٩) ، (٢٥٣) ، (٢٧٦)

(٣) من الآية (١١٠) من سورة البقرة .

(٤) ينظر جواهر البلاغة صـ١٨٨

(٥) ينظر العمدة ٥٠/١ ، والطراز صـ ٢٥٩

(٦) ينظر الإيضاح ٩٧/٢

والإمام الطاهر لم يشر إلى المساواة إلا في موضع واحد من سورة البقرة – فيما أعلم – ولعل ذلك يرجع إلى صغر هذا البحث عند البلاغيين وما دار حولها من خلاف حيث عدّها بعضهم واسطة لكن يجعلها أبداً غير مقبولة بل يُعتبر الإيجاز والإطناب المقبولان[١]

ويقول الطاهر في قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا... ﴾[٢]

((... والمقصد الأصلي من هذا هو تعليم المسلمين أصلاً من أصول الشرائع وهو أصل النسخ الذي يطرأ على شريعة بشريعة بعدها ويطرأ على بعض أحكام شريعة بأحكام تبطلها من تلك الشريعة . ولكون هذا المقصد الأصلي عدل عن مخاطبة اليهود بالرد عليهم ووجه الخطاب إلى المسلمين كما دل عليه قوله " ألم تعلم " وعطف عليه بقوله " أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ " وبقوله " مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ " ولم يقل من شريعة وفي هذا إعراض عن مخاطبة اليهود لأن تعليم المسلمين أهم وذلك يستتبع الرد على اليهود بطريق المساواة لأنه إذا ظهرت حكمة تغيير بعض الأحكام لمصلحة تظهر حكمة تغيير بعض الشرائع.)) [٣]

وبهذه الآية نكون قد وصلنا إلى نهاية مسائل علم المعاني في تفسير الطاهر لسورة البقرة ، ويلاحظ أن بحث الطاهر لم يستوعب كل جزيئات علم المعاني ، ويبدوا أن ذلك يرجع إلى تأثره ببحث هذه الجزيئات عند البلاغيين . فالطاهر قد صرف اهتمامه إلى أصول المباحث وأعوض عن بعض الجزيئات لا لأنها لم تقع في السورة ولكن لأن البلاغيين لم يعطوعها عناية كبيرة ومثال ذلك ما سبق في أحوال المسند إليه فلقد ذكر البلاغيون من أحواله "الوصف " وذكروا له عدة أغراض كذلك أغراض عطف البيان ، والبدل ، وعطف النسق [٤] . والبلاغيون قد أوجزوا في هذه الأغراض مما انعكس على بحث الطاهر لها . كذلك في بحث تخريج المسند إليه على

---

(١) ينظر شرح عقود الجمان صـ ٦٧ ، والطراز صـ ٥٤٨ ، والعمدة ١/٢٥٠ ، والمفتاح صـ ١٥٦ ، ١٥٧

(٢) من الآية (١٠٦) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٥٥

(٤) ينظر الإيضاح ١/٨٢-٨٨

خلاف مقتضى الظاهر أوجز البلاغيون فى كلامهم حول وضع المضمر موضـــــع المظـــهر ، وتوسعوا فى كلامهم عن وضع المظهر موضع المضمر مما انعكس على بحث الطاهر لـــهما .
وهذا لا يعنى أن الطاهر لم يضف جديداً إلى بحث البلاغيين . بل إنه أضاف إلـــى المبـــاحث والمسائل الأساسية فى صلب علم المعانى من خلال ما أضافه من أغراض بلاغية كما سبق فى بحث الإنشاء الطلبى وخاصة بحث الاستفهام ، كذلك مناقشاته الممتعة كما سبق فى بحث تقديـــم المسند إليه ، وفى بحث أحوال متعلقات الفعل ، كذلك ما أضافه واستدرك به علـــى تقسـيمات البلاغين كما سبق فى بحث " تقيد الفعل بـــ " لو الشرطية " وفى بحث " الاستئناف البيـــانى " ، و" ولو الاستئناف " وفى بحث الإيجاز كما سبق وسيأتى تفصيل هذه الجهود فى خاتمة البحـــث إن شاء الله .

ومما يستدعى الانتباه فى بحث الطاهر لمسائل علم المعانى طريقته التحليلية التى يتناول بها كل جزئية من جزيئات الآية موضوع التفسير ، وهى طريقة فريدة يهدف من ورائها إلـــى إبـــراز مزايا النظم القرآنى ، وما فى تراكيبه من أسرار بلاغية ، وهى الطريقة التى سار عليـــها فـــى تفسيره من بدايته إلى نهايته مما يجعل تفسيره حقيق بهذا العنوان الذى وضعه له وهو " **تحريـــر المعنى السديد ، وتنوير العقل الجديد ، من تفسير الكتاب المجيد** " .

الفصل الثانى

البلاغة القرآنية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

من خلال

مسائل علم البيان

(سورة البقــرة)

المبحث الأول

التشبيه وأسراره البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقــرة)

المبحث الأول

التشبيه وأسراره

* **علم البيـــان :**

ذكر البلاغيون أن علم البيان: ((علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضـــوح الدلالة عليه))[١] وهذا التعريف الذي استقر عليه علم البيان ، والسكاكي هو صـــاحب التعريـــف السابق [٢]

وكما هو معلوم أن أبواب البيان تنحصر في التشبيه والمجاز والكناية " وعن هذا الحصر يقــول الخطيب : ((ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع لـــه فهو مجاز ، وإلا فهو كناية . ثم المجاز منه الاستعارة ، وهي مـــا تبنـــى علـــى التشـــبيه ... فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية ، وقدّم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتنـــاء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه ، وقدّم الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء مـــن الكل .))

* **التشبيـــه** : التشبيه في اللغة : التمثيل يقال : شبه إياه : مثله ، والشَّبَه والشِّبْه والشَّبِيه كالمَثَل والمِثْل والمَثِيل وزناً ومعنى ، والمتشابهات : المتماثلات [٤]

وفي الاصطلاح : ((الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى)) [٥] وهذا هو تعريف الخطيـب ، وذكر الأستاذ الدكتور / محمود شيخون أن تعريف التشبيه في اصطلاح البيانين هـــو : إلحـــاق أمر بأمر في صفة مشتركة بينهما بأداة ملفوظة أو ملحوظة لغرض يقصده المتكلم [٦]

* **مباحث التشبيـــه :**

وهي : (١) مبحث الطرفين   (٢) مبحث وجه الشبه

(٣) مبحث الأداة   (٤) مبحث الأغراض

(١) مبحث الطرفين : والطرفان هما المشـــبه والمشـــبه بـــه ، وهمـــا الركنـــان الأساســـيان فيه ، ولا يقال تشبيه إلا إذا كانـــا فيـــه وقـــد يحـــذف المشـــبه للعلـــم بـــه ولكنـــه ملحـــوظ في التقدير كالملفوظ فإذا سئلت " كيف علي " ؟ قلت كالأسد شجاعة فإن التقدير " هو كالأســـد

---

(١) ينظر المفتاح صـــ١٨٢، والإيضاح ٤٠٣/٣

(٢) ينظر الصورة البيانية للأستاذ الدكتور / محمد عثمان خيمر صـــ١٩ ط مصر للخدمات العلمية ط أولى ١٤١٧هـــ

(٣) ينظر الإيضاح ٦/٣

(٤) ينظر اللسان مادة " شبه " ٢١٨٩/٣

(٥) ينظر الإيضاح ٧/٣

(٦) ينظر بحوث في البيان صـــ ٦

شجاعة " فترى المشبه غائباً حاضراً " [١]

والتشبيه باعتبار الطرفين له أكثر من تقسيم أكتفى بالتقسيم الأول منها :

١- أن يكون طرفاه حسيين ، كما في تشبيه الخد بالورد في المبصرات ، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات ، والنكهة بالعنبر في المشمومات ، والريق بالعسل في المذوقات ، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات .

٢- أن يكون طرفاه عقليين ، كما في تشبيه العلم بالحياة .

٣- أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسياً كتشبيه المنية بالسبع

٤- أن يكون المشبه حسيًا والمشبه به عقلياً كتشبيه العطر بالخلق الكريم [٢]

• والمراد بالحسى المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة فدخل فيه الخيالي : وهو المعدوم الذي فُرِض مجتمعًا من عدة أمور فأدركت أفراده بالحس ، أي أجزاء كل جزئي منه ، ولم تدرك هيئته الاجتماعية في أن المدرك صورة لا معنى كقول الشاعر :

وكأنَّ مُحمرَّ الشقيـ ... ـقِ إذا تَصوَّب أو تَصعَّد

أَعلامُ ياقوتٍ نُشْـ ... ـرْنَ على رماحٍ مِن زبَرجَد [٣]

فالهيئة التركيبية التي قصد التشبيه بها وهي هيئة أعلام مخلوقة من الياقوت على رماح مخلوقة من الزبرجد لم تشاهد قط ، لعدم وجودها ، ولكن هذه الأشياء التي اعتبر التركيب معها هي مادة أى أصل تلك الهيئة ، وهي العلم والياقوت والزبرجد ، شوهد كل واحد منها لوجوده فهو محسوس [٤]

• والمراد بالعقلى ما عدا ذلك فدخل فيه الوهمي ، وهو ما ليس مدرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها [٥] والبلاغيون يسمونه الوهمي لأن المشبه به منتزع من الوهم [٦] كقول امرئ القيس :

أَيقتُلُني والمَشْرِفِيُّ مُضاجِعي ... ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوَالِ

---

(١) ينظر علم البيان للأستاذ الدكتور / بدوي طبانه صـ ٥٦ ط الأنجلو ط الرابعة ١٣٩٧هـ

(٢) ينظر الإيضاح ١٤،١٣/٣

(٣) البيتان لأبي أحمد الحسن الضبحى المعروف بالصنوبري تنظر في ترجمته البداية والنهاية ١٣٠/١١. والشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وتصوب وتصعد : مال إلى أسفل وإلى أعلى ، والزبرجد : حجر نفيس .

(٤) ينظر علم البيان صـ ٦٠

(٥) ينظر الإيضاح ٣/ ١٥

(٦) ينظر التصوير البياني للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى صـ ١١٠

والمشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف الشام ، والمسنونة : السهام المحدودة النصال ، والأغوال : جمع غول يزعمون أنه وحش بشع المنظر وأنياب الأغوال لم تشاهد هي ولا مادتها إنما هي من تخيلات الوهم .

(٢) مبحث وجه الشبه :

ووجه الشبه : ((هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلاً ، والمراد بالتخييل ألا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل))[١] وللتشبيه باعتباره ثلاثة تقسيمات أكتفي بذكر أهمها وهو الذي عُني به الطاهر في تفسيره .

" تقسيم التشبيه باعتباره الوجه إلى تمثيل وغير تمثيل"

صاحب هذا التقسيم هو الإمام عبد القاهر الجرجاني حيث فرق بين التشبيه والتمثيل ، وكان يرى كغيره من الباحثين أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل عندهم تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيل . "[٢] وتلاه السكاكي ثم الخطيب القزويني وهؤلاء الثلاثة كانت لهم أيادٍ بيضاء على هذا الفن الجميل ، فقد عنوا عناية تامة بدراسته وإظهار محاسنه والكشف عن لطائفه وأسراره [٣]

- **التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر :**

((هو ما لا يكون وجه الشبه فيه بيناً بنفسه بل يحتاج في تحصيله إلى تأول وصرف عن الظاهر لأن المشبه غير مشارك للمشبه به في حقيقة وجه الشبه الظاهري وجنسه بل في مقتضاه ولازمه . فإذا قلت : " ألفاظ فلان كالعسل في الحلاوة " فإن الحلاوة وجه شبه ظاهري فقط بخلاف المشبه به وهو " العسل " يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة بخلاف المشبه وهو " الألفاظ " فإنه لا يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة ، ولذا يحتاج إلى التأويل بإرادة ما تستلزمه الحلاوة من قبول النفس للشيء وحسن وقعه فيها ...))[٤]

- **التشبيه غير التمثيلي عند عبد القاهر :**

وهو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيناً لا يحتاج إلى تأول وصرف عن الظاهر لأن المشبه مشارك للمشبه به في نفس وجه الشبه وحقيقة جنسه لا في مقتضاه ولازمه،ويتحقق في أمرين :

---

(١) ينظر الإيضاح ١٥/٣

(٢) ينظر أسرار البلاغة صـ٩٥ – تحقيق أ / محمود محمد شاكر – ط المدني – ط أولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م

(٣) ينظر بحوث في البيان ومراجعه صـ٥٠٤

(٤) ينظر أسرار البلاغة صـ٩٠ وما بعدها ، وبحوث في البيان " بحث التمثيل " صـ٦٠٥

الأول : أن يكون وجه الشبه حسياً أي مدركاً بإحدى الحواس الخمس الظاهرة سواء كان الوجه مفرداً أم مركباً .

الثاني : أن يكون وجه الشبه غرزياً طبعياً " عقلياً حقيقياً " فالغرائز والطباع وإن كانت عقلية لأنها لا تدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة فقد ألحقها عبد القاهر بالحسيات لأنها حقائق مقررة ثابتة تعلمها في المشبه به كما تعلمها في المشبه فالشجاعة والجبن وما إلى ذلك من الكيفيات النفسية حينما يكون واحد منها وجه الشبه فالتشبيه المعقود عليه يكون كالتشبيه الذي يكون وجه شبه فيه حسياً سواءً بسواء[١]

• رأي السكاكي :

قسم السكاكي التشبيه من حيث وجه الشبه إلى تشبيه تمثيلي وغير تمثيلي .

فالتمثيلي : ما كان وجه الشبه فيه مركباً عقلياً غير حقيقي .

وغير التمثيلي : ما كان وجه الشبه فيه على خلاف ذلك ، وهذا صادق بالعقلي الحقيقي " الغرزي " والشأن فيه أن يكون مفرداً ، وكذا العقلي غير الحقيقي إذا كان مفرداً ، وكذا جميع الحسيات مفردة كانت أو مركبة [٢]

رأي الخطيب :

قسم الخطيب التشبيه من حيث وجه الشبه إلى تشبيه تمثيلي وغير تمثيلي .

فالتمثيلي : ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد أمرين أو أمور . وهذا يتحقق في كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء أكان ذلك الوجه حسياً أم عقلياً .

وغير التمثيلي : ما كان وجه الشبه فيه على خلاف ذلك ، وهذا يتحقق في كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه مفرداً سواء أكان الوجه حسياً أم عقلياً »

---

(١) ينظر أسرار البلاغة صـ٩٠ وما بعدها ، وبحوث في البيان "بحث التمثيل " صـ ٦،٥ ، وعلم البيان صـ٨٢ وما بعدها .

(٢) ينظر المفتاح صـ١٨٦،١٨٥ وبحوث في البيان " بحث التمثيل " صـ ٦

(٣) ينظر الإيضاح ٣/٥١،٥٠

مثال يوضح الآراء السابقة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

شبه الله حال الدنيا في سرعة زوالها ، وانقراض نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها ، وركونهم إليها بحال نبات الأرض ذهبت نضرته فجأة ، فجف وصار حطاماً بعدما زها ، والتف، وتكاثف ، وزين الأرض بخضرته ، وعم نفعه الإنسان والحيوان ، واطمأن الناس إلى دنو ثمره وظنوا أنه قد سلم من الجوائح ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سرعة الزوال ، وانقراض النعيم بعد الإقبال وعموم النفع واغترار الناس به واعتمادهم عليه . (٢)

(٢) مبحث الأداة :

وأدوات التشبيه : هي كل لفظ يدل على المماثلة والاشتراك وهي حرفان ، وأسماء ، وأفعال .

والحرفان : الكاف : والأصل فيها أن يليها المشبه به كقوله تعالى : **﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾**(٣)

وكأن : ويليها المشبه كقوله تعالى : **﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ○ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾** (٤)

أما الأسماء : فنحو شبه ، ومثل ، وما يشتق من المماثلة ، وما يؤدى هذا المعنى كالمضاهاة والمحاكاة والمشابهة وما يشتق منها والفعل : نحو شابه ، وماثل ، ويحاكى ، ويضارع ، وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه كعلم في قولك : " علمت زيداً أسد " وإنما تستعمل " علمت " لإفادة التشبيه إن قرب ذلك التشبيه بأن يكون وجه الشبه قريب الإدراك فيتحقق بأدنى التفات إليه .

والبلاغيون يقسمون التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل : وهو ما ذكرت أداته . ومؤكد : وهو ما حذفت أداته . (٥)

---

(١) الآية (٢٤) من سورة يونس .

(٢) ينظر بحوث في البيان " بحث التمثيل " صـ٧

(٣) الآية (٥) من سورة الفيل .

(٤) الآيتان (٥٠ ، ٥١) من سورة المدثر .

(٥) ينظر الإيضاح ٣/٦٧ ، ٦٨ ، وعلم البيان صـ ٦٦ ، وبحوث في البيان صـ ٧

(٤) مبحث الأغراض :

وأغراض التشبيه : هي البواعث التي تحمل المتكلم على أن يعقد شبهاً بين شيئين ، ومن أقسام التشبيه باعتبار الغرض : المقبول والمردود .

فالمقبول : الوافي بإفادة الغرض ، فإن كان الغرض بيان حال المشبه وجب أن يكون المشبه به معروفاً بوجه الشبه عند المخاطب من قبل ، لئلا يؤدي إلى التشبيه بالمجهول ، وإن كان الغرض بيان مقداره ، وجب أن يكون المشبه به على حد المشبه في وجه الشبه لا أقل ولا أكثر، وإن كان الغرض بيان إمكانه وجب أن يكون وجه الشبه مسلم الوقوع في المشبه به ، وإن كان الغرض تزيينه أو تقبيحه وجب أن يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه أيضا ، وإن كان الغرض استطرافه وجب أن يكون المشبه به غريباً في بابه أو بعيد التصور .

أما المردود : فهو ما لم يكن وافياً بالغرض المسوق له التشبيه))[1]

* هذه هي أبرز التقسيمات فى بحث التشبيه ، وهناك تفصيلات ومناقشات حول هذه الأقسام أعرضت عن ذكرها لعدم إشارة الطاهر إليها ، وكما سبق أن بحث المسائل البلاغية مقيد ببحث الطاهر لها [2]

* وإذا انتقلنا إلى تفسيره لنقف على جهوده البلاغية وما أضافه إلى بحث التشبيه نجد أولا : أن الطاهر لم يضع تعريفاً لعلم البيان ، ولم يعترض على تعريف البلاغيين له ، ولكنه أشار إلى أهميته في إدراك إعجاز القرآن كما سبق في بداية الفصل الأول [3]

أما عن بحث التشبيه :

فلقد اهتم الطاهر به اهتماماً كبيرًا وخاصة بحث التشبيه التمثيلي ، فجل كلام الطاهر عن التشبيه في سورة البقرة يدور حول هذا النوع من التشبيه ، وهذا الاهتمام الكبير ببحث التمثيل يدل على رسوخ قدمه في هذا الفن لأنه لم يتجرد له إلا الأفذاذ من البلاغين كالإمامين

---

(١) ينظر الإيضاح ٦٩/٣

(٢) هناك أنواع من التشبيه سيأتي ذكرها أثناء البحث كالتشبيه البليغ ، والتشبيه الضمني .

(٣) بين الطاهر في الجهة الأولى من جهات الإعجاز أن الوقوف على بلاغة القرآن إنما يكون بمعرفة ما دون في علمي المعاني والبيان ... " ينظر التحرير والتنوير ١٠٧/١

عبد القاهر والزمخشري ، ولقد أشار الطاهر إلى منزلة التمثيل من القرآن في المقدمة العاشرة للتفسير تحت عنوان – مبتكرات القرآن – حيث يقول : ((هذا وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن كلام العرب ... كالتمثيل فقد كان في أدب العرب الأمثال وهي حكاية مرموز لها بتلك الجمل البليغة التي قيلت فيها أو قيلت لها المسماة بالأمثال إلا أنها لما تداولتها الألسن في الاستعمال وطال عليها الأمد نسيت الأحوال التي وردت فيها ولم يبق للأذهان عند النطق بها إلا الشعور بمغازيها التي تقال لأجلها . أما القرآن فقد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها كقوله تعالى : **﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ... ﴾** [1] وقوله : **﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾** [2] وقوله :**﴿ ... وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ... ﴾** [3] [4] فالطاهر يرى " التمثيل "من مبتكرات القرآن التي تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب ، وإذا انتقلنا إلى سورة البقرة نراه قد أشار إلى تعريفه وطريقته عند العرب وعند البيانيين مع ذكر نبذة تاريخية عنه ، وذلك عند قوله تعالى : **﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾** [5] يقول:

((وأصل المَثَل بفتحتين هو النظير والشبيه ، ويقال أيضا " مِثْل " بكسر الميم وسكون الثاء ويقال مثيل كما يقال شَبَه وشِبْه وشَبِيه ، وبَدَل وبِدْل وبَدِيل ، ولا رابع لهذه الكلمات في مجيء فَعَل وفِعْل وفَعِيل بمعنى واحد [6]

وقد اختص لفظ " المَثَل " (بفتحتين) بإطلاقه على الحال الغريبة الشأن لأنها بحيث تمثل للناس وتوضح وتشبه سواء شبهت كما هنا ، ام لم تشبه كما فى قوله تعالى : **﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾** .

---

(١) من الآية (١٨) من سورة إبراهيم

(٢) من الآية (٣١) من سورة الحج

(٣) من الآية (١٤) من سورة الرعد .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١٢١/١

(٥) الآية (١٧) من سورة البقرة .

(٦) ذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب فى كتاب أبنية الأسماء باب ما جاء من ذوات الثلاثة فيه لغتان " فِعْل وفَعَل " بكسر الفاء وسكون العين وبفتحهما جميعا " مِثْل ومَثَل " و " شِبْه وشَبَه " ، و " بِدْل وبَدَل " ينظر أدب الكاتب صـ ٤٢٧ ط دار المعرفة تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد ، واللسان مادة " مثل " ٤١٣٣،٤١٣٢/٦

وبإطلاقه على قول يصدر في حال غريبة فيحفظ ويشيع بين الناس لبلاغة وإبداع فيه ، فلا يزال الناس يذكرون الحال التي قيل فيها ذلك القول تبعاً لذكره وكم من حال عجيبة حدثت ونسيت لأنها لم يصدر فيها من قول بليغ ما يجعلها مذكورة تبعاً لذكره فيسمى مثلاً ، وأمثال العرب باب من أبواب بلاغتهم وقد خصت بالتأليف ويعرفونه بأنه قول شبه مضربه بمورده وسأذكره قريباً . فالظاهر أن إطلاق المثل على القول البديع السائر بين الناس الصادر من قائله في حالة عجيبة هو إطلاق مرتب على إطلاق اسم المثل على الحال العجيبة ، وأنهم لا يكادون يضربون مثلاً ولا يرونه أهلاً للتسيير وجديراً بالتداول إلا قولاً فيه بلاغة وخصوصية في فصاحة لفظ وإيجازه ووفرة معنى ، فالمثل قول العزيز غريب ليس من متعارف الأقوال العامة بل هو من أقوال فحول البلاغة فلذلك وصف بالغرابة أي العزة مثل قولهم " الصيف ضيعت اللبن " وقولهم " لا يطاع لكثير أمر " وستعرف وجه ذلك . ولما شاع إطلاق لفظ المثل " بالتحريك " على الحالة العجيبة الشأن جعل البلغاء إذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة أعني وصفين منتزعين من متعدد أتوا في جانب المشبه والمشبه به معاً أو في جانب أحدهما بلفظ المثل وأدخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما ولا يطلقون ذلك على التشبية البسيط فلا يقولون مثل فلان كمثل الأسد وقلما شبهوا حالاً مركبة بحال مركبة مقتصرين على الكاف . كقوله تعالى : ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ** ... ﴾ [١] بل يذكرون لفظ المثل في الجانبين غالباً نحو الآية هنا ، وربما ذكروا لفظ المثل في أحد الجانبين كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ** ... ﴾ [٢] وذلك ليتبادر للسامع أن المقصود تشبيه حالة بحالة لا ذات بذات ولا حالة بذات فصار لفظ المثل في تشبيه الهيئة منسياً من أصل وضعه ومستعملاً في معنى الحالة فلذلك لا يستغنون عن الإتيان بحرف التشبيه حتى مع وجود لفظ المثل فصارت الكاف في

---

(١) من الآية (١٤) من سورة الرعد .

(٢) من الآية (٢٤) من سورة يونس .

قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ﴾ دالة على التشبيه وليست زائدة كما زعمه الرضى فى شرح الحاجبيه ، وتبعه عبد الحكيم عند قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ وقوف مع أصل الوضع وإغضاءً عن الاستعمال ألا ترى كيف استغنى عن إعادة لفظ المثل عند العطف فى قوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ ولم يستغن عن الكاف . ومن أجل إطلاق لفظ المثل اقتبس علماء البيان مصطلحين فى تسمية التشبيه المركب بتشبيه التمثيل وتسمية المركب الدال على هيئة منتزعة من متعدد فى غير ما وضع له مجموعه بعلاقة المشابهة استعارة تمثيلية وقد تقدم الإلمام بشئ منه عند قوله تعالى " ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... ﴾ [1][2]

• **ويلاحظ من خلال كلام الطاهر عدة أمور :**

الأول : معنى التمثيل فى اللغة وطريقته عند العرب .

الثانى : أن البلاغيين نقلوا عن العرب استخدامهم المثل فى الأمور العجيبة والبليغة .

الثالث : أن البلاغيين إذا أرادوا تشبيه حالة مركبة بحال مركبة أتوا فى جانب المشبه به والمشبه معاً أو فى أحدهما بلفظ المثل مع الكاف أو غيرها من حروف التشبيه الداخلة على المشبه به منهما .

الرابع : اقتباس علماء البيان تسمية التشبيه المركب بتشبيه التمثيل من لفظ المثل كذلك تسميتهم استعمال المركب الدال على هيئة منتزعة من متعدد فى غير ما وضع له بعلاقة المشابهة استعارة تمثيلية .

وهو كلام دقيق نقلته كاملاً لأهميته ، وقلما نجده مجتمع هكذا عند أحد من البلاغيين ، هذا ولقد ذكر الطاهر أن تشبيه التمثيل يأتى فى كلامهم على أربعة أقسام أرجئ الحديث عنها حتى نقف على طريقته فى الكشف عن البلاغة القرآنية .

• **يقول فى قوله تعالى :**

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [3]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٣٠٢-٣٠٤

(٢) من الآية (٥) من سورة البقرة .

(٣) الآية السابقة من سورة البقرة .

((والإتيان بحرف الاستعلاء تمثيل لحالهم بأن شبهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه ومحاولتهم الزيادة به والسير في طريق الخيرات بهيئة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتمكن من تصريفه والقدرة على إراضته فشبهت حالهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيهاً ضمنياً دل عليه حرف الاستعلاء لأن الاستعلاء أعلى أنواع تمكن شيء من شيء ، ووجه جعلنا إياها مؤذنة بتقدير مركوب دون كرسي أو مسطبة مثلا ، لأن ذلك هو الذي تسبق إليه أفهامهم عند سماع ما يدل على الاستعلاء ، إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم فهو الحاضر في أذهانهم ؛ ولذلك تراهم حين يصرحون بالمشبه به أو يرمزون إليه ما يذكرون إلا المركوب وعلائقه فيقولون : " جعل الغواية مركباً وامتطى الجهل" وفي المقامة " لما اقتعدت غارب الاغتراب " وقالوا في الأمثال " ركب متن عمياء . تخبط عشواء . " فتكون كلمة " على " هنا بعض المركب الدال على الهيأة المشبه بها على وجه الإيجاز وأصله أولئك على مطية الهدى فهي تمثيلية تصريحية إلا أن المصرح به بعض المركب الدال لا جمعيه.))[1]

وبعد أن كشف الطاهر عن انسجام التمثيل في الآية مع حالة العرب ومراعاته لما يخطر في بالهم وتصورهم ذكر حرص البيانيين على اعتبار تشبيه الهيئة فلا يعدلون عنه إلى المفرد .

يقول : ((**تقرر في علم البيان أن أهله أشد حرصاً على اعتبار تشبيه الهيئة فلا يعدلون عنه إلى المفرد مهما استقام اعتباره** ولهذا قال الشيخ في دلائل الإعجاز عند ذكر بيت بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤوسِنا .:. وَأَسيافَنَا لَيلٌ تَهاوَي كَواكِبُهُ

" قصد تشبيه النقع والسيوف فيه بالليل المتهاوية كواكبه ، لا تشبيه النقع بالليل من جانب والسيوف بالكواكب من جانب ، ولذلك وجب الحكم بأن " أسيافنا " في حكم الصلة للمصدر " أي مثار " لئلا يقع في تشبيهه تفرق ، فإن نصب الأسياف على أن الواو

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٤٢ ، ٢٤٣ باختصار

بمعنى مع لا على العطف))[١]

وبعد ذلك يبين منزلة التشبيه التمثيلي من البلاغة ، فيقول : ((إذا تقرر هذا تبين لديك أن للتشبيه التمثيلي الحظ الأوفى عند أهل البلاغة ووجهه أن من أهم أغراض البلغاء وأولها باب التشبيه وهو أقدم فنونها ، ولا شك أن التمثيل أخص أنواع التشبيه لأنه تشبيه هيئة بهيئة فهو أوقع في النفوس وأجلى للمعانى)) [٢]

ويتضح من خلال ما سبق متابعة الطاهر للبلاغيين فيما ذهبوا إليه من أن التمثيل أخص والتشبيه أعم وقد مضى الكلام عن ذلك في التمهيد لهذا المبحث [٣] فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً "

كما يتضح تحليله الدقيق للصورة البيانية تحليلاً يتناول كل جزئية من جزيئاتها مستشهداً بأمثلة من حكمهم وأمثالهم وأشعارهم ، هذا ولقد أشار صاحب الكشاف إلى التمثيل في الآية إلا أن إشارته كانت موجزة ، ولم يشر إلى التشبيه الضمنى الذى دل عليه حرف الاستعلاء كما ذكر الطاهر [٤] .

والتشبيه الضمنى : هو ما لا يكون التعبير فيه نصاً فى التشبيه وإنما بنيت العبارة عليه ، وطوته وراء صياغتها فأنت تراه هناك مضمراً مكتوماً كما تقول هو أقطع من السيف [٥]

* ويقول فى قوله تعالى :

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [٦]

((ولك أن تجعل الختم والغشاوة تمثيلاً بتشبيه هيئة وهمية متخلية فى قلوبهم أى إدراكهم من التصميم على الكفر وإمساكهم عن التأمل فى الأدلة – كما تقدم – بهيئة الختم ، وتشبيه هيئة متخيلة فى أبصارهم من عدم التأمل فى الوحدانية وصدق الرسول بهيئة الغشاوة وكل ذينك من تشبيه المعقول بالمحسوس ...))[٧]

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز صـ ٤١٤ ولقد تصرف الطاهر فى النقل عن الإمام عبد القاهر .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٤/١ . ولقد رجح الطاهر بعد ذلك منزع الاستعارة التمثيلية فى الآية وسيأتى تفصيل ذلك فى مبحث الاستعارة .

(٣) ينظر أسرار البلاغة صـ ٩٥

(٤) ينظر الكشاف ٨٥/١

(٥) ينظر التصوير البيانى صـ ٩٠

(٦) الآية (٧) من سورة البقرة .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ٢٥٥/١

ذكر الطاهر أن هذه الآية يمكن حملها على المجاز المرسل بعلاقة اللزوم ، ويجوز حملها على التمثيل كما سبق. وقد جوز صاحب الكشاف الأمرين في الآية ، ويقول عن التمثيل :

((وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية .)) [١]

((ويلاحظ من خلال تحليل الطاهر للآية السابقة إشارته إلى طرفي التشبيه حيث ذكر أن الآية من تشبيه المعقول بالمحسوس بتشبيه هيئة متخيلة وهمية بهيئة الختم ...))

وقد مضى أن الوهمي : ما ليس مدرك بشئ من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها " [٢] **والخيالي** هو المعدوم الذى فرض مجتمع من عدة أمور فأدركت أفراضه بالحس ، أي أجزاء كل جزئي منه ولم تدرك هيئته الإجتماعية ، فيكون ملحقا بالحس لاشتراك الحس والخيال في أن المدرك بهما صورة لا معنى " [٣]

• **وعن التمثيل بالأمور المحسوسة وأثره في النفس :**

يقول في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ [٤]

((أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة ، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيهُ التمثيل إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة ؛ لأن النفس إلى المحسوس أميل . وإتماماً للبيان بجمع المتفرقات في السمع ، المطالة في اللفظ ، في صورة واحدة لأن للإجمال بعد التفصيل وقعاً في نفوس السامعين . وتقريرًا لجميع ما تقدم في الذهن بصورة تخالف ما صور سالفاً لأن تجدد الصورة عند النفس أحب من تكررها .)) [٥]

ويلاحظ من خلال كلام الطاهر إشارته إلى أن طريقة تشبيه التمثيل أن يصور الصفات التي سبق ذكرها في الكلام في سورة واحدة ، كما أن إلحاق الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة أكثر وقعاً في نفوس السامعين [٦]

خاصة إذا تجددت الصورة ولم تكرر !!

---

(١) ينظر الكشاف ٨٨/١ باختصار .

(٢) ينظر الإيضاح ١٥/٣

(٣) ينظر علم البيان صـ ٥٩، ٦٠

(٤) الآية (١٧) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣٠٢/١

(٦) وقد نقل الطاهر عن الزمخشري قوله : " ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كالمشاهد " . ينظر الكشاف ١٠٩/١

* **وعن فوائد التشبيه في الآية :**

يقول : ((... فمن فوائد التشبيه قصد تفظيع المشبه . وتقريباً لما في أحوالهم في الدين من التضاد والتخالف بين ظاهر جميل وباطن قبيح بصفة حال عجيبة من أحوال العالم فإن فائدة التشبيه إظهار إمكان المشبه،وتنظير غرائبه بمثلها في المشبه به.قال في الكشاف)) ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين أمثاله[١] وفشت في كلام رسوله ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء قال تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ** ﴾ [٢]

* **ثم بين الطاهر للمرة الثانية منزلة التمثيل من علم البيان ومن البلاغة :**

ومن البلاغة فيقول : ((والتمثيل منزع بديع من منازع البلغاء لا يبلغ إلى محاسنه غير خاصتهم وهو هنا من قبيل التشبيه لا من الاستعارة لأن فيه ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وهي لفظ مثل .)) [٣]

* **ولقد ذكر في ختام تفسيره للآية بدائع هذا التمثيل :**

فقال : ((ومن بدائع هذا التمثيل أنه مع ما فيه من تركيب الهيأة المشبه بها ومقابلتها للهيئة المركبة من حالهم هو قابل لتحليله بتشبيهات مفردة لكل جزء من هيأة أحوالهم بجزء مفرد من الهيأة المشبه بها استماعهم للقرآن باستيقاد النار ، ويتضمن تشبيه القرآن في إرشاد الناس إلى الخير والحق بالنار في إضاءة المسالك للسالكين ، وشبه رجوعهم إلى كفرهم بذهاب نور النار وشبه كفرهم بالظلمات ، ويشبهون بقوم انقطع إبصارهم)) [٤]

* **وعن طريقة بلغاء العرب في عطف تشبيه على تشبيه :**

يقول في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ... ﴾ [٥]

((عطف على التمثيل السابق وهو قوله " كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً " أعيد تشبيه حالهم بتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى فهو تمثيل لحال المنافقين المختلطة بين جواذب ودوافع حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده وجاذب الشر من أعراق النفوس

---

(١) نص صاحب الكشاف " في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله ... " ينظر الكشاف ١/١٠٩

(٢) الآية (٤٣) من سورة العنكبوت .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٣٠٢

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/٣١٣

(٥) من الآية (١٩) من سورة البقرة .

والسخرية بالمسلمين بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعجات وأكدار جاء على طريقة البلغاء العرب في التفنن في التشبيه وهم يتنافسون فيه لاسيما التمثيلي منه وهي طريقة تدل على تمكن الواصف من التوصيف والتوسع فيه

• **وبعد أن ذكر الطاهر طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه ذكر طريقتهم في عطف تشبيه على تشبيه:**

يقول : ((وقد استقريت من استعمالهم فرأيتهم يسلكون طريقة عطف تشبيه على تشبيه كقول امرئ القيس في معلقته :

أصاحِ ترى برقاً أُريك وميضهُ ... كلمعِ اليدينِ في حبيٍّ مُكلَّلِ

يضيءُ سناهُ أو مصابيحِ راهبٍ ... أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ المُفتَّلِ [1]

وكثر أن يكون العطف في نحوه بأو دون الواو ، وأو موضوعةٌ لأحد الشيئين أو الأشياء فيتولد منها التسوية وربما سلكوا في إعادة التشبيه مسلك الاستفهام بالهمزة أي لتختار التشبيه بهذا أم بذلك ، وذلك كقول لبيد :

أفتلك أمْ وحشيةٌ مسبوعةٌ ... خذلتْ وهاديةُ الصِّوارِ قِوامُها [2]

وربما عطفوا بالواو كما في قوله تعالى : ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ** ﴾[3] الآية ثم قال : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ** ﴾[4] الآية . وقوله :

﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ○ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ○ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ** [5] ﴾

الآية بل وربما جمعوا بلا عطف كقوله تعالى : ﴿ ... **حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ** [6] ﴾

وهذه تفننات جميلة في الكلام البليغ فما ظنك إذا وقعت في التشبيه التمثيلي فإنه لعزته مفرداً

---

(١) أصاح : أي يا صاحب ، والوميض والإيماض : اللمعان . والحبي : السحاب المتراكم ، والسليط : الزيت ، والذبال : جمع ذبالة وهو الفتيلة . يقول : " يا صاحبي هل ترى برقاً أريك لمعانه وتلألؤه ، وتألقه في سحاب متراكم صار أعلاه كالإكليل لأسفله أو في سحاب متبسم بالبرق ، يشبه برقه تحريك اليدين ؟ أراد أنه يتحرك تحركها . وتقدير البيت : أريك وميضه في حبي مكلل كلمع اليدين . شبه لمعان البرق وتحركه بتحريك اليدين . شرح المعلقات السبع صـ٣٨ ط الحلبي ط ثالثة ١٣٧٩ هـ .

(٢) المسبوعة : أي قد أصابها السبع بافتراس ولدها . والهادية : المتقدمة . والصوار ، والصيار القطيع من بقر الوحش . والجمع : الصيران . وقوام الشيء : ما يقوم به هو وتحرير المعنى : أفتلك تشبه تلك الأتان أم هذه البقرة التي خذلت ولدها ، وذهبت ترعى مع صواحبها وجعلت هادية الصوار قوام أمرها ، فافترست قوام أمرها ، فافترست السباع ولدها ، فأسرعت في السير طالبة لولدها . شرح المعلقات السبع للزوزني صـ١١٠

(٣) من الآية (٢٩) من سورة الزمر

(٤) من الآية (٧٦) من سورة النحل .

(٥) الأيات (١٩، ٢٠، ٢١) من سورة فاطر .

(٦) من الآية (١٥) من سورة الأنبياء .

تعز استطاعة تكريره . وأو عطفت لفظ " صيب " على " الذي استوقد " بتقدير مثل بين الكاف وصيب . وإعادة حرف التشبيه مع حرف العطف المغنى عن إعادة العامل ، وهذا التكرير مستعمل في كلامهم وحسّنه هنا أن فيه إشارة إلى اختلاف الحالين المشبهين كما سنبينه وهم في الغالب لا يكررونه في العطف . والتمثيل هنا لحال المنافقين حين حضورهم مجلس رسول الله ﷺ وسماعهم القرآن وما فيه من آي الوعيد لأمثالهم وآي البشارة ، فالغرض من هذا التمثيل تمثيل حالة مغايرة للحالة التي مُثّلت في قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ﴾ بنوع إطلاق وتقييد . "

* **ثم يذكر وجهاً آخر للتمثيل فى الآية فيقول :**

((شبهت حال المنافقين بحال قوم سائرين فى ليل بأرض قوم أصابها الغيث وكان أهلها كائنين فى مساكنهم كما علم ذلك من قوله ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ ﴾ فذلك الغيث نفع أهل الأرض ولم يصبهم ممّا اتصل به من الرعد والصواعق ضُر ولم ينفع المارين بها وأضرَّ بهم ما اتصل به من الظلمات والرعد والبرق، فالصيب مستعار للقرآن وهدى الإسلام وتشبيهه بالغيث وارد . وفى الحديث الصحيح :

((مثل ما بعثنى الله به من الهدى كمثل الغيث أصاب أرضاً فكان منها نقية ...)) إلخ .

وفى القرآن ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ [١] ولا تجد حالة صالحة لتمثيل هيئة اختلاط نفع وضر مثل حالة المطر والسحاب وهو من بديع التمثيل القرآنى ... والظلمات مستعار لما يعترى الكافرين من الوحشة عند سماعه كما تعترى السائر فى الليل وحشة الغيم لأنه يحجب عنه ضوء النجوم والقمر . والرعد لقوارع القرآن وزواجره . والبرق لظهور أنوار هديه من خلال الزواجر فظهر أن هذا المركب التمثيلى صالح لاعتبارات تفريق التشبيه وهو أعلى التمثيل .)) [٢]

* **ويتضح من خلال ما سبق أن بحث العطف فى التشبيه جهد خاص للطاهر لم يسبق إليه ، وقد ذكر الفرق بين العطف . بأو والعطف بالواو فى التشبيه . فالعطف بأو أكثر وهى موضوعة**

---

(١) من الآية (٢٠) من سورة الحديد .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٣١٥-٣١٧ باختصار .

لأحد شيئين أو لأشياء . وربما سلكوا فى إعادة التشبيه مسلك الاستفهام بالهمزة كما سبق فى بيت لبيد ، وربما عطفوا بالواو ، وربما جمعوا بلا عطف ، كما ذكر أن الآية من التفنن فى التمثيل وهى طريقة يستخدمها بلغاء العرب حيث يعيدون تشبيه الحال بتمثيل آخر . ويلاحظ تحليلاته الممتعة التى تبرز المعنوى فى شكل محسوس يؤثر فى النفس ويبرز جمال التمثيل فى القرآن .

• وعن الفرق بين مجئ التشبيه مع العطف وبدون العطف :

يقول فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾ [1]

((وإنما عطفه بالواو هنا ولم يفصله كما فصل قوله ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً** ﴾ [2] لأنه أريد هنا جعل هذه صفة مستقلة لهم فى تلقى دعوة الإسلام ولو لم يعطفه لما صح)) [3]

ثم يوضح التمثيل فى الآية فيقول : ((والمثل هنا لما أضيف إلى الذين كفروا كان ظاهراً فى تشبيه حالهم عند سماع دعوة النبى ﷺ إياهم إلى الإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من ينعق بها فى أنهم لا يفهمون إلا أن النبى ﷺ يدعوهم إلى متابعته من غير تبصر فى دلائل صدقه وصحة دينه ، فكل من الحالة المشبهة والحالة المشبه بها يشتمل على أشياء داعٍ ومدعو ودعوة ، وفهم وإعراض وتصميم ، وكل من هاته الأشياء التى هى أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به ، وهذا من أبدع التمثيل وقد أوجزته الآية إيجازاً بديعاً ، والمقصود ابتداءً تشبيه حال الكفار لا محالة ، ويستتبع ذلك تشبيه حال النبى وحال دعوته ... ، والآية تحتمل أن يكون المراد تشبيه حال المشركين فى إعراضهم عن الإسلام بحال الذى ينعق بالغنم ، أو تشبيه حال المشركين فى إقبالهم على الأصنام بحال الداعى للغنم ، وأيّاما كان فالغنم تسمع صوت الدعاء والنداء ولا تفهم ما يتكلم به الناعق

---

(١) الآية (١٧١) من سورة البقرة .

(٢) من الآية (١٧) من سورة البقرة وقد سبق بحث هذه الآية .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢/١١١

والمشركون لم يهتدوا بالأدلة التي جاء بها النبي ﷺ فيكون قوله " إلا دعاءً ونداءً " من تكملة أوصاف بعض أجزاء المركب التمثيلي في جانب المشبه به ... وقد جوّز المفسرون أن يكون التمثيل على إحدى الطريقتين ، وعندي أن الجمع بينهما ممكن ولعله من مراد الله تعالى ؛ فقد قدمنا أن التشبيه التمثيلي يحتمل كل ما حمّلته من الهيئة كلها ، وهيئة المشركين في تلقي الدعوة مشتملة على إعراض عنها وإقبال على دينهم كما هو مدلول قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ... ﴾ [1]، فهذه الحالة كلها تشبه حال الناعق بما لا يسمع ، فالنبي يدعوهم كناعقٍ بغنم لا تفقه دليلاً وهم يدعون أغنامهم كناعق بغنم لا تفقه شيئاً . ومن بلاغة القرآن صلوحية آياته لمعانٍ كثيرة يفرضها السامع)) [2]

* ومن خلال ما سبق يتضح الفرق الذي ذكره الطاهر بين مجئ التشبيه مع العطف وبدون العطف وهو جهد خاص لم يسبق إليه فيما أعلم ، كذلك يلاحظ ما أورده عن بداعة التمثيل في الآية وهو صلاحية أن يكون كل جزء من أجزاء التشبيه المركب مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به ، كذلك إشارته إلى أن التشبيه التمثيلي يحتمل كل ما حمّلته من الهيئة كلها لأن من بلاغة القرآن صلوحية آياته لمعان متعددة ، كما لا يخفى ما بذله الطاهر من جهد في الكشف عن سر التمثيل في الآية ولذلك نقلت جلّ كلامه حول التشبيه في الآية [3]

*** ومتابعة لجهود الطاهر وما أضافه إلى بحث التشبيه نجده يتحدث عما أسماه بـ " تهيئة التشبيه ".**

يقول في قوله تعالى : **﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾** [4]

---

(١) من الآية (١٧٠) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١١٢،١١١/٢ باختصار .

(٣) ينظر تفسيره للآية (٢٥٦) من سورة البقرة ٢٩/٣ .

(٤) الآية (٧٤) من سورة البقرة .

((وقوله : " فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ " تشبيه فُرع بالفاء لإرادة ظهور التشبيه بعد حكاية الحالة المعبر عنها بـ " قست " لأن القسوة هى وجه الشبه ولأن أشهر الأشياء فى هذا الوصف هو الحجر فإذا ذكرت القسوة فقد تهيأ التشبيه بالحجر ولذا عطف بالفاء أى إذا علمت أنها قاسيه فشبهها بالحجارة ، كقول النابغة يصف الحجيج :

عَليهنّ شُعث عَامِدونَ لِربهم فهُنّ كأطراف الحِنِىّ خَواشع

وقد كانت صلابة الحجر أعرف للناس وأشهر لأنها محسوسة . فلذلك شبه بها **وهذا الأسلوب يسمى عندى تهيئة التشبيه وهو من محاسنه ، وإذا تتبعت أساليب التشبيه فى كلامهم تجدها على ضربين : ضرب لا يهيأ فيه التشبيه وهو الغالب ، وضرب يهيأ فيه كما هنا والعطف بالفاء فى مثله حسن جداً وأما أن يأتى المتكلم بما لا يناسب التشبيه فذلك عندى يعد مذموماً وقد رأيت بيتاً جمع تهيئة التشبيه والبعد عنه** وهو قول ابن نباته :

فى الريق سُكْر وفى الأَصداغِ تَجعيدٌ هذا المُدام وهاتِيك العَناقيدُ

فإنه لما ذكر السكر تهيأ التشبيه بالخمر ولكن قوله تجعيد لا يناسب العناقيد ، فإن قلت : لم عددته مذموماً وما هو إلا كتجريد الاستعارة ؟ قلت : لا ؛ لأن التجريد يجئ بعد تكرر الاستعارة وعلم بها فيكون تفنناً لطيفاً بخلاف ما يجئ قبل العلم بالتشبيه)) [١]

• وفيما يبدوا أن تهيئة التشبيه التى يقصدها الطاهر تعنى :

أن تتقدم الصفة التى يقصد اشتراك الطرفين فيها تمهيداً لذكر المشبه به بحيث إذا سمعها أحد علم المشبه به قبل ذكره لأن هذه الصفة المقدمة قد أماطت اللثام عن المشبه به ، فهى صفة من صفاته لا تنفك عنه ، وهذا يعتمد على سرعة البديهة وقوة التركيز والإلمام بالمعانى وما بينها من تلاحم وترابط . وهذا الأسلوب كما ذكر ضربين : ضرب لا يهيأ فيه التشبيه وهو الغالب ، وضرب يهيأ فيه والعطف بالفاء فى مثله حسن جداً . ويذكر الطاهر من قول النابغة

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥٦٣/١

وابن نباته ما يشهد لهذا الأسلوب بضربيه السابقين وهو كلام له وجاهته يدل على ذوق وفهم كما أن كلامه عن الفرق بين الضرب الذى لم يهيأ فيه التشبيه وبين التجريد فى الاستعارة يدل على إدراك لأسرار الأساليب وهذه اللفتة البلاغية التى أشار إليها الطاهر تستحق الدراسة ومراجعة الآيات والأحاديث والأشعار للكشف عما فيها من تهيئة للتشبيه تخدم نظم القرآن !!

* أما عن أدوات التشبيه :

فيقول فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(١)

((وقوله ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ تقرير لمعنى قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، أى كانت عقولهم متشابهة فى الأفن وسوء النظر فلذا اتحدوا فى المقالة . فالقلوب هنا بمعنى العقول كما هو المتعارف فى اللغة العربية . وقوله تشابهت صيغة من صيغ التشبيه وهى أقوى فيه من حروفه وأقرب بالتشبيه البليغ ، ومن محاسن ما جاء فى ذلك قول الصابى :

تَشابَهَ دَمعى إذ جَرى ومُدامتى فمَن مِثلِ مَا فى الكأسِ عَينى تَسكبُ (٢)

تقدم أن من أدوات التشبيه أفعال تدل على المشابهة ، والطاهر يوضح أن هذه الصيغة أقوى فى التشبيه من الحروف وأقرب بالتشبيه البليغ ، والتشبيه البليغ ما ذكر فيه الطرفان فقط ، وحذف منه الوجه والأداة معاً ، وهو يفيد التشبيه قوة لأن حذف الوجه والأداة يوهم اتحاد الطرفين وعدم تفاضلهما فيعلوا المشبه إلى مستوى المشبه به ، وقد أشار الطاهر إلى بعض مواضعه فى سورة البقرة ، يقول فى قوله تعالى :

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ (٣)

((... والإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ شبهوا فى انعدام آثار الإحساس منهم بالصم البكم العمى أى كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاثة وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دال على جمع ، فالمعنى كل واحد منهم

---

(١) الآية (١١٨) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٩٠

(٣) الآية (١٨) من سورة البقرة .

كالأصم الأبكم الأعمى وليس المعنى على التوزيع فلا يفهم أن بعضهم كالأصم وبعضهم كالأبكم وبعضهم كالأعمى وليس هو من الاستعارة عند محققي أهل البيان .))[1]

• وعن أغراض التشبيه :

يقول في قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [2]

((وقوله **﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾** تشبيه في أصل فرض ماهية الصوم لا في الكيفيات ، والتشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة وهو وجه الشبه المراد في القصد ، وليس المقصود من هذا التشبيه الحوالة في صفة الصوم على ما كان عليه عند الأمم السابقة ، ولكن فيه أغراضاً ثلاثة تضمنها التشبيه :

– **أحدها** : الاهتمام بهذه العبادة ، والتنويه بها لأنها شرعها الله قبل الإسلام لمن كانوا قبل المسلمين ، وشرعها للمسلمين ، وذلك يقتضي اطراد صلاحها ووفرة ثوابها .

– **والغرض الثاني** : أن في التشبيه بالسابقين تهويناً على المكلفين بهذه العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم ؛ فإن في الاقتداء بالغير أسوة في المصاعب ، فهذه فائدة لمن قد يستعظم الصوم من المشركين فيمنعه وجوده في الإسلام من الإيمان ولمن يستثقله من قريبي العهد بالإسلام ، وقد أكد هذا المعنى الضمني قوله بعده " أياماً معدودات " .

– **والغرض الثالث** : إثارة العزائم للقيام بهذه الفريضة حتى لا يكونوا مقصرين في قبول هذا الغرض بل ليأخذوه بقوة تفوق ما أدى به الأمم السابقة)) [3] [4]

• ويلاحظ من خلال ما سبق إشارة الطاهر في أول كلامه إلى أن التشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة وهو وجه الشبه المراد في القصد ... " أشار إليه صاحب المفتاح بقوله :

((لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به ، واشتراكاً بينهما . من وجه

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣١٤،٣١٣/١ والكشاف ١١٢/١

(٢) الآية (١٨٣) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١٥٧،١٥٦/٢

(٤) ينظر تفسيره للآية (١٧) من سورة البقرة وقد سبقت في بحث التمثيل .

وافتراقاً من آخر مثل أن يشتركا فى الحقيقة ويختلفا فى الصفة أو العكس فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولاً وقصراً . والثانى كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنساناً وفرساً وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعيين يأبى التعدد فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشئ لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به فى أمر والشئ لا يتصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين فى وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف ...)) [1][2]

* وهذه هى بعض مواضع التشبيه فى تفسير الطاهر لسورة البقرة ، وهى المواضع التى تمثل طريقته البلاغية فى الكشف عن أسرار التشبيه فى القرآن ، ويلاحظ من خلالها عناية الطاهر الكبيرة ببحث التشبيه التمثيلى حيث عده فى مقدمة التفسير من مبتكرات القرآن التى تميز بها نظمه على بقية كلام العرب كذلك التعريف الذى وضعه للتمثيل البلاغى ، وما عرضه من تاريخه ، وطريقته عند العرب ، وهى دراسة قلما نظفر بها فى تفسير من التفاسير ، ويلاحظ متابعته للبلاغيين فيما قرروه من أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه ، وأن البيانيين أشد حرصاً على اعتبار تشبيه الهيئة فلا يعدلون عنه إلى المفرد مهما استقام اعتباره ، وأن طريقة تشبيه التمثيل تصوير الصفات التى سبق ذكرها فى صورة واحدة كما أن إلحاق الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة أكثر وقعاً فى نفوس السامعين إذا تجددت الصورة ولم تتكرر ، كذلك ما أضافه عن طريقة بلغاء العرب فى التفنن فى التشبيه ، وطريقتهم فى عطف تشبيه على تشبيه ، والفرق بين مجئ التشبيه مع العطف وبدونه كذلك ما أسماه بـ " تهيئة التشبيه " وهو بحث استخلصه من كلام العرب وطريقتهم فى التشبيه كما يلاحظ إشارته إلى بداعة التمثيل ، وهو

---

(١) ينظر المفتاح صـ١٨٣،١٨٤ باختصار .

(٢) يرى بعض البلاغيين أنه كلما كثرت جهات الاختلاف بين الطرفين كان التشبيه ، لأنه يدل حينئذ على أن الأديب أكثر إحساساً وإدراكاً لحقائق الأشياء ، وأنه بما أوتى من فطنة يستطيع أن يفطن إلى علاقات بين الأشياء لا يفطن إليه غيره من الناس .
ينظر علم البيان صـ ٥٨ ، والتصوير البيانى صـ ١١٩ وما بعدها .

صلاحية أن يكون كل جزء من أجزاء التشبيه المركب مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به ، وأن التشبيه التمثيلي يحتمل ما حملته من الهيئة كلها لأن من بلاغة القرآن صلوحية آياتـــه لمعـــان متعددة .

أضف إلى ذلك الجهود القيمة التي بذلها في تحليل التشبيه والكشف عن أســـرار التمثيـــل فـــي الآيات، وهي طريقة فريدة يتمتع بها حيث إنه يُقلِّبُ الآية على الوجوه التي يحتملها المعنى ، ولا يصير إلى رأي إلا إذا اكتملت عنده أدلته من القرآن أو الأحاديث أو كلام العرب فهو حذر عند المخالفة ، وهذه الجهود التي قدمها الطاهر فيها إضافات جديدة إلى بحث التشبيه التمثيلي وفيـــها إثراء لبلاغة القرآن ، وسيتضح ذلك في بحث الاستعارة[1] .

---

(١) من مواضع التشبيه في سورة البقرة الآيات (١٦) ، (١٩) ، (٩٠) ، (٢٥٦) ، (٢٥٨) ، (٢٥٩) ، (٢٦٢) ، (٢٦٤) .

المبحث الثانى

المجاز المرسل

وأسراره البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

المبحث الثاني

" المجاز المرسل وأسراره "

قبل أن أشرع في تعريف المجاز المرسل وبيان علاقاته لابد من تعريف الحقيقة والمجاز لما بينهما من صلة ، وعن ذلك يقول سعد الدين : ((... والمقصود الأصلي إنما هو بحث المجاز لكن قد جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أيضاً لما كان بينهما من شبه تقابل العدم والملكة حيث اشتمل الحقيقة على استعمال اللفظ فيما وضع له والمجاز على استعماله في غير ما وضع له ...))[١]

والحقيقة : هي ((الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب " والمجاز : الذي لم يستعمل فيما وضع له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كالأسد في الرجل الشجاع ...)) [٢]

• والمجاز ينقسم إلى مفرد ومركب [٣] ، والمفرد ينقسم إلى مرسل ، واستعارة ، فإن كانت العلاقة المصححة تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة وإلا فهو مرسل .

" فالذي يفصل بين القسمين هو العلاقة إن كانت المشابهة كان المجاز استعارة وإن كانت غير المشابهة كان المجاز مرسلاً وسمي مرسلاً لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة أو لأن له علاقات كثيرة لا تكاد تحصر . " [٤]

• فالمرسل :

((ما كانت العلاقة بين ما استُعْمِل فيه وما وُضِع له ملابسة غير التشبيه . كاليد إذا استعملت في النعمة ؛ لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها)) [٥] ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولي لها وهو المنعم مثل : كثرت أيادي فلان عندي وجلّت يداه ونحو ذلك [٦] ، فلا يقال : "اتسعت اليد في البلد " ، أو " اقتنيت يداً " [٧]

• علاقات المجاز المرسل :

علاقات المجاز المرسل كثيرة ، ولقد أشار بهاء الدين السبكي إلى أنها عند بعضهم تزيد على ثلاثين علاقة ، وسأذكر هنا العلاقات التي أشار إليها الطاهر في تفسيره اختصاراً فيما لا يحتاج البحث إليه وأهم هذه العلاقات هي "السببية ، والجزئية ، والإطلاق ، واللازمية ."

---

(١) ينظر المطول صـ٣٤٨ باختصار .

(٢) ينظر السابق صـ٣٤٩ باختصار .

(٣) سيأتي الحديث عن المركب في بحث الاستعارة .

(٤) ينظر علم البيان صـ١٤٥

(٥) ينظر الإيضاح ٧٩/٣ ، ٨٠

(٦) ينظر المطول صـ٣٥٥

(٧) ينظر الإيضاح ٨٠/٣

• السببيـــة :

يقول الخطيب : ((ومنها تسمية المسبب باسم السبب ، كقولهم " رعينا الغيث " أي النبات الــذي سببه الغيث ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ... **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَـــا اعْتَـدَى عَلَيْكُمْ** ... ﴾ [١] سمي جزاء الاعتداء اعتداءً لأنه مسبب عن الاعتداء .)) [٢]

وعن هذه العلاقة يقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿... **أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّـــهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[٣]

((ومعنى الدعاء إلى النار الدعاء إلى أسبابها فإسناد الدعاء إليهم حقيقة عقلية ، ولفظ " النــار " مجاز مرسل أطلق على أسباب الدخول إلى النار فإن ما هم عليه يجر إلى النـــار مــن غـير علم ... وقوله " وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ " الآية أي أن الله يدعوا بهذا الديــن إلــى الجنــة ، ... والدعاء إلى الجنة والمغفرة دعاء لأسبابهما كما تقدم في قوله " يَدْعُونَ إِلَى النَّــارِ " . [٤] ولقــد أشار الشهاب الخفاجي إلى علاقة السببية في الآية يقول :

((وقوله " يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ " أي الكفر فهو مجاز بعلاقة السببية كما في الجنة والمغفرة ...)) [٥]

• **الجزئيـــة :**

وهي تسمية الشيء باسم جزئه . كالعين في الربيئة [٦] لكون الجارحة المخصوصة هي المقصود في كون الرجل ربيئة ، إذ ما عداها لا يغني شيئاً مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله . وعليه قوله تعالى : ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ [٧] أي صل . [٨]

---

(١) من الآية (١٩٤) من سورة البقرة .

(٢) ينظر الإيضاح ٨٣/٣

(٣) من الآية (٢٢١) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٣/٢ باختصار .

(٥) ينظر حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٥٢٢/٢

(٦) أي الرقيب أو الجاسوس .

(٧) الآية (٢) من سورة المزمل .

(٨) ينظر الإيضاح ٨٢/٣

وعن هذه العلاقة ، يقول الطاهر في قوله تعالى : ﴿ ... **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾[١]

((والجعل والأصابع مستعملان في حقيقتهما على قول بعض المفسرين لأن الجعل هنا بمعنى النوط[٢] ، والظرفية لا تقتضي الإحاطة فجعل بعض الأصابع في الأذن هو جعل للإصبع فتمثيل بعض علماء البيان بهذه الآية للمجاز الذي علاقته الجزئية تسامح ولذلك عبر عنه صاحب الكشاف بقوله " هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله : ﴿ **فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ** ﴾[٣] ﴿ **فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾[٤] ومنه قولك مسحت بالمنديل ، ودخلت البلد، وقيل ذلك مجاز في الأصابع ، وقيل مجاز في الجعل ولمن شاء أن يجعله مجازاً في الظرفيه فتكون تبعية لكلمة في))[٥]

وكما يتضح أن الطاهر يميل إلى حمل الآية على الحقيقة تبعاً لبعض المفسرين مبيناً أن الجعل هنا بمعنى النوط أي التعليق بشيء فالظرفية لا تقتضي الإحاطة ، ونقل عن صاحب الكشاف ما يشهد لذلك[٦]

وفي تصوري أن حمل الآية على المجاز أسعد ببلاغة القرآن وأنسب للمقام ، فكما يقول الأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى : ((إن الآية تصور هذا الموقف العصيب وهم يعالجون وضع أصابعهم كاملة في آذانهم ، وأن هذه الصورة المرعوبة الطائشة تطوي وراءها من الإحساس بالهول ، وشيء من ذلك نراه في قولهم قطعت أصابع فلان ، وهم يريدون أنملة من أنامله ، ولكنهم يعبرون بالإصبع يفيدون التهويل والتفظيع ، وهكذا يقولون : قطع السارق ، وهم يريدون يده ، وإنما يوهمون بإيقاع الفعل عليه أن القطع وقع على جملته))[٧]

ويضاف إلى ذلك : إطباق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة "[٨] ولذلك عقب ابن المنير على صاحب الكشاف بقوله : ((فيه إشعار بأنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم فوق

---

(١) من الآية (١٩) من سورة البقرة .
(٢) النَوْط : ناط الشئ ينوطه نوْطاً : علقه . والنَوْط : ما عُلق ، سُمي بالمصدر . اللسان مادة " نوط " ٤٥٧٧/٦
(٣) من الآية (٦) من سورة المائدة .
(٤) من الآية (٣٨) من سورة المائدة .
(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٠/١
(٦) ينظر الكشاف ١١٧/١ وقد اختصر الطاهر كلامه .
(٧) ينظر التصوير البياني صـ٣٦٤
(٨) ينظر الإيضاح ١٦٧/٣

العـادة المعتادة في ذلك فراراً من شدة الصوت))[١] ويقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢]

((المعنى ولا تعطوا الهلاك أيديكم فيأخذكم أخذ الموثق ، وجَعل التهلكة كالآخذ والأسر استعارة بجامع الإحاطة بالملقي ، ويجوز أن تجعل اليد مع هذا مجازاً عن الذات بعلاقة البعضيـــة لأن اليد أهم شيء في النفس في هذا المعنى ... وقيل الباء سببية والأيدي مستعملة في معنى الـذات كناية عن الاختيار والمفعول محذوف أي لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة باختياركم .))[٣]

هذا ولقد ذكر البلاغيون من المفسرين أن قوله تعالى : ((" بِأَيْدِيكُمْ " المراد بها النفـــس مجـــازاً والباء زائدة ، أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم يعنى لا توقعوا أنفسكم فيما تحققون الهلاك به من قولهم أعطي بيده أي انقاد كما يقال في ضده : نزع يده عن الطاعة ...))[٤]

• **الإطـــلاق :**

أشار إلى هذه العلاقة صاحب البرهان عند حديثه عن أنواع المجاز الإفرادي ، ((تحت عنـــوان إطلاق اسم المطلق على المقيد كقوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ ... ﴾[٥] والعاقر لها من قـــوم صالح قدار ، لكنهم لما رَضُوا الفعل نُزِّلوا منزلة الفاعل))[٦]

وعن هذه العلاقة ، يقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ... ﴾[٧]

((والفاء عاطفة " ما فوقها " على " بعوضة " أفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما ، وحقـها أن تفيد الترتيب والتعقيب ولكنها هنا لا تفيد التعقيب وإنما استعملت في معنى التدرج في الرتـب بين مفاعيل " أن يضرب " ولا تفيد " أن ضرب المثل يكون بالبعوضة ويعقبه ضربه بما فوقـها بل المراد بيان المثل بأنه البعوضة وما يتدرج في مراتب القوة زائداً عليها درجة تلي درجــة

---

(١) ينظر حاشية الانتصاف ١/١١٧

(٢) الآية (١٩٥) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢١٣ ، ٢١٤ باختصار .

(٤) ينظر حاشية الشهاب ٢/٤٨٣ ، وحاشية الجمل ١/٢٣٢ ، وروح المعاني ٢/ ٧٨

(٥) من الآية (٧٧) من سورة الأعراف .

(٦) ينظر البرهان ٢/٢٧٠

(٧) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .

فالفاء في مثل هذا مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد لأن الفاء موضوعة للتعقيب الذي هو اتصال خاص ، فاستعملت في مطلق الاتصال ، أو هي مستعارة للتدرج لأنه شبيه بالتعقيب في التأخر في التعقل كما أن التعقيب تأخر في الحصول ومنه " رحم الله المحلقين فالمقصرين ")) (١)

مما تجدر الإشارة إليه أن صاحب المفتاح قد جعل هذه العلاقة " الإطلاق " ، وعلاقة " التقييد " من المرسل الخالي من الفائدة ، وهو ما ذكره عبد القاهر وسماه استعارة غير مفيدة ، وجعله قسماً من الاستعارة ، مثل إطلاق الحافر على القدم . وما هو من هذا الباب بشرط أن لا يكون وراءه إرادة التشبيه ، وقد نبه إلى أن العلاقة هنا أقوى من علاقات المجاز المرسل ، وأنها أقرب إلى الاستعارة مع ضنه بإطلاق الاستعارة عليه)) (٢)

ولذلك رأينا الطاهر في هذه الآية يجوز كون الفاء مستعارة بعد أن ذكر أنها في مثل هذا التركيب مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد ، والطاهر قد انفرد بإشارته إلى المجاز المرسل في الآية حيث ذكر المفسرون أن الفاء عاطفة ترتيبية بحسب الرتبة على كلا معنيي "فما فوقها" من التنزل والترقي (٣)

• **اللازمية :**

وهي كون الشئ بحيث يجب وجوده عند وجود شئ آخر أو يعدم شئ آخر عند عدمه ، وباعتبارها يطلق اسم اللازم على الملزوم ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ** ﴾ (٤) أي المصلين.

فقد أطلق اللازم وهو التسبيح على الملزوم وهو الصلاة لأن التسبيح من لوازمها • (٥)

وعن هذه العلاقة من علاقات المجاز المرسل يقول الطاهر في قوله تعالى :

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٣/١

(٢) ينظر تفصيل ذلك في أسرار البلاغة صـ ٣٠-٤٠٥،٤٠٤،٣٢ ، والإيضاح ٨٩،٨٨/٣ ، والتصوير البياني صـ ٣٥٤

(٣) ينظر الكشاف ٣٦٣/١ ، وحاشية الشهاب ، وروح المعاني في تفسير الآية .

(٤) الآية (١٤٣) من سورة الصافات .

(٥) البرهان ٧٠/٢ ، وبحوث في البيان (بحث المجاز المرسل) صـ ١٥

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

((... ولك أن تجعل الختم والغشاوة مجازًا مرسلاً بعلاقة اللزوم والمراد اتصافهم بـــلازم ذلك وهو أن لا تعقل ولا تحس ، والختم فى اصطلاح الشرع استمرار الضلالة فى نفس الضـــال أو خلق الضلالة ، ومثله الطبع ، والأكنة)) (٢)

ولقد أشار صاحب الكشاف إلى جواز حمل " الختم " فى الآية على الاستعارة أو المجاز العقلـــى وتابعه جمهور المفسرين على ذلك ، وكما يبدوا من كلام الطاهر أن إشارته إلى المجاز المرسل فى الآية رأى خاص به (٣)

• ويقول فى قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (٤)

((وإطلاق الاشتراء هنا مجاز مرسل بعلاقة اللزوم ، أطلق الاشتراء على لازمه الثـــانى وهـــو الحرص على شئ والزهد فى ضده أى حرصوا على الضلالة ، وزهدوا فى الهدى إذ ليس فيما وقع من المنافقين استبدال شئ بشئ إذ لم يكونوا من قبل مهتدين)) (٥)

• وفى قوله تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٦)

((والاستفهام هنا للتوبيخ لعدم استقامة الحمل على الاستفهام الحقيقى فاستعمل فى التوبيخ مجازا بقرينة المقام وهو مجاز مرسل لأن التوبيخ يلازم الاستفهام لأن من ياتى ما يستحق التوبيخ عليه من شأنه أن يتساءل الناس عن ثبوت الفعل له ويتوجهون إليه بالسؤال فينتقل من السؤال إلـــى التوبيخ ويتولد منه معنى التعجيب من حال الموبخ وذلك لأن الحالة التى وبخوا عليـــها حالـــة عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النفس منه فحقيق بكل سامع أن يعجـــب منـــها ، وليس التعجب بلازم لمعنى التوبيخ فى كل موضع بل فى نحو هذا مما كان فيه الموبـــخ عليـــه غريباً غير مألوف من العقلاء فإذا استعمل الاستفهام في لازم واحد فكونه مجاز مرسل ظاهر

---

(١) الآية (٧) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٥٥/١ باختصار .

(٣) ينظر الكشاف ٨٨/١-٩٢ وقد سبق بحث هذه الآية فى " المجاز العقلى " .

(٤) الآية (١٦) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٢٩٨/١

(٦) الآية (٤٤) من سورة البقرة .

وإذا استعمل في لازمين يتولد أحدهما من الآخر أو متقاربين فهو أيضاً مجاز مرسل واحد لأن تعدد اللوازم لا يوجب تعدد العلاقة ولا تكرر الاستعمال لأن المعاني المجازية مستفادة من العلاقة لا من الوضع فتعدد المجازات للفظ واحد أوسع من استعمال المشترك وأيًا ما كان فهو مجاز مرسل على ما اختاره السيد في حاشية المطول في باب الإنشاء علاقته اللزوم وقد تردد في تعيين علاقته التفتازاني وقال إنه مما لم يحم أحد حوله .))[١]

ويلاحظ إشارة الطاهر إلى أن المجاز في الآية مجاز مرسل علاقته اللزوم ، فالتوبيخ لازم للتعجب في الآية لا في كل المواضع بل في المواضع الغريبة غير المألوفة على العقلاء .

كما يلاحظ إشارته إلى أن استعمال الاستفهام في مجازين مجاز مرسل أيضاً ، ولا يوجب ذلك تعدد العلاقة لتعدد اللوازم لأن المعاني المجازية مستفادة من العلاقة لا من الوضع ، كما أن تعدد المجازات للفظ واحد أوسع من المشترك لأنه يتحمل من المعاني أكثر منه ، ثم يشير إلى أن السيد قد أشار إلى هذه العلاقة في حاشية المطول وتوقف فيها التفتازاني [٢]

• وعن اجتماع الاستعمال الحقيقي والمجازي في آية واحدة :

يقول في قوله تعالى : ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ** ﴾ [٣]

((... إن كان الإتيان المسند إلى الله تعالى مستعملاً في معنى مجازي فهو مستعمل بالنسبة للملائكة في معناه الحقيقي فهو من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، وإن كان إسناد الإتيان إلى الله تعالى مجازاً في الإسناد فإسناده إلى الملائكة بطريق العطف حقيقة في الإسناد ولا مانع

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٤٧٤/١ ، ٤٧٥

(٢) يقول التفتازاني عند حديثه عن خروج ألفاظ الاستفهام عن معانيها إلى معان مجازية : "... وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أي نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله " . وعقب السيد على كلامه هذا بقوله : " وذلك لصعوبة بيان علاقة المجاز وكيفية المناسبة المجوزة له ونحن نذكر في هذه المواضع ما يتضح به وجه المجاز فيها ... " ينظر المطول وحاشيته صـ ٢٣٥

(٣) الآية (٢١٠) من سورة البقرة .

من ذلك ؛ لأن المجاز الإسنادي عبارة عن قصد المتكلم بالقرينة ...))[1]

وإشارة الطاهر وإن كانت إلى المجاز في الإسناد إلا أني ذكرت هذه الآية هنا لأجل إشارته إلى استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه [2]

* **وعن الفرق بين الإسناد في المجاز العقلي والمجاز المرسل :**

يقول في قوله تعالى :

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [3]

((وإسناد الختم المستعمل مجازاً إلى الله تعالى للدلالة على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأن لا يرجى زواله كما يقال خلقة في فلان ، والوصف الذي أودعه الله في فلان أو أعطاه فلاناً ، وفرق بين هذا الإسناد وبين الإسناد في المجاز العقلي لأن هذا أريد منه لازم المعنى والمجاز العقلي إنما أسند فيه فعل لغير فاعله لملابسة ، والغالب صحة فرض الاعتبارين فيما يصلح لأحدهما وإنما يرتكب ما يكون أصلح بالمقام .)) [4]

ومن خلال ما سبق يتضح الفرق بين الإسناد في المجازين ، ففي المجاز العقلي يسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي ولذلك يسمى إسناد مجازي أو عقلي ؛ لأن المجاز ليس في اللفظ كالاستعارة والمجاز المرسل بل في الإسناد وهو يدرك بالعقل .

* ومن خلال ما سبق يتضح أن بحث المجاز المرسل عند الطاهر لا يختلف في جملته عن بحثه عند البلاغيين إلا في طريقته التي يتناول بها الآيات ويكشف عما فيها من أسرار بلاغية ، أما عن العلاقات المجازية ، والفرق بين الإسناد في المجاز العقلي والمجاز المرسل وصحة اعتبار أكثر من مجاز في الآية ، وارتكاب ما هو أصلح بالمقام ، فذلك كله مما أشار إليه البلاغيون ، وأنتقل إلى بحث الاستعارة لمعرفة ما أضافه الطاهر من جهود ، وللوقوف على طريقته في الكشف عن البلاغة القرآنية [5]

---

(١) ينظر التحرير ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ باختصار .

(٢) ينظر تفسير الآية في حاشية الشهاب ٥٠٣/٢ وروح المعاني ٩٨/٢ .

(٣) الآية (٧) من سورة البقرة وقد سبق بحثها عند " علاقة اللزوم " .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٥٧/١

(٥) من مواضع المجاز المرسل الآيات (٦٢) ، (١١٩) ، (١٢٤) ، (١٣٠) ، (١٥٠) ، (١٧٨) ، (٢١٣) ، (٢٢٨) .

المبحث الثالث

الاستعـــارة

وأسرارها البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقـــرة)

المبحث الثالث

" الاستعارة وأسرارها "

بحث الاستعارة – هنا – يقتصر على الاستعارات التي أشار إليها الطاهر في تفسيره ، وكان له حولها مناقشات وجهود بلاغية بذلها للكشف عن البلاغة القرآنية ، وهـذا التمـهيد يتضمـن : تعريفها ، وتقسيمها باعتبار الطرفين إلى تصريحية ومكنية ، وتقسيمها باعتبار الخـارج إلـى مرشحة ومجردة ، كذلك الاستعارة التمثيلية ، وتلك أبرز الاستعارات التي كان للطاهر حولـها جهود ومناقشات في سورة البقرة .

• **تعريف الاستعارة :**

عرفت الاستعارة بتعاريف كثيرة عبر تاريخها الطويل[١] ، والتعريـف الـذي اشـتهر عنـد المتأخرين من البيانيين أنها :

((استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنـى المنقـول عنـه والمعنـى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي .))[٢]

• **أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين [٣] :**

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى : تصريحية ، ومكنية .

• **فالتصريحية** : ما صُرِّح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه نحو " أسد " في قولك : " عنـدي أسد يرمى " فإن كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس غير مشتق سواء كان اسم ذات كأسـد ، أم اسم معنى كالقتل للإذلال ، وسواء أكان اسم جنس حقيقة ، أم تأويلاً في الأعلام التي اشـتهرت بنوع من الوصف كحاتم في قولك : " رأيت اليوم حاتماً " تريد رجلاً كامل الجـود . إن كـان شيء مما سبق كانت تصريحية أصلية وإن كان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو حرفاً ذا معنـى أو صفة مشتقة كانت تصريحية تبعية .

• **والمكنية** : هي التي اختفي فيها لفظ المشبه به ، وأكتفي بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه

---

(١) ينظر تعاريف الاستعارة في بحث الاستعارة نشأتها وتطورها للأستاذ الدكتور / محمود شيخون صـ٧٢،٧٤

(٢) ينظر التصوير البياني صـ١٩٣

(٣) للاستعارة باعتبار الطرفين أكثر من تقسيم ، وسأكتفي بالتقسيم الأول لحاجة البحث إليه .

وبقى المشبه كقول أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا المَنيةُ أَنشبَتْ أَظفارَها   أَلفيْتَ كُلَّ تَميمةٍ لا تَنفَعُ

ففي البيت استعارة مكنية ، في لفظ " المنية " حيث شبه الشاعر المنية بالسبع ثم حذف السبع ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار والقرينة هي إثبات الأظفار للمنية .

وقد يسمون الاستعارة بالكناية " التشبيه المضمر " لأن التشبيه يضمر في النفس ، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ، ويدل على ذلك التشبيه المضمر في النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، من غير أن يكون هناك أمر متحقق حساً أو عقلاً ، يطلق عليه اسم ذلك الأمر . فيسمى التشبيه المضمر في النفس"استعارة بالكناية " وسميت بذلك لأنه لم يُصرح به ، بل إنما دل عليه بذكر خواصه ولوازمه"[١]

وإثبات اللازم في الاستعارة المكنية يسمى " استعارة تخيلية " وهي قرينة المكنية ، وسميت تخيلية لأن إثباته للمشبه خيَّل اتحاده مع المشبه به فذلك اللازم حقيقة أي مستعمل فيما وضع له . لظهور أن المراد بالأظفار في قولنا : " أظفار المنية نشبت بالأعداء " حقيقتها ، وإنما التجوز في إثباتها للمنية ، بمعنى أن ذلك الإثبات إثبات الشيء لغير ما هو له ، فليست التخيلية عند الجمهور من المجاز بمعنى الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ، بل هي مجاز عقلي ، والمكنية والتخيلية متلازمتان عند جمهور البلاغيين فالمكنية قرينتها تخيلية " [٢] [٣]

• أقسام الاستعارة باعتبار الخارج :-

تنقسم الاستعارة باعتبار الخارج إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : المطلقة:وهي التي لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام [٤] والمراد المعنوية لا النعت

ثانيها : المجردة:وهي التي قرنت بما يلائم المستعار كقوله تعالى :

﴿ ... فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ... ﴾ [٥]

---

(١) ينظر الإيضاح ١٣٢/٣ ، ١٣٣ وعلم البيان صـ ١٨٦

(٢) ينظر التصوير البياني صـ ٢٥٧ وما بعدها وعلم البيان صـ ١٨٨ ، ١٨٩

(٣) هناك خلاف بين البلاغيين حول تحقيق معنى الاستعارة المكنية والتخيلية ليس هذا محل ذكره ينظر المطول صـ ٣٨١

(٤) أي لم تقترن بصفة ولا تفريع يلائمان المستعار له أو المستعار منه .

(٥) من الآية (١١٢) من سورة النحل .

قال " أذاقها " ولم يقل كساها ؛ فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس كأنه قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف [١] "

ثالثها : المرشحة وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ... ﴾ [٢]

فإنه استعار الاشتراء للاختيار وقفّاه بالربح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار منه .

* **وقد يجتمع الترشيح والتجريد كما في قول زهير :**

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذَّف   له لبدٌ أظفاره لم تُقَلَّم

فقوله " لدى أسدٍ شاكي السلاح " هذا تجريد لأنه وصف بما يلائم المستعار له أعني الرجل الشجاع . وقوله " مقذَّف .·. له لبدٌ أظفاره لم تُقَلَّم " هذا ترشيح لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعني الأسد الحقيقي " [٣]

* والترشيح أبلغ من التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه حتى إنه يوضع الكلام في علو المنزلة وضعه في علو المكان ، كما قال أبو تمام :

وَيَصْعَدُ حَتَى يَظُنَّ الجَهُولُ   أَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ [٤]

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء في مدارج الكمال ثم بنى عليه ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على إنكاره فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه . " [٥]

* **الاستعارة التمثيلية أو المجاز المركب [٦] :**

ذكر الخطيب أن المجاز المركب : ((هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغةً في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه .)) [٧]

---

(١) ينظر الإيضاح ٣/ ١٢١

(٢) من الآية (١٦) من سورة البقرة .

(٣) ينظر المطول صـ ٣٧٨ ، والإيضاح ١٢٢/٣

(٤) من قول أبي تمام في رثاء خالد بن يزيد الشيباني .

(٥) ينظر المطول صـ٣٧٨

(٦) الفرق بين المجاز المرسل والمجاز المركب أن العلاقة في الأول غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي . والثاني العلاقة فيه المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي .

(٧) ينظر الإيضاح ١٢٦/٣

فكل من الطرفين والجامع هيئة منتزعة من متعدد وهذا كما يسمى استعارة تمثيلية يسمى أيضاً مثلاً ...»[١]

فالاستعارة التمثيلية : ((هي ما استعير فيها تركيب لتركيب وكان الجامع فيها هيئة منتزعة من عدة أمور)) [٢]

كأن يقال للمتردد في أمر :((إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى" شبه صورة تردده في ذلك الأمر بصورة تردد من قام ليذهب فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى فاستعمل في الصورة الأولى الكلام الدال على الصورة الثانية ووجه التشبيه وهو الإقدام تارة والإحجام أخرى منتزع من عدة أمور ويسمى هذا المجاز التمثيل على سبيل الاستعارة والتمثيل مطلقاً بدون قولنا على سبيل الاستعارة ...))[٣]

وسيأتي تفصيل القول حول هذا النوع من الاستعارة في بحث الطاهر ، وهذه أبرز الاستعارات التي أشار إليها الطاهر في تفسيره لسورة البقرة قد أوجزت كلام البلاغيين حولها لنقف على الروافد التي أمدت الطاهر في بحثه للاستعارة .

• وإذا انتقلنا إلى تفسير الطاهر نجده قد أولى بحث الاستعارة عناية كبيرة من بين صور البيان خاصة "الاستعارة التمثيلية " فعنايته واهتمامه بها لا يختلف عن عنايته بالتشبيه التمثيلي .

• فعن الاستعارة في قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] يقول :

((... والأكل حقيقته إدخال الطعام إلى المعدة من الفم وهو هنا استعارة للأخذ بقصد الانتفاع دون إرجاع ؛ لأن ذلك الأخذ يشبه الأكل من جميع جهاته ، ولذلك لا يطلق على إحراق مال الغير اسم الأكل ولا يطلق على القرض والوديعة اسم الأكل ، وليس هنا استعارة تمثيلية ؛

---

(١) ينظر شرح الدمنهوري على متن الأخضري المسمى بالجوهر المكنون صـ١٥١

(٢) ينظر الاستعارة نشأتها وتطورها صـ٧٦

(٣) ينظر شرح عقود الجمان صـ٩٧ ، ٩٨

(٤) الآية (١٨٨) من سورة البقرة .

إذ لا مناسبة بين هيئة أخذ مال غيره لنفسه بقصد عدم إرجاعه وهيئة الأكل كما لا يخفى . »[1]

ففي كلام الطاهر إشارة إلى المناسبة بين المستعار له والمستعار منه ، وكما هو معلوم أن العلاقة بين الأمرين في الاستعارة هي المشابهة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي .

* ويقول في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... ﴾ [2]

« والمسمى حقيقته المميز باسم يميزه عما يشابهه في جنسه أو نوعه ، فمنه أسماء الأعلام وأسماء الأجناس ، والمسمى هنا مستعار للمعين المحدود ، وإنما يقصد تحديده بنهاية من الأزمان المعلومة عند الناس ، فشبه ذلك بالتحديد بوضع الاسم بجامع التعيين ؛ إذ لا يمكن تمييزه عن أمثاله إلا بذلك ، فأطلق عليه لفظ التسمية ، ومن قول الفقهاء المهر المسمى . فالمعنى أجل معين بنهايته . » [3]

* وعن الخلاف بين البلاغيين حول نوع الاستعارة في قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [4] يقول :

« فقوله " أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ " رجوع إلى الإخبار عنهم بأن القرآن هدى لهم والإتيان بحرف الاستعلاء تمثيل لحالهم بأن شبهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه ومحاولتهم الزيادة به والسير في طريق الخيرات بهيأة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتمكن من تصريفه والقدرة على إراضته فشبهت حالتهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيهاً ضمنياً دل عليه حرف الاستعلاء لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء ... فتكون كلمة " على " هنا بعض المركب الدال على الهيئة المشبه بها على وجه الإيجاز وأصله أولئك على مطية الهدى فهي تمثيلية تصريحية إلا أن المصرح به بعض المركب الدال لا جميعه .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٨٧/٢

(٢) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٩٩/٣

(٤) الآية (٥) من سورة البقرة .

هكذا قرر كلام الكشاف فيها شارحوه والطيبي ، والتحتاني والتفتازاني والبيضـاوي . وذهـب القزويني في الكشف والسيد الجرجاني إلى أن الاستعارة في الآية تبعية مقيدة بأن شبه التمسـك بالهدى عند المتقين بالتمكن من الدابة للراكب ، وسري التشبيه إلى معنى الحرف وهو علـى ، وجوز السيد وجهاً ثالثاً وهو أن يكون هنا استعارة مكنية مفردة بأن شُبه الهدى بمركوب وحرف الاستعلاء قرينة على ذلك على طريقة السكاكي في رد التبعية إلى المكنية .[١] وقد انتصر سعد الدين لوجه التمثيلية وانتصر السيد الجرجاني لوجه التبعية واشتد السيد في إنكار كونها تمثيلية ورآه جمعاً بين متنافيين لأن انتزاع كل من طرفي التشبيه من أمور متعددة يستلزم تركبه من معان متعددة ، فإذا اعتبر التشبيه هنا مركباً استلزم أن لا يكون معنى " على " ومتعلق معناها مشبهاً به ولا مستعاراً منه تبعاً ولا أصالة ، وأطال في ذلك في حاشـيته للكشـاف وحاشـيته للمطول [٢] كما أطال السعد في حاشية الكشاف وفي المطول [٣] ، وتراشـقا سـهام المناظرة الحادة . ونحن ندخل فى الحكومة بين هذين العلمين بأنه لا نزاع بين الجميع أن في الآية تشبيه أشياء بأشياء على الجملة حاصلة من ثبوت الهدى للمتقين ومن ثبوت الاستعلاء على المركـوب غير أن اختلاف الفريقين هو في تعيين الطريقة الحاصل بها هذا التشبيه فالأكثرون يجعلونـها طريقة التمثيلية بأن يكون تشبيه تلك الأشياء حاصلاً بالانتزاع والتركيب لهيئة ، والسيد يجعلـها طريقة التبعية بأن يكون المشبه والمشبه به هما فردان من تلك الأشياء ويحصـل العلـم ببقيـة الأشياء بواسطة تقييد المفردين المشبه والمشبه به ويجوز طريقة التمثيل وطريقة المكنية .

فينصرف النظر هنا إلى أى الطريقين أرجح اعتباراً وأوفى في البلاغة مقداراً وإلى أن الجمـع بين طريقتي التمثيلية والتبعية هل يعد متناقضاً في اعتبار القواعد البيانية كما زعمه السيد .

---

(١) زاد الطيبي والتفتازاني فجعلا في الآية استعارة تبعية مع التمثيلية قائلين إن مجيء كلمة " على " يعين أن يكون معناه مستعاراً لما يماثله وهو التمكن فتكون هنالك تبعية لا محالة . ينظر التحرير والتنوير ١/٢٤٣

(٢) ينظر حاشية السيد على المطول صـ ٣٩٣- ٣٩٨

(٣) ينظر المطول صـ٣٩١-٣٩٣

تقرر فى علم البيان أن أهله أشد حرصاً على اعتبار تشبيه الهيئة فلا يعدلون عنه إلى المفـرد مهما استقام اعتباره[1] ... وإذا تقرر هذا تبين لديك أن للتشبيه التمثيلى الحظ الأوفى عند أهل البلاغة ووجهه أن من أهم أغراض البلغاء وأولها باب التشبيه وهو أقدم فنونها ، ولا شـك أن التمثيل أخص أنواع التشبيه لأنه تشبيه هيئة بهيئة فهو أوقع فى النفوس وأجلى للمعانى . "

• رأى الطاهر :

" ونحن نجد اعتبار التمثيلية فى الآية أرجح لأنه أوضح وأبلغ وأشهر وأسعد بكلام الكشاف ، أما كونها أوضح فلأن تشبيه التمثيل منزع واضح لا كلفة فيه فيفيد تشبيه مجموع هيئة المتقين فـى اتصافهم بالهدى بهيئة الراكب إلخ بخلاف طريقة التبعيـة فإنـها لا تفيـد إلا تشـبيه التمكـن بالاستعلاء ثم يستفاد ما عدا ذلك بالتقييد . وأما كونها أبلغ فلأن المقام لما سمح بكلا الاعتبـارين باتفاق الفريقين لا جرم كان أولاهما بالاعتبار ما فيه خصوصيات أقوى وأعز . وأمـا كونـها أشهر فلأن التمثيلية متفق عليها بخلاف التبعية . وأما كونه أسعد بكلام الكشاف فلأن ظاهر قوله " مثّل "[2] أنه أراد التمثيل لأن كلام مثله من أهـل هـذه الصناعـة لا تخـرج فيـه اللفظـة الاصطلاحية عن متعارف أهلها إلى أصل المعنى اللغوى .

• تصحيح الجمع بين التمثيلية والتبعية :

" إذا صح أن التمثيلية أرجح فلننقل الكلام إلى تصحيح الجمع بينها وبين التبعية وهـو المجـال الثانى للخلاف بين العلامتين فالسعد والطيبى يجوزان اعتبار التبعية مع التمثيلية فى الآية والسيد يمنع ذلك ويقول إذا كان التشبيه منتزعاً من متعدد فقد انتزع كل جزء فى المشبه من جزئـى

---

(١) ثم نقل الطاهر عن الإمام عبد القاهر ما ذكره فى دلائل الإعجاز حول بيت بشار .

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ∴ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(٢) وقد نقلت كلام الإمام عبد القاهر حول البيت فى التشبيه التمثيلى . ينظر دلائل الإعجاز صـ٤١٤

(٣) ينظر الكشاف ٨٥/١

المشبه به وهو معنى التركيب فكيف يعتبر بعض المشبه به مستعاراً لبعض المشبه فينتقض التركيب .

وهذا الدليل ناظر إلى قول أئمة البلاغة إن أصل مفردات المركب التمثيلى أن تكون مستعملة فى معانيها الحقيقية وإنما المجاز فى جملة المركب أى فى إطلاقه على الهيئة المشبهة ، فكلام السيد وقوف عندها . ولكن التفتازانى لم يرى مانعاً من اعتبار المجاز فى بعض مفردات المركب التمثيلى إذا لم يكن فيه تكلف ، ولعله يرى ذلك فى خصوصيات إعجاز هذه الآية ، ومن شأن البليغ أن لا يفيت ما يقتضيه الحال من الخصوصيات ، وبهذا تفاوتت البلغاء كما تقرر فى مبحث تعريف البلاغة وحد الإعجاز هو الطرف الأعلى للبلاغة الجامع لأقصى الخصوصيات كما بيناه فى موضعه وهو المختار فلما وجد فى الهيئة المشبهة والهيئة المشبهة بها شيئان يصلحان لأن يشبه أحدهما بالآخر تشبيهاً مستقلاً غير داخل فى تشبيه الهيئة كان حق المقام تشبيه التمكن بالاستعلاء وهو تشبيه بديع وأشير إليه بكلمة " على " وأما غير هذين من أجزاء الهيأتين لما لم يحسن تشبيه شئ منها بآخر أُلغى التشبيه فيها إذ لا يحسن تشبيه المتقى بخصوص الراكب ولا الهدى بالمركوب فتكون " على " على هذا الوجه بعضاً من المجاز المركب دليلاً عليه باعتبار ومجازاً مفرداً باعتبار آخر "

• بقية رأى الطاهر :

" والذى اختاره فى هذه الآية أن يكون قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ استعارة تمثيلية مكنية [1] شبهت الحالة بالحالة وحُذف لفظ المشبه به وهو المركب الدال على الركوب كأن يقال راكبين مطية الهدى وأبقى ما يدل على المشبه وهو " أولئك " و " الهدى " ورمز للمركب الدال على المشبه به بشئ من لوازمه وهو لفظ " على " الدال على الركوب عرفاً كما علمتم ، فتكمل لنا فى أقسام

---

(١) ينظر ما ذكره الطاهر حول الاستعارة المكنية فى قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... ﴾ من الآية (٢٧) سورة البقرة .وينظر التحرير والتنوير ١/٣٦٨ ، ٣٦٩

التمثيلية الأقسام الثلاثة : الاستعارة كما فى الاستعارة المفردة فيكون التمثيل منه مجاز مرسل كاستعمال الخبر فى التحسر وفيه استعارة مصرحة " نحو أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى " ومنه مكنية كما فى الآية على رأينا ، ومنه تبعية ... » [١]

* **ويلاحظ من خلال كلام الطاهر ومناقشاته حول الاستعارة فى الآية عدة أمور :**

الأول : أن الكشاف وشارحيه والطيبى والتفتازانى والتحتانى والبيضاوى يرون الاستعارة فى الآية تمثيلية تصريحية ،وجوز التفتازانى والطيبى اعتبار التبعية مع التمثيلية .

الثانى : أن القزوينى والسيد الجرجانى يريان الاستعارة فى الآية تبعية مقيدة وجوز السيد كونها تبعية مكنية ومنع اعتبار التمثيلية فى الآية .

الثالث : تجويز الطاهر الجمع بين القولين ، وتوجيه رأى التفتازانى والسيد حيث إن السيد وقف عند قول أئمة البلاغة فى أن أصل مفردات المركب التمثيلى أن تكون مستعملة فى معانيها الحقيقية وإنما المجاز فى جملة المركب ... والتفتازانى لم ير مانعاً من اعتبار المجاز فى بعض مفردات المركب التمثيلى إذا لم يكن فيه تكلف .

الرابع : يرى الطاهر أن اعتبار التمثيلية فى الآية أرجح لأنه أوضح وأبلغ وأشهر وأسعد بكلام صاحب الكشاف ، ولما تقرر فى علم البيان أن أهله أشد حرصاً على اعتبار الهيئة فلا يعدلون عنه إلى المفرد مهما استقام اعتباره .

الخامس : فيما يتعلق بنوع الاستعارة فى الآية يرى الطاهر أنها تمثيلية مكنية ، وكلامه فى مجمله يدل على ميله إلى قول صاحب الكشاف وشارحيه . وفى تصورى أنه رأى سديد لقوة أدلته ولما فى التمثيل [٢] من خصوصيات لا توجد فى التشبيهات المفردة ، كما أنه أنسب بالمقام وببلاغة القرآن !!

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٤٢/١-٢٤٥ باختصار .

(٢) حيث إن التمثيلية متفق عليها بخلاف التبعية ، والتمثيل منتزع واضح لا كلفة فيه ، كما أنه أسعد بكلام صاحب الكشاف ، أضف إلى ذلك أن حد الإعجاز هو الطرف الأعلى للبلاغة الجامع لأقصى الخصوصيات كما ذكر الطاهر .

السـادس : وهو يتعلق بما بذله الطاهر من جهد ليكشف عن نوع الاستعارة في الآية ، وهـو جهد ظاهر يلمح من خلاله إلمامه بكلام البلاغيين ، وسعة اطلاعه ، ودقة فهمه لأصل كل رأي من الآراء ، وهذه المناقشات القيمة تحل كثير من الإشكالات عند الباحثين اليوم !!

• **وعن اجتماع المكنية مع التبعية :**

يقول في قوله تعالى : ﴿ **... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ...** ﴾[١]

((فقوله ﴿ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ** ﴾ استعارة مكنية إذ شبهت الذلـة والمسـكنة فـي الإحاطة واللزوم بالبيت أو القبة يضربها الساكن ليلزمها وذكر الضرب تخييل لأنه ليس له شبيه في علائق المشبه . ويجوز أن يكون " ضُرِبَتْ " استعارة تبعية وليس ثمة مكنية بأن شبه لـزوم الذلة لهم ولصوقها بلصوق الطين بالحائط ، ومعنى التبعية أن المنظور إليه في التشـبيه هـو الحدث والوصف لا الذات بمعنى أن جريان الاستعارة في الفعل ليس بعنوان كونه تابعاً لفـاعل كما في التخيلية بل بعنوان كونه حدثاً وهو معنى قولهم أجريت في الفعل تبعـاً لجريانـها فـي المصدر وبه يظهر الفرق بين جعل " ضُرِبَتْ " تخييلاً وجعله تبعية وهي طريقة في الآية سلكها الطيبي في شرح الكشاف وخالفه التفتازاني وجعل الضرب استعارة تبعيـة بمعنـى الإحاطـة والشمول سواء كان المشبه به القبة أو الطين وهما احتمالان مقصودان في هذا المقام يشعر بهما البلغاء))[٢]

• ومن خلال كلام الطاهر يتضح الفرق بين جعل قوله تعالى " ضُرِبَتْ " تخييلاً وجعله تبعيـة ففي التبعية[٣] المنظور إليه في التشبيه الحدث والوصف لا الذات ، فجريان الاستعارة في الفعل بعنوان كونه حدثاً . وفي التخيلية بعنوان كونه تابعاً لفاعل .

---

(١) من الآية (٦١) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٥٢٧/١ ، ٥٢٨ باختصار .

(٣) سميت تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى في المصدر ، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه ، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفـاً والأفعال والصفات المشتقة بمعزل أن توصف والمحتمل للاستعارة فيها مصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها " ينظر علـم البيان صـ١٩٢

ولقد أشار الشريف الرضى إلى الاستعارة في الآية ، يقول : ((وقوله سبحانه " وَضُرِبَتْ عَلَيْـهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ " هذه استعارة والمراد بها صفة شمول الذلة لهم ، وإحاطة المسكنة بهم ، كالخباء المضروب على أهله ، والرواق المرفوع لمستظله .))[١]

• **وعن الاستعارة التبعية في قوله تعالى :**

﴿ ... وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٢]

((والإشراب هو جعل الشيء شارباً ، واستعير لجعل الشيء متصلاً بشيء وداخلاً فيه ووجـــه الشبه هو شدة الاتصال والسريان لأن الماء أسرى الأجسام في غيره ولذا يقول الأطباء المـــاء مطية الأغذية والأدوية ومركبها التي تسافر به إلى أقطار البدن فلذلك استعاروا الإشراب لشـــدة التداخل استعارة تبعية قال بعض الشعراء :

تَغَلْـــغَلَ حُبُّ عَثْــمَةَ فِي فُؤَادِي ... فَبَادِيَةُ مَعَ الخَـــافِي يَســـيْرُ

تَغَلْـــغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُـــغْ شَرَابٌ ... وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُـــغْ ســـرُورُ [٣]

ومنه قولهم أشرب الثوب الصبغ ، قال الراغب من عاداتهم إذا أرادوا مخامرة حب وبغــض أن يستعيروا لذلك اسم الشراب • [٤]

وقد اشتهر المعنى المجازي فهجر استعمال الإشراب بمعنى السقي وذكـــر القلـــوب قرينـــة إن إشراب العجل على تقدير مضاف من شأن القلب مثل عبادة العجل أو تأليه العجل ...)) [٥]

ولقد أشار الشريف الرضى إلى الاستعارة في الآية بقوله :

((وهذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل ، فكأنها تشرَّبتْ حُبَّه فمازجها ممازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ . وحذف حب العجل لدلالة الكلام عليــه ، لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرُّب العجل على الحقيقة)) [٦]

• **وعن مجيء التبعية مع التمثيلية** : يقول في قوله تعالى : **﴿ ... يَجْعَلُونَ أَصَابِعَـــهُمْ فِـــي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ ﴾**[٧]

---

(١) ينظر تلخيص البيان في مجازات القرآن صـــ ١١٥ تحقيق أ / محمد عبد الغني حسن ط الحلبي .

(٢) الآية (٩٣) من سورة البقرة .

(٣) ذكر القرطبي البيتين في تفسيره ، وقال إنهما لأحد النابغتين ، الذبياني أو الجعدي في زوجته عثمة كان عتب عليها في بعض الأمر فطلقها وكان محباً لها . ينظر تفسير القرطبي ٤٢٤/١

(٤) ينظر المفردات مادة " شرب " صـــ ٢٦٠

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٦١١/١

(٦) ينظر تلخيص البيان صـــ ١١٧

(٧) من الآية (١٩) من سورة البقرة .

((والإحاطة استعارة للقدرة الكاملة شبهت القدرة التي لا يفوتها المقدور بإحاطة المحيط بالمحاط على طريقة التبعية أو التمثيلية وإن لم يذكر جميع ما يدل على جميع المركب الدال على الهيئة المشبهة بها وقد استعمل هذا الخبر في لازمه وهو أنه لا يفلتهم وأنه يجازيهم على سوء صنعهم))[١]

ويلاحظ من خلال كلام الطاهر حرصه على اعتبار الهيئة في الآية لما ذكره سابقاً من أن أهل البيان أشد حرصاً على اعتبار الهيئة فلا يعدلون عنها إلى المفرد مهما استقام اعتباره !

ولقد أشار صاحب الكشاف إلى المجاز في الآية ولم يوضح نوعه يقول : ((وإحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة .)) [٢]

* ويقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣]

((وقوله " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " بيان لحكمة الصيام وما لأجله شرع ، فهو في قوة المفعول لأجله لـ " كُتب " ، و"لعل " إما مستعارة لمعنى كي استعارة تبعية ، وإما تمثيلية بتشبيه شأن الله ، في إرادته من تشريع الصوم التقوى بحال المرتجي من غيره فعلا ما ، ...)) [٤]

وإشارة الطاهر إلى الاستعارة في الآية لم يسبق إليها فيما أعلم .

* **وعن ترشيح الاستعارة :**

يقول في قوله تعالى :﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾[٥]

((وقد أفاد قوله " فما ربحت تجارتهم " ترشيحاً للاستعارة في " اشتروا " فإن مرجع الترشيح إلى أن يُقَضّي المجاز بما يناسبه سواء كان ذلك الترشيح حقيقة بحيث لا يستفاد منه إلا تقوية المجاز كما تقول له يد طولي أو هو أسد دامي البراثن أم كان الترشيح متميزاً به أو مستعاراً

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٢١/١

(٢) ينظر الكشاف ١١٨/١

(٣) الآية (١٨٣) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١٥٨/٢ باختصار .

(٥) الآية (١٦) من سورة البقرة .

لمعنى آخر هو من ملائمات المجاز الأول سواء حسن مع ذلك استقلاله بالاستعارة كما في هـذه الآية فإن نفي الربح ترشح به اشتروا .))[١]

وكما سبق أن الاستعارة المرشحة هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه كقولك رأيـت أسـداً دامي الأنياب طويل البراثن . وكلام الكشاف حول الترشيح في الآية أصل لكلام الطـاهر [٢] ، ويقول الخطيب : ((وفي هذه الآية استعار الاشتراء للاختيار وقفّاه بالربح والتجارة اللذين همـا من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار منه " المشبه به " [٣]

• **وفي موضع آخر ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُـواْ بِعَـهْدِي أُوفِ بِعَـهْدِكُمْ وَإِيَّـايَ فَارْهَبُونِ ﴾[٤] "والعهد هنا هو الالتزام للغير بمعاملة لا يفرط فيه المعاهد حتى يفسخاه بينـهما واستعير العهد المضاف إلى ضمير الجلالة لقبول ما يكلفهم به من الدين واستعمل مجازاً لقبـول التكاليف والدخول في الدين واستعير المضاف إلى ضمير المخاطبين للوعد على ذلك بـالثواب في الآخرة والنصر في الدنيا فلك أن تجعل كل عهد مجازاً مفرداً اسـتعمل العـهد الأول فـي التكاليف واستعمل العهد الثاني في الوعد بالثواب والنصر ، واستعمل الإيفاء مع كليـهما فـي تحقيق ما التزم به كلا الجانبين مستعاراً من ملائم المشبه به إلى ملائم المشبه ليفيـد ترشـيحاً لاستعارته ولك أن تجعل المجموع استعارة تمثيلية بأن شبه الهيئة الحاصلة من قولهم لما أمرهم الله به وأن لا يقتصروا في العمل ومن وعد الله إياهم على ذلك بالثواب بهيئة المتعاهدين علـى التزام كل منهما بعمل للآخر ووفائه بعهده في عدم الإخلال به فاستعير لـهذه الهيئـة الكـلام المشتمل على قوله " وأوفوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ " وهذا أحسن وبه يتبين وجه اسـتعمال لفـظ العهد الثاني في قوله تعالى : " أُوفِ بِعَهْدِكُمْ " وتقربه المشاكلة " [٥]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٠٠/١

(٢) ينظر الكشاف ١٠٨/١

(٣) ينظر الإيضاح ٣/ ١٢١ ، ١٢٢

(٤) الآية (٤٠) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٤٥٣/١

• وعن اجتماع الترشيح والتجريد معاً ، يقول في قوله تعالى :

﴿ ... وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾[١]

بعد أن بين الاستعارة فى الآية : ((وقد قيل إن قوله " ثمناً " قرينة الاستعارة فى قولـــه : " وَلاَ تَشْتَرُواْ " ووجهه أنه لما أدخلت الباء على الآيات تعين أن الآيات هى ثمن الاشتراء فلمـــا عـــبر بعده بلفظ ثمنا مفعولاً لفعل تشتروا علم السامع أن الأول ليس بثمن حقيقى فعلـــم أن الاشـــتراء مجاز ثم هو يعلم أن المعبر عنه بالثمن بعد ذلك أيضاً ليس بثمن حقيقى تبعاً للعلم بالمجاز فـــى الفعل الناصب له .

وقد قيل إن قوله " ثمناً " تجريد وتقريره مثل تقرير كونه قرينه إذ جعلنا القرينة قوله " بِآيَـــاتِي " ،وقيل هو ترشيح لأن لفظ الثمن من ملائم المشبه به لملائم المشبه على الاحتمالات كلها هـــى تدل على تجهيلهم وتقريعهم .))[٢]

• أما الاستعارة التمثيلية :

فيلاحظ اهتمام الطاهر بها فى بحث الاستعارة ، واهتمامه بالتمثيل البلاغي بشكل عام مـــن أول بحث التشبيه كما سبق ، وهو حريص على اعتبار التمثيلية فى أكثر مواضع الاستعارة إذا لـــم يكن فى اعتبارها تكلف استناداً لما قرره أهل البيان : " من أنه إذا صح اعتبار الهيئة فلا يعدل عنه إلى المفرد مهما استقام التعبير "

ومن هنا كان للطاهر إشارة إلى مواضع لم يسبق إليها في الاستعارة التمثيلية .

• يقول في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِـهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] ((والأظهر عندي أن "شاكر"هنا استعارة تمثيلية شبه شأن الله في جزاء العبد علي الطاعة بحال الشاكر لمن أسدى إليه نعمة وفائدة هذا التمثيل تعجيل

---

(١) من الآية (٤١) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٤٦٥ باختصار شديد .

(٣) الآية (١٥٨) من سورة البقرة .

الثواب وتحقيقه لأن حال المحسن إليه أن يبادر بشكر المحسن ».[1]
والكشف عن الاستعارة التمثيلية في الآية جهد خاص بالطاهر لم يسبق إليه فيما أعلم [2]
ويقول في قوله تعالى :
﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [3]

« والأسباب : جمع سبب وهو الحبل الذي يُمَدُّ ليُرتقى عليه في النخلة أو السطح ، وقوله : " وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ تمثيلية شبهت هيئتهم عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا لأجله مدة حياتهم وقد جاء إبانه في ظنهم فوجدوا عوضه العذاب بحال المرتقى إلى النخلة ليجتني الثمر الذي كد لأجله طول السنة فتقطع به السبب عند ارتقائه فسقط هالكاً فكذلك هؤلاء قد علم كلهم حينئذ أن لا نجاة لهم فحالهم كحال الساقط من علو لا ترجي له سلامه ، **وهي تمثيلية بديعة لأن الهيئة المشبهة تشتمل على سبعة أشياء كل واحد منها يصلح لأن يكون مشبهاً بواحد من الأشياء التي تشتمل عليها الهيئة المشبه بها وهي** : تشبيه المشرك في عبادته الأصنام وإتباع دينها بالمرتقى بجامع السعي ، وتشبيه العبادة وقبول الآلهة منه بالحبل الموصل ، وتشبيه النعيم والثواب بالثمرة في أعلى النخلة لأنها لا يصل لها المرء إلا بعد طول وهو مدة العمر ، وتشبيه العمر بالنخلة في الطول ، وتشبيه الحرمان من الوصول للنعيم بتقطع الحبل ،وتشبيه الخيبة بالبعد عن الثمرة ، وتشبيه الوقوع في العذاب بالسقوط المهلك.وقلما تأتي في التمثيلية صلوحية أجزاء التشبيه المركب فيها لأن تكون تشبيهات مستقلة والوارد في ذلك يكون في أشياء قليلة كقول بشار الذي يُعَدُّ مثالاً في الحسن :

كأنَّ مُثار النَّقْعِ فوق رؤوسنا ∴ وأسيافَنَا ليل تهاوى كَوَاكِبُه

فليس في البيت أكثر من تشبيهات ثلاثة . » [4]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ٦٥

(٢) الآية (١٦٦) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢/٩٧ ، ٩٨

(٤) ينظر في تفسير الآية الكشاف ، وحاشية الشهاب الخفاجي ، وحاشية الجمل ، وأبو السعود ، وحاشية الصاوي ، والمحرر الوجيز ، والخازن ، والبغوي ، وروح المعاني .

وهذا التحليل الدقيق الذي يبرز سر التمثيل وجماله في الآية من إضافات الطاهر فلم أجده لأحد من أصحاب التفاسير البلاغية فيما أعلم !!

كما أنه من المواضع النادرة التي فاق بها القرآن أساليب العرب فقلما تأتي في التمثيلية صلوحية أجزاء التشبيه المركب فيها لأن تكون تشبيهات مستقلة ، وما ورد في بيت بشار السابق لم يتجاوز ثلاثة تشبيهات ، وفي الآية سبعة تشبيهات فهي تمثيلية بديعة

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١]

((وقوله " أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّار " اختار عبد الحكيم أنه استعارة تمثيلية : شبهت الهيئة الحاصلة من أكلهم الرشا بالهيئة المنتزعة من أكلهم النار وأطلق المركب الدال على الهيئة المشبه بها على الهيئة المشبهة .

قلت : ولا يضر كون الهيئة المشبه بها غير محسوسة لأنها هيئة متخيلة كقوله[٢] (أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد) فالمركب الذي من شأنه أن يدل على الهيئة المشبهة أن يقال : أولئك ما يأخذون إلا أخذاً فظيعاً مهلكاً فإن تناولها كتناول النار للأكل فإنه كله هلاك من وقت تناولها باليد إلى حصولها في البطن ، ووجه كون الرشوة مهلكة أن فيها اضمحلال أمر الأمة وذهاب حرمة العلماء والدين فتكون هذه الاستعارة بمنزلة قوله تعالى :

﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ... ﴾[٣] أي على وشك الهلاك والاضمحلال ، والذي يدعو إلى المصير للتمثيلية هو قوله تعالى " في بطونهم " فإن الرشوة لا تأكل في البطن فيتعين أن يكون المركب كله استعارة ، ولو جعلت الاستعارة في خصوص لفظ النار لكان قوله " يأكلون في بطونهم " مستعملاً في المركب الحقيقي ، وهو لا يصح ، ولولا قوله " في بطونهم "

---

(١) الآية (١٧٤) من سورة البقرة .

(٢) البيت لأبي أحمد بن محمد بن الحسن الضبي المعروف بالصنوبري وقبله قوله :

وكأنَّ مُحْمَرَّ الشقيـ ـق إذا تصوَّب أو تصعَّد

ينظر الإيضاح ١٤/٢

(٣) من الآية (١٠٣) من سورة آل عمران .

لأمكن أ ن يقال : إن يأكلون هنا مستعمل حقيقة عرفية في غصب الحق ونحو ذلك))[1] والطاهر يريد أن يوضح أن كون المشبه من الأمور الحسية المتخيلة لا يقدح في التمثيلية . وهذا ما قرره البلاغيون [2]

• ومن خلال ما سبق يتضح الجهد الذي بذله الطاهر في بحث الاستعارة ، فلقد أشار إلى مواضع تركها البلاغيون وخاصة في الاستعارة التمثيلية ، وكذلك مناقشاته القيمة للبلاغيين ، وكشفه عن نوع الاستعارة في الآية الخامسة من سورة البقرة ، كذلك إشارته إلى اجتماع المكنية مع التبعية وترشيح الاستعارة ، واجتماع الترشيح والتجريد معاً ، كما يتضح الجهد الذي بذله في الكشف عن أسرار الاستعارة التمثيلية ومحاولته اعتبار الهيئة في أغلب المواضع من غير تكلف ، كذلك المواضع التي أشار فيها إلى التمثيلية ولم يسبق إليها ، خاصة الآية (١٦٦) التي كشف عما فيها من بداعة التمثيل وأنها من المواضع النادرة التي فاق بها القرآن أساليب العرب حيث اشتملت الهيئة المشبهة على سبعة أشياء كل واحد منها يصلح لأن يكون مشبهاً بواحد من الأشياء التي تشتمل عليها الهيئة المشبه بها . أضف إلى ذلك الطريقة التحليلية الفريدة التي يكشف بها عن أسرار الاستعارة ، وهذه المواضع تمثل المنهج العام الذي يسير عليه الطاهر في بحث الاستعارة ، وهناك مواضع أخرى كثيرة لا تختلف في منهج تحليلها عما سبق وإن اختلفت في نوع الاستعارات فيها. [3]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/١٢٣، ١٢٤

(٢) ينظر الإيضاح ٣/١٤ ، ١٥

(٣) من هذه المواضع الأيات (٣) ،(٩) ، (١٦) ، (١٩) ، (٢٧) ، (١٠٠) ، (١٤٢) ، (١٤٧) ، (١٦٤) ، ٢٠٩ ، (٢٢٩) ، (٢٣٧) ، (٢٥٠) ، (٢٥٥) ، (٢٥٨)

المبحث الرابع

الكناية وأسرارها البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

المبحث الرابع
الكناية وأسرارها

* **تعريف الكناية**[١] :

عرف الخطيب الكناية بأنها « لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ » [٢]
كقولك : " فلان طويل النجاد " أى طويل القامة ، و" فلانة نؤوم الضحى " أى مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها في إصلاح المهمات ... ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم في الضحى من غير تأويل "

* وعن بلاغتها يقول الإمام عبد القاهر : " قد أجمع الجميع على أن " الكناية " أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ..." [٣]

* **أقسامها** :

هناك تقسيمان مشهوران للكناية :

الأول : تقسيم باعتبار المطلوب بالكناية وهى تتمثل في أن المكنى عنه قد يكون صفة ، وقد يكون موصوف ، وقد يكون نسبة .

الثاني : تقسيم باعتبار الوسائط ، وقسمها السكاكى بهذا الاعتبار إلى تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء ، وإشارة [٤]

وسأتناول كل تقسيم على حدة مراعياً أن يكون متصل ببحث الطاهر له .

التقسيم الأول :

١- **الكناية المطلوب بها صفة** : وهى التي يطلب بها صفة من الصفات المعنوية وهي ضربان : قريبة ، وبعيدة، والقريبة تنقسم إلى واضحة وخفية .

أ- **فالقريبة الواضحة** : ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة كقولهم : كناية عن طويل القامة : " طويل نجاده " " وطويل النجاد "

ب. **والقريبة الخفية** : هي التى ينتقل فيها إلى المطلوب من أقرب لوازمه إليه من غير واسطة مع تأمل وإعمال فكر وروية لخفاء التلازم بين المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي . كقولهم كناية

---

(١) للكناية عدة تعاريف منها تعريف الإمام عبد القاهر في دلائل الإعجاز صـ ٦٦ ، وتعريف السكاكى في المفتاح صـ ٢١٩ ، وينظر الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره وبلاغته للأستاذ الدكتور / محمود شيخون صـ ٥-٣٦

(٢) ينظر الإيضاح ٣/ ١٥٠

(٣) ينظر دلائل الإعجاز صـ ٧٠

(٤) ينظر المفتاح صـ ٢٢٤

عن الأبله : " عريض القفا " فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط – فيما يقال – دليل الغباوة .

ب- **البعيدة** : وهي التي يكون الانتقال فيها من المعنى الحقيقي إلى المعنى الكنائي بواسطة واحدة أو أكثر . كقولنا " كثير الرماد " فتنتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر ، ومن كثرة الجمر إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ، ومن كثرة إحراق الحطب إلى كثرة الطبائخ ، ومن كثرة الطبائخ إلى كثرة الأكلة ، ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان ، ثم من كثرة الضيفان إلى أنه جواد كريم "(١)

• ولقد أشار الطاهر إلى هذا القسم من الكناية في مواضع عديدة من سورة البقرة يقول في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٢)

((والمراد " لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ " ما سبقه وهو كناية عن السبق لأن السابق يجيء قبل المسبوق ولما كان كناية عن السبق لم ينافِ طول المدة بين الكتب السابقة والقرآن ولأن اتصال العمل بها بين أممها إلى مجيء القرآن سبقهما مستمر إلى وقت مجيء القرآن فكان سبقهما متصلاً .)) (٣)

• **ويقول في قوله تعالى :**

﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى...** ﴾(٤)

((ومعنى الغاية في"حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ"الكناية عن اليأس من اتباع اليهود والنصارى لشريعة الإسلام يومئذ لأنهم إذا كانوا لا يرضون إلا باتباعه ملتهم فهم لا يتبعون ملته ، ولما كان اتباع النبي ملتهم مستحيلاً كان رضاهم عنه كذلك على حد ﴿ **حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ...** ﴾ (٥)

---

(١) ينظر الإيضاح ١٥٤/٣ ، وعلم البيان صـ ٢٤٦

(٢) الآية (٩٧) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٦٢٢/١

(٤) من الآية (١٢٠) من سورة البقرة .

(٥) من الآية (٤٠) من سورة الأعراف .

وقوله : ﴿ لَا أَعبُدُ مَا تَعبُدُونَ ○ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعبُدُ ﴾[1][2]

• يقول في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3]

((وقوله " وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ " نفي للكلام والمراد به لازم معناه وهو الكناية عن الغضب ، فالمراد نفي كلام التكريم ، ... وقوله " وَلاَ يُزَكِّيهِمْ " أي لا يثني عليهم في ذلك المجمع ، وذلك إشعاراً لهم بأنهم صائرون إلى العذاب ؛ لأنه إذا نفيت التزكية أعقبها الذم والتوبيخ ، فهو كناية عن ذمهم في ذلك الجمع إذ ليس يومئذ سكوت)) [4]

وكلام الطاهر حول الآية في أوله إشارة إلى تعريف الكناية الذي ذكره الخطيب ، فهو يتفق مع الخطيب في تعريفه للكناية ، فيما يبدوا ... ولقد ذكر صاحب الكشاف أن ما في الآية تعريضاً وليس كناية ، والزمخشري أول دارس يضع حداً دقيقاً للفرق بين الكناية والتعريض [5] . يقول في الآية :

((وقوله : " وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ " تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم)) [6]

وفيما يبدوا أنه يصح حمل الآية على الكناية والتعريض لأن هناك كثير من النقاد والبلاغيين قرنوا بينهما ، ولم يظهر في كلامهم فرق بينهما . ومن ناحية أخرى – على رأي من ذهب إلى الفرق بينهما أن التعريض : هو ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق ، سواء أكان المعنى حقيقةً أو مجازاً أو كنايةً . فالتعريض يجامع كل من الحقيقة والمجاز والكناية بأن يقصد باللفظ واحد منها ، ويشار به بدلالة السياق إلى المعنى المعرض به ، فلا يوصف اللفظ بالنسبة للمعنى التعريضي لا بحقيقة ولا مجاز ولا كناية)) [7]

• يقول في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [8]

---

(١) الآيتان (٣،٢) من سورة الكافرين .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٩٣/١
(٣) الآية (١٧٤) من سورة البقرة .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ١٢٤/٢
(٥) سيأتي تفصيل الفرق بين الكناية والتعريض في بحث أقسام الكناية باعتبار الوسائط .
(٦) ينظر الكشاف ٢٤٢/١
(٧) ينظر علم البيان صـ٢٥٨ ، ٢٥٩
(٨) الآية (١٨٤) من سورة البقرة .

((... وعبر عن رمضان بـ " أيام " وهي جمع قلة ووصف بـ " معدودات " وهي جمع قلة أيضاً ، تهويناً لأمره على المكلفين والمعدودات كناية عن القلة ؛ لأن الشيء القليل يعد عداً ؛ ولذلك يقولون : الكثير لا يعد ...))(١)

٢- الكناية المطلوب بها موصوف :

وهي ضربان : القريبة ، والبعيدة .

أ- **القريبة** : وهي أن يتفق في صفة من الصفات من اختصاص بموصوف معين عارض فتذكرها متوصلاً بها إلى ذكر الموصوف . كقول الشاعر :

الضَّاربين بِكل أبيضَ مِخذَمٍ　　والطَّاعِنِينَ مَجامِعَ الأَضغانِ (٢)

فقد كني بمجامع الأضغان عن القلب

ب. **البعيدة** : وهي أن يتكلف المتكلم اختصاصها بأن يضم إلى لازم لازماً وآخر حتى يلفق مجموعاً وصفياً مانعاً من دخول كل ما عدا مقصودة . (٣) ولقد أشار إلى الكناية عن موصوف في مواضع من تفسيره غير أنه لم يشر إلى مسألة القرب والبعد فيها كما لم يشر إلى ذلك في الكناية المطلوب بها صفة .

• **يقول في قوله تعالى :**

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ... ﴾ (٤)

((وقولهم " عَلَىَ شَيْءٍ " نكرة في سياق النفي والشيء الموجود هنا مبالغة أي ليسوا على أمر يعتد به . فالشيء المنفي هو الشيء العرفي أو باعتبار صفة محذوفة ... فالمراد هنا ليست على شيء من الحق وذلك كناية عن عدم صحة ما بين أيديهم من الكتاب الشرعي فكل من الفريقين رمي الآخر بأن ما عنده من الكتاب لاحظ فيه من الخير كما دل عليه قوله بعده " وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ " فإن قوله : "وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ " جملة حالية جيء بها لمزيد التعجب من شأنهم ...)) (٥)

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٦١/٢

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب . والمخذم : القاطع من السيوف ، والأضغان : جمع ضغن وهو الحقد . ينظر الإيضاح ١٥١/٣

(٣) ينظر الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره وبلاغته صـ٧٤ ، ٧٦

(٤) من الآية (١١٣) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٦٧٦/١

*ويقول في قوله تعالى :

﴿ ... وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1]

((وقوله " وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ " قرأه الجمهور بياء الغيبة والضمير للذين أوتوا الكتاب أي عن عملهم بغير ما عملوا فالمراد بما يعملون هذا العمل ونحوه من المكابرة والعناد والسفه . وهذا الخبر كناية عن الوعيد بجزائهم عن سوء صنعهم لأن قول القادر ما أنا بغافل عن المجرم تحقيق لعقابه إذ لا يحول بين القادر وبين الجزاء إلا عدم العلم فلذلك كان وعيداً لهم ووعيدهم يستلزم في المقام الخطابي وعداً للمسلمين لدلالاته على منزلتهم فإن الوعيد إنما ترتب على مخالفتهم للمؤمنين فلا جرم أن سيلزم جزاء للمؤمنين على امتثال تغيير القبلة ، ولأن الذي لا يغفل عن عمل أولئك لا يغفل عن عمل هؤلاء فيجازي كلاً بما يستحق .))[2]

* وفي قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3]

((وقوله " فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ " كناية عن الجزاء لأن علم الله بالكائنات لا يشك فيه . فأريد لازم معناه . وإنما كان لازماً له لأن القادر لا يصده عن الجزاء إلا عدم العلم بما يفعله المحسن أو المسيء .))[4]

• وعن كون الاستعمال الكنائي لا يمنع إرادة المعنى الأصلي :

يقول في قوله تعالى : ﴿ ... فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ... ﴾[5]

((والاستفهام هنا إنكاري أي جعل الكلام في صورة الاستفهام كناية به عن الإنكار لأن الشيء المنكر يستفهم عن حصوله فاستعمال الاستفهام في الإنكار من قبيل الكناية ، ومثله لا يجاب بشيء غالباً لأنه مقصود به الاستعمال . وقد يلاحظ فيه معناه الأصلي فيجاب بجواب لأن الاستعمال الكنائي لا يمنع من إرادة المعنى الأصلي كقوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ○ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾[6][7]

---

(١) من الآية (١٤٤) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٤/٢
(٣) الآية (٢٧٠) من سورة البقرة .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ٦١١/٣
(٥) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .
(٦) الآيتان (١ ، ٢) من سورة النبأ .
(٧) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٥/١

وما ذكره الطاهر من أن الاستعمال الكنائي لا يمنع من إرادة المعنى الأصلي قد سبقت الإشارة إليه عند تعريف الكناية ويقول صاحب المفتاح : ((والفرق بين المجاز والكناية يظهر من وجهين أحدهما : أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يمتنع في قولك " فلان طويل النجاد " أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته ...))[1]

• أما عن القسم الثالث من أقسام الكناية باعتبار المطلوب بها وهو " الكناية التي يتطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف ، وهي التي يسمونها " كناية النسبة " ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه . فلم يشر إليها الطاهر — فيما يبدوا — في سورة البقرة .

• أقسام الكناية باعتبار الوسائط : [2]

سبق أن السكاكي قسم الكناية باعتبار الوسائط إلى :

تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء ، وإشارة . ولقد أشار الطاهر في تفسيره لسورة البقرة إلى التعريض ، والتلويح ، والرمز ، والإيماء .

• التعريض :

قرن كثير من البلاغيين بين الكناية والتعريض ، ولم تبن في كلامهم معالم واضحة لكل منهما ، وكان صاحب الكشاف كما سبق أول دارس يحدد فرقاً دقيقاً بينهما . يقول : ((الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك " طويل النجاد والحمائل " لطويل القامة ، وكثير الرماد للمضياف :

والتعريض : أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : " جئتك لأسلم عليك ، ولأنظر وجهك الكريم " . ولذلك قالوا :

وحَسْبُك بالتَعْرِيضِ مِنى تَقاضياً

وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التلويح ، لأنه يلوح منه ما يريده))[3]

---

(١) ينظر المفتاح صـ٢٢٠ باختصار ، والإيضاح ٣/١٥٠

(٢) نحا ابن الأثير في تقسيم الكناية باعتبار الوسائط نحواً آخر حيث بنى تقسيمه على الوسائط التي توصل إلى المطلوب من القرب والبعد والكثرة ، وجعلها ضربين : الأول : ما يحسن استعماله . والثاني : ما يقبح استعماله وقسم الأول إلى أربعة أقسام : التمثيل ، والإرداف ، والمجاورة ، والكناية التي ليست تمثيلاً ولا إردافاً ولا مجاورة وسيأتي تفصيل التمثيل والإرداف لدخولهما في البحث وإشارة الطاهر إليهما . ينظر الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره صـ ٨١ ، ٨٢ ، وعلم البيان صـ ٢٤٨ —٢٥٥

(٣) ينظر الكشاف ١/٣١١

ويشير السكاكي إلى أقسام الكناية باعتبار الوسائط بقوله :

((الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة ، فإن كانت عُرْضِيَّة فالمناسبة أن تسمى تعريضاً وإلا فإن كان بينهما وبين المكني عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في " كثير الرماد " وأشباهه فالمناسبة أن تسمى تلويحاً ؛ لأن التلويح هو أن تشير لغيرك عن بعد ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمي رمزاً ؛ لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية .))[١][٢]

• **أما عن الإمام الطاهر فلقد أشار إلى معنى للتعريض استخلصه من خلال كلام البلاغيين.**

يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ** ... ﴾ [٣]

((... ثم إن وصف أول يشعر بتقييد النهي بالوصف ولكن قرينة السياق دالة على أنه لا يراد تقييد النهي عن الكفر بحالة أوليتهم في الكفر ، إذ ليس المقصود منه مجرد النهي عن أن يكونوا مبادرين ولا سابقين به غيرهم لقلة جدوى ذلك ولكن المقصود الأهم منه أن يكونوا أول المؤمنين **فأفيد ذلك بطريق الكناية التلويحية** فإن وصف أول أصله السابق غيره في عمل يعمل أو شيء يذكر فالسبق والمبادرة من لوازم معنى الأولى لأنها بعض مدلول اللفظ ولما كان الإيمان والكفر نقيضين إذا انتفى أحدهما ثبت الآخر كان النهي عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم أن يكونوا أول المؤمنين .

والمقصود من النهي توبيخهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كني به عن معنيين من ملزوماته، وهما معنى المبادرة إلى الإسلام ومعنى التوبيخ المكني عنه بالنهي ، فيكون معنى النهي مراداً ولازمه وهو الأمر بالمبادرة بالإيمان مراداً ، فيكون الكلام كناية اجتمع فيها الملزوم واللازم معاً ، فباعتبار اللازم يكون النهي في معنى الأمر فيتأكد

---

(١) ينظر المفتاح صـ ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، والإيضاح ١٦٢/٣

(٢) ينظر في الفرق بين الكناية والتعريض العمدة ٣٠٢/١ ، والطراز صـ١٨٧

(٣) من الآية (٤١) من سورة البقرة .

به الأمــر الذي قبله كأنه قيل ﴿ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ ﴾" وكونوا أول المؤمنين " وباعتبار الملزوم يكون نهياً عن الكفر بعد الأمر بالإيمان فيحصل بذلك غرضان .

وهذه الكناية تعريضية لأن غرض المعنى الكنائى غير غرض المعنى الصريح وهذا هو الــذي استخلصته في تحقيق معنى التعريض وهو أن يكون غرض الحكم المشار إليه به غير غــوض الحكم المصرح به،أو يكون المحكوم له به غير المحكوم له بالتصريح.وهذا مستند إلى الظاهر والتحقيق بين متناثر كلامهم فى التعريض المعروف من الكناية.))[١]

ويلاحظ من خلال كلام الطاهر أن في الآية كنايتين .

الأولى : تلويحية وهي كناية اجتمع فيها اللازم وهو الأمر بالمبادرة إلى الإيمان ، والملزوم وهو النهي عن الكفر بعد الإيمان .

الثانية : تعريضية حيث إن غرض المعنى الكنائي غير غرض المعنى الصريح . والمعنى الذي استخلصه الطاهر في تحقيق معنى التعريض في كلامهم قد زاده وضوحاً عند تفســيره لقولــه تعالى :

﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ... ﴾ [٢]

((وقوله " مَا عَرَّضْتُم بِهِ " ما موصولة ، وما صدقها كلام ، أي كلام عرضتم به لأن التعريض يطلق على ضرب من ضروب المعاني المستفادة من الكلام ، وقد بينه بقوله " مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء " فدل على أن المراد كلام . ومادة فعَّل فيه دالة على الجعل : مثل صورٌ مشتقة من العُرض — بضم العين — وهو الجانب أي جعل كلامه بجانب ، والجانب هو الطرف ، فكأن المتكلم يحيــد بكلامه عن جادة المعنى إلى جانب . ونظير هذا قولهم جنبه ، أي جعله في جانب. **فالتعريض : أن يريد المتكلم من كلامه شيئاً ، غير المدلول عليه بالتركيب وضعاً ، لمناسبة بيــن مدلــول الكلام وبين الشيء المقصود مع قرينة على إرادة المعنى التعريض ، وتلــك المناســبة إمــا ملازمة أو مماثلة ، وذلك كما يقول العافى ، لرجل كريم : " جئت لأسلم عليك ولأنظر وجهك" ،**

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٤٦٠،٤٦١ باختصار .

(٢) من الآية (٢٣٥) من سورة البقرة .

وعبر عن إرادتهم مثل هذا أمية بن أبي الصلت في قوله :

إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفــاهُ عن تَعَرُّضه الثنـــاء

فالمعنى التعريضي في مثل هذا حاصل من الملازمة ، وكقول القائل " المسلم من سلم المسلمون من لسانه " في حضرة من عرف بأذى الناس فالمعنى التعريضي حاصل من علم الناس بمماثلة حال الشخص المقصود للحالة التي ورد فيها معنى الكلام ، ولما كانت المماثلة شبيهة بالملازمة لأن حضور المماثل في الذهن يقارن مثيله صح أن تقول إن المعنى التعريـضي بالنسـبة إلـى المركبات شبيه بالمعنى الكنائي ، بالنسبة إلى دلالة الألفاظ المفردة وإن شئت قلـت : المعنـى التعريضي من قبيل الكناية بالمركب فخص باسم التعريض كما أن المعنى الكنائي من قبيل الكناية باللفظ المفرد.

وعلى هذا فالتعريض من مستتبعات التراكيب ، وهذا هو الملاقي لما درج عليه صاحب الكشاف في هذا المقام ، فالتعريض عنده مغاير للكناية ، من هذه الجهة وإن كان شبيهاً بـهـا ، ولذلـك احتاج إلى الإشارة إلى الفرق بينهما . فالنسبة عنده التباين وأما السـكاكي فقـد جعـل بعـض التعريض من الكناية وهو الأصوب ، فصارت النسبة بينهما العموم والخصوص الوجهي ، وقـد حمل الطيبي والتفتازاني كلام الكشاف على هذا ولا إخاله يتحمله . وإذ قد تبيـن لـك معنـى التعريض ، وعلمت حد الفرق بينه وبين التصريح فأمثلة التعريض والتصريح لا تخفى ، ولكـن فيما أثر من بعض تلك الألفاظ إشكال لا ينبغي الإغضاء عنه في تفسير هذه الآية .))[1]

• ويتضح من خلال كلام الطاهر عدة أمور :

الأول :

تعريفه للتعريض في هذه الآية والموضع السابق ففي الموضع السابق يقول : ((التعريـض أن يكون غرض الحكم المشار إليه به غير غرض الحكم المصرح به أو أن يكون المحكوم له بـه غير المحكوم له بالصريح .))

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/٤٥٠ ، ٤٥١

وفي هذه الآية عرفه بقوله : " أن يريد المتكلم من كلامه شيئاً غير المدلول عليه بالتركيب وضعاً، لمناسبة بين مدلول الكلام وبين الشيء المقصود مع قرينة على إرادة المعنى التعريضي " وإذا ضممنا التعريفين إلى بعضهما اتضح لنا أنهما يتفقان في مضمونهما مع ما ذكره البلاغيون ولذلك نبه الطاهر في التعريف الأول أنه استخلصه من كلامهم . وقد مضى أن تعريف التعريض عند صاحب الكشاف أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره [١] وعند ابن الأثير : اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي [٢] بل من جهة التلويح والإشارة " وعن تسميته تعريضاً قيل لأنه إمالة الكلام إلى عرض أي جانب يدل على المقصود [٣] والأمثلة التي ساقها الطاهر قد ذكرها صاحب الكشاف ، والسيد في حاشيته على المطول ، وابن الأثير في المثل السائر . فيكون جهد الطاهر متمثل في جمع ما تفرق من كلام البلاغيين في تعريف التعريض .

• **الثاني** : إشارته إلى القرينة وقد نص عليها البلاغيون فكما هو معلوم أن التعريض المستعمل على سبيل الكناية أو المجاز لابد فيه من قرينة .

• **الثالث** : كلام الطاهر عن المعنى التعريضي [٤] وأنه من قبيل الكناية بالمركب ، يلمح منه محاولة الطاهر اعتبار التركيب والهيئة في التعريض كما كان يحرص على اعتبارها في بحث التمثيل في التشبيه والاستعارة . فالبلاغيون كابن الأثير والعلوي وإن اعتبروا أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً ؛ فتأتي على هذا تارة وعلى هذا أخرى [٥] إلا أن الطاهر – فيما يبدوا – يسير على ما تقرر عند البيانيين من اعتبار الهيئة في الكلام مهما استقام حمله على اللفظ المفرد ! ولذلك نلمح إشارته إلى أن المعنى التعريضي حاصل من مماثلة حال الشخص المقصود للحالة التي ورد فيها معنى الكلام !

• **الرابع** : ما ذكره الطاهر عن اختلاف الكناية عن التعريض عند صاحب الكشاف،وأن العلاقة بينهما عنده التباين .

---

(١) والزمخشري بهذا التعريف يخالف الإمام عبد القاهر الذي جعل التعريض رديفاً للكناية . ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري صـ ٦٧٦ ، والكناية وإعجاز القرآن للأستاذ الدكتور / محمد أحمد عثمان صـ١٨

(٢) ينظر المثل السائر ٢/ ١٨٦

(٣) ينظر حاشية السيد على المطول صـ ٤١٤

(٤) ينظر الإيضاح ٣/ ١٦٤ ، والمطول صـ ٤١٣ ، ٤١٤

(٥) ينظر المثل السائر ١٨٦/٢ ، والطراز صـ ٢٠٠

وما ذهب إليه صاحب المفتاح من جعل بعض التعريض من الكناية ، ومحاولة الطيبي والتفتازاني حمل كلام صاحب الكشاف على ما ذكره صاحب المفتاح كلام ينم عن فهم سديد .
فالطاهر يرى ما رآه السكاكي من جعل بعض التعريض من الكناية ، ويختلف مع صاحب الكشاف في الفصل الكامل بينهم ويرى أن الطيبي والتفتازاني حملا كلام صاحب الكشاف ما لم يتحمله . وما ذكره الطاهر حول استعمال التعريض على سبيل الكناية والمجاز أولى بالقبول ، وفي ذلك يقول السيد في حاشيته على المطول : ((إن التعريض قد يكون على طريقة الكناية في أن يقصد به المعنيان معاً وقد يكون على طريقة المجاز بأن يقصد به المعنى التعريضي فقط فقولك " آذيتني فستعرف " إذا أردت به تهديد المخاطب وتهديد غيره معاً كان على سبيل الكناية في إرادة المعنيين إلا أن الأول مراد باللفظ والثاني مراد بالسياق وإذا أردت به تهديد غيره فقط وهو المعنى المعرض به كان على سبيل المجاز في أن المقصود هو هذا المعنى وحده ولا يخرج بذلك عن كونه تعريضاً لما مر ...))[1]

• **الخامس :**

يلاحظ ما بذله الطاهر من جهد في وضع تعريف للتعريض مستخلص من كلام البلاغيين ، وحرصه على اعتبار التركيب في هذا التعريض ، ومناقشته للطيبي والتفتازاني ، وترجيحه لرأي صاحب المفتاح ، وهي جهود طيبة تضاف إلى إسهاماته في حل الإشكالات التي تعترض طريق الباحثين .

• **أما عن أسرار التعريض في سورة البقرة :**

فسأشير إلى قليل من هذه المواضع التي كشف عن سر التعريض فيها . يقول في قوله تعالى :

﴿ ... فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ... ﴾[2]

((وإنما عبر في جانب المؤمنين بـ " يعلمون " تعريضاً بأن الكافرين إنما قالوا ما قالوا عناداً ومكابرة وأنهم يعلمون أن ذلك تمثيل أصاب المحز ، كيف وهم أهل اللسان وفرسان البيان ،

---

(١) ينظر حاشية السيد على المطول صـ ٤١٥ ، والمفتاح صـ ٢٢٥

(٢) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .

ولكن شأن المعاند المكابر أن يقول ما لا يعتقد حسداً وعناداً))[١]

• **ويقول عن " التعريض " في قوله تعالى :**

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٢]

((... وفي ذلك الإخبار والربط والتصدي لبيانه مع غرابة هذا التعقيب بمذمتهم إذ قابلوا الإحسان بالكفران وفيه تعريض بغباوتهم إذ صدفوا عن الشكر كأنهم ينكون بالمنعم وهم إنما يوقعون النكاية بأنفسهم ، هذا تفصيل ما يقال على تقدير صاحب الكشاف)) [٣]

• والطاهر هنا يفصل ما أجمله صاحب الكشاف حيث يقول في قوله تعالى : ((وَمَا ظَلَمُونَا " يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ، فاختصر الكلام بحذفه لدلالة " وما ظلمونا " عليه)) [٤] ولا يخفي الفرق بين تفصيل الطاهر وإجمال صاحب الكشاف !

• **ويشير إلى التعريض والإيماء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾** [٥] يقول : ((وقوله " حلالاً طيباً " تعريض بتحميقهم فيما اعنتوا به أنفسهم فحرموها من نعم طيبة افتراءً على الله ، وفيه إيماء إلى علة إباحته في الإسلام وتعليم للمسلمين بأوصاف الأفعال التي هي مناط الحل والتحريم .)) [٦]

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ ... وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ... ﴾ [٧]

((وقوله " إن استطاعوا " تعريض بأنهم لا يستطيعون رد المسلمين عن دينهم ، فموقع هذا الشرط موقع الاحتراس مما قد توهمه الغاية في قوله " حتى يردوكم عن دينكم " ولهذا جاء الشرط بحرف " إن " المشعر بأن شرطه مرجو عدم وقوعه .)) [٨]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٣٦٤
(٢) الآية (٥٧) من سورة البقرة .
(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٥١١
(٤) ينظر الكشاف ١/ ١٧٠ ، ١٧١
(٥) الآية (١٦٨) من سورة البقرة .
(٦) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ١٠٢
(٧) من الآية (١٦٨) من سورة البقرة .
(٨) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ٣٣١

• **أما عن الكناية الرمزية ، فيقول في قوله تعالى :**

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١)

((و " وجه الله " بمعنى الذات وهو حقيقة لغوية تقول : لوجه زيد أي لذاته كما تقدم عند قوله " من أسلم وجه لله " وهو كناية عن عمله فحيث أمرهم باستقبال بيت المقدس فرضاه منوط بالامتثال . وهو أيضاً كناية رمزية عن رضاه بهجرة المؤمنين في سبيل الدين لبلاد الحبشة ثم للمدينة ...)) (٢)

• وقوله تعالى : **﴿ ... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ ... ﴾** (٣)

((ولك أن تجعل قوله " لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ " كناية عن أن يعلم بذلك كل من يعلم على طريق الكناية الرمزية فيذكر علمه وهو يريد علم الناس كما قال إياس بن قبيصة الطائي :

وأقدَمْتُ والخطِّيُّ يَخْطِرُ بيننا لأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُها من شُجاعِها

أراد ليظهر من جبانها من شجاعها فأعلمه أنا ويعلمه الناس فجاء القرآن في هذه الآية ونظائرها على هذا الأسلوب ، ولك أن تجعله كناية عن الجزاء للمتبع والمنقلب كل بما يناسبه ، ولك أن تجعل نعلم مجازاً عن التحيز لنظهر للناس **بقرينة من المسماة بـ " من " الفصلية**)) (٤) (٥)

• ويلاحظ إشارة الطاهر في الآيتين السابقتين إلى الكناية الرمزية ، والرمز ما يشار به إلى المطلوب مع قلة الوسائط وخفاء في الملزوم ، وهو أحد أقسام الكناية باعتبار الوسائط عند السكاكي كما سبق .

• هذا ولقد أشار الطاهر إلى بعض أقسام الكناية باعتبار الوسائط عند ابن الأثير ، وقد سبق أن ابن الأثير جعلها على ضربين : **الأول** : ما يحسن استعماله . **الثاني** : ما يقبح استعماله . **والأول** : ينقسم إلى أربعة أقسام : التمثيل ، والإرداف والمجاورة ، والكناية التي ليست تمثيلاً

---

(١) الآية (١١٥) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٨٣/١

(٣) من الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٣/٢

(٥) من الفصلية سماها بهذا ابن مالك وابن هشام وهي في الحقيقة من فروع معاني من الابتدائية كما استظهره صاحب المغني . ينظر التحرير والتنوير ٢٣/٢

ولا إردافاً ولا مجاورة[١] والطاهر قد أشار إلى أحد فروع الإرداف [٢]، وهو " باب مثل "

* **والإرداف :**

((وهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيترك اللفظ الدال عليه ، ويؤتي بما هو دليل عليه ، ومرادف ، كقولنا : "فلان طويل النجاد " والمراد به طويل القامة إلا أنه لم يتلفظ بطول القامة الذي هو الغرض ، ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة . والفرق بينه وبين الكناية أن في الكناية انتقال من اللازم إلى الملزوم وأما الإرداف فليس فيه الانتقال)) [٣]

أما عن " باب مثل " فهو دقيق الصفة لطيف المغزى ، وقد كانت العرب تأتي بـ " مثل " توكيداً للكلام وتثبيتاً لأمره ، يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح : " مثلي لا يفعل هذا " : أي أنا لا أفعله ، فنفى ذلك عن مثله ، وهو يريد نفيه عن نفسه ، قصداً للمبالغة ، فسلك به طريق الكناية ، لأنه إذا نفاه عمن يماثله أي يشابهه ، فقد نفاه عنه لا محالة " [٤]

* **ويقول الطاهر في قوله تعالى :**

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٥]

((و" مثل " صفة على احتمالي كون " من " بيانية أو زائدة ، وكل هذه الأوجه تقتضي أن المثل سواء كان صفة أو اسماً فهو مثل مقدّر بناء على اعتقادهم وفرضهم ولا يقتضي أن هذا المثل موجود لأن الكلام مسوق مساق التعجيز ... فلفظ " مثل في الآية لا يحتمل أن يكون المراد به الكناية عن المضاف إليه على طريقة قوله تعالى " ليس كمثله شيء " بناء على أن لفظ " مثل كناية عن المضاف إليه إذ لا يستقيم المعنى أن يكون التقدير فأتوا بسورة من القرآن ، أو من محمد خلافاً لمن توهم ذلك من كلام الكشاف وإنما لفظ مثل مستعمل في معناه الصريح إلا أنه أشبه المكنّي به عن نفس المضاف هو إليه من حيث إن المثل هنا على تقدير الإسمية غير متحقق الوجود إلا أن سبب انتفاء تحققه هو كونه مفروضاً فإن كون الأمر للتعجيز يقتضي تعذر

---

(١) ينظر الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره صـ٧٨ نقلاً عن الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لابن الأثير صـ ١٥٧ ، وعلم البيان صـ ٢٤٨ — ٢٥٥ والمثل السائر ١٨٧/٢ — ١٩٧

(٢) يتفرع الإرداف إلى خمسة فروع وهي : فعل المبادهة ، وباب مثل ، وما يأتي جواب الشرط ، والاستثناء من غير موجب ، وليس شيء مما تقدم . الأسلوب الكنائي صـ ٨١ ، ٨٢

(٣) ينظر الكناية وإعجاز القرآن صـ ١٦

(٤) ينظر الأسلوب الكنائي صـ ٨١ ، ٨٢

(٥) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

المأمور ، فليس شيء من هاته الوجوه بمقتضٍ وجود مثل للقران حتى يُراد به بعض الوجـــوه كما توهمه التفتازاني .))[١]

• والطاهر يشير إلى أن " مثل " في الآية ليست كناية إذ لا يستقيم المعنى بأن يكـــون التقدير فأتوا بسورة من القرآن ؛ وذلك لأن مثل في الكناية تعني ذات الشيء ، يقول الرجل إذا نفي عن نفسه القبيح : "مثلي لا يفعل هذا " أي أنا لا أفعله ، فنفي ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصداً للمبالغة ، فسلك به طريق الكناية . [٢]

وإنما هو مستعمل في معناه الصريح أي فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيـــان الغريـب وعلوا الطبقة في حسن النظم [٣] ومن هنا فالأمر للتعجيز وليس كما توهم التفتازاني أن الوجـوه السابق ذكرها تقتضي وجود مثل للقرآن من بعض الوجوه [٣]

• **وعن محاسن الكناية ، يقول الطاهر في قوله تعالى :**

﴿ ... فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ... ﴾ [٥]

((وقوله " أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ " كناية عن الوسخ الشديد والقمل لكراهية التصريـــح بـــالقمل . وكلمة من للابتداء أي أذىً ناشئ عن رأسه ... ومن لطائف القرآن ترك التصريح بمـــا هـــو مرذول من الألفاظ))[٦]

وفي قوله تعالى : **﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَـذَابِ يُذَبِّحُـونَ أَبْنَـاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾** [٧]

((والاستحياء استفعال يدل على الطلب للحياة أى يبقهون أحياءً أو يطلبون حياتهن . ووجه ذكره هنا فى معرض التذكير بما نالهم من المصائب أن هذا الاستحياء للإناث كان المقصد منه خبيثـاً وهو أن يعتدوا على أعراضهن ولا يجدن بداً من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق فيكون قولـــه تعالى : **﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ ﴾** كناية عن استحياء خاص ولذلك أدخل فى الإشارة فى قولـــه

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٨/١ باختصار .

(٢) الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره صـــ ٨١

(٣) ينظر الكشاف ١٢٩/١

(٤) ينظر المطول صـــ ٤٠٦

(٥) من الآية (١٩٦) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٢٢٤/٢ ، ٢٢٥ باختصار .

(٦) الآية (٤٩) من سورة البقرة .

" وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم " ولو كان المراد من الاستحياء ظاهره لما كان وجـه لعطفـه على تلك المصيبة . وقيل إن الاستحياء من الحياء وهو الفرج أى يفتشون النساء فى أرحامـهن ليعرفوا هل بهن حمل وهذا بعيد وأحسن منه أن لو قال إنه كناية كما ذكرنا آنفاً .))[١]

• وإشارة الطاهر إلى أن من لطائف القرآن ترك التصريح بما هو مرذول من الألفـاظ . فيـه إشارة إلى تعريف ابن أبى الأصبع للكناية حيث ذكر فى تعريفها ((إنها عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن ، وعن النجس بالطاهر ، وعن الفاحش بالعفيف ...)) [٢]

ومن خلال ما سبق يتضح الجهد الذى بذله الطاهر فى بحث الكناية والتعريض خاصـة بحـث التعريض حيث وضع الطاهر له تعريفاً استخلصه من كلام البلاغيين ، كذلك محاولته اعتبـار الهيئة فى المعنى التعريضى فى بعض المواضع وهذا الاعتبار مرتبط بمنهج الطاهر الذى سـار عليه من أول علم البيان فى التشبيه التمثيلـى ، والاسـتعارة التمثيليـة ، والمجـاز المرسـل التمثيلى [٣] ، وأخيراً ، فى التعريض حيث حرص على اعتبار الهيئة عملاً بما تقرر من حرص أهل البيان على اعتبار الهيئة فى الكلام مهما استقام الحمل على المفرد !! كذلك ما ذكره حـول الفرق بين الكناية والتعريض عند صاحب الكشاف ، ومناقشته للطيبى والتفتازانى فى تحميلـهم كلام الكشاف ما لا يحتمله ، كذلك اتفاقه مع صاحب المفتاح فى جعل بعـض التعريـض مـن الكناية كما تقدم ، كما يلاحظ إشارته إلى بعض أقسام الكناية باعتبار الوسائط عند ابن الأثـير وهو " باب مثل " من الإرداف إضافة إلى ما ذكره من تقسيم السكاكى للكناية باعتبار الوسائط حيـث

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٤٩٢ ، ٤٩٣

(٢) ينظر الكناية وإعجاز القرآن صـ١٦ نقلاً عن بديع القرآن لابن أبى الأصبع صـ٥٣

(٣) ينظر تفسيره للآية (٢٢٨) وكلامه حول المجاز المرسل التمثيلى .

أشار إلى التعريض ، والرمز ، والإيماء ، والتلويح . ولا يخفى ما بذله من جهد في تحليل الآيات والكشف عن بلاغتها وأسرارها .[1]

---

(١) من مواضع الكناية في سورة البقرة الآيات (١٣) ، (٤٠) (٨٨) ، (١١٨) ، (١٢٤) ، (١٤٠) ، (١٨٧) ، (١٩٧) ، (٢٣٥) ، (٢٥٥) ، (١٨٣) .

ومن مواضع التعريض الآيات (٢٩) ، (٤١) ، (٦٨) ، (١٢٥) ، (١٤٥) ، (٢٠٠) ، (٢٢٠) ، (٢٥٤) ، (٢٧٧) .

الفصل الثالث

البلاغة القرآنية

فى تفسير

التحرير والتنوير

من خلال

مسائل علم البديع

المبحث الأول

المحسنات المعنوية

وأسرارها البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

المبحث الأول
المحسنات المعنوية وأسرارها

• **تعريف البديع ومنزلته البلاغية :**

قبل الشروع فى بحث المحسنات المعنوية التى أشار إليها الطاهر فى تفسيره لابد من تعريف علم البديع حيث إنه من فنون البلاغة التى لاقت ظلماً وإجحافاً من كثير من البلاغيين وذلك من خلال تعريفهم لبلاغة الكلام بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته وفصاحة أجزائه . فالشق الأول من التعريف يشير إلى علم المعانى ، والشق الثانى يشير إلى علم البيان . أما البديع فقد تجاهله التعريف تماماً وعلى ذلك فالكلام الذى تراعى فيه المطابقة ووضوح الدلالة كلام بليغ كما أن الكلام الخالى منهما أو من أحدهما كلام ساقط مهما اشتمل على ألوان البديع وفنونه . وهذا إجحاف لهذا الفن ، ومنزلته البلاغية تتحدد بأمرين :

أولهما : أثر ألوانه وفنونه فى قوة الكلام وبلاغته .

ثانيهما : مدخله فى الإعجاز القرآنى[١]

ولقد أشرت إلى منزلة البديع فى ميدان البحث البلاغى لأن نظرة البلاغيين السابقة إليه انعكست على بحث الطاهر لبعض فنونه كما سيتضح من خلال البحث .

أما عن تعريف البديع فى اصطلاح البلاغيين :

((فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة)) [٢]

فهو من خلال تعريفهم محسن من المحسنات تأتى فى الكلام كالطلاء بعد تمام البناء ، وهذه الوقفة التى وقفها البلاغيون من علم البديع أثرت بعض التأثير على بحث الطاهر من خلال تناوله لبعض فنونه [٣]

وذلك لا يقلل من قيمة الجهد الذى بذله الطاهر فى الكشف عن أثر هذا الفن فى بلاغة القرآن ، فلقد كان له جهود طيبة وإشارات دقيقة إلى بلاغة بعض فنون البديع فمثلاً يقول عن الإدماج :

((وهذا الإدماج من أفانين البلاغة أن يكون مراد البليغ غرضين فيقرن الغرض المسوق له

---

(١) ينظر الفنون البديعية فى دائرة البحث البلاغى للأستاذ الدكتور / فوزى عبد ربه صـ٣٠،٣١ ط مطبعة الحسين الإسلامية – ط أولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م

(٢) ينظر الإيضاح ٣/٤

(٣) وبحث البديع فى جملته – عند الطاهر – أصغر فى الكم من علمى المعانى والبيان كما سيتضح .

الكلام بالغرض الثاني وفيه تظهر مقدرة البليغ إذ يأتي بذلك الاقتران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام ولا تكلف . »(١)

• والمحسنات المعنوية التي أشار إليها الطاهر في تفسيره لسورة البقرة هي : الطباق ، والمقابلة ، والمشاكلة ، والاستطراد ، واللف والنشر ، والتقسيم ،والتفريع ، والإدماج ، والتوجيه ، والاحتباك .

• **الطباق** : عرف الخطيب الطباق أو المطابقة : « بأنها الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة » (٢)

وينقسم إلى طباق الإيجاب ، وطباق السلب :

• **فطباق الإيجاب** : أن تجمع بين معنى وما يقابله ، ويكون إما بلفظين من نوع واحد " اسمين أو فعلين أو حرفين " أو من نوعين مختلفين .

فالإسمين كقوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ... ﴾ (٣)

والفعلين كقوله تعالى : ﴿ ... تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء ... ﴾ (٤)

والحرفين كقوله تعالى : ﴿ ... لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ... ﴾ (٥)

ومثال النوعين المختلفين قوله تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ... ﴾ (٦)

فالطباق في الآية الأولى بين الإسمين " أيقاظاً ، ورقود " وفي الآية الثانية بين الأفعال : " تؤتي ، تنزع ، وتعز ، وتذل " وفي الآية الثالثة بين الحرفين " اللام التي تفيد الملك ، وعلى التي تفيد الاستعلاء " وفي النوعين المختلفين بين " ميتاً وأحييناه " وهما مختلفان الأول اسم والثاني فعل .

• **طباق السلب** : وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي أو أمر ونهي . فالأول كقوله تعالى : **﴿ ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٧)**

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٩/١

(٢) ينظر الإيضاح ٤/٤

(٣) من الآية (١٨) من سورة الكهف .

(٤) من الآية (٢٦) من سورة آل عمران .

(٥) من الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .

(٦) من الآية (١٢٢) من سورة الأنعام .

(٧) من الآية (٦) والآية (٧) كاملة من سورة الروم .

فقد جمع في كلام واحد بين فعلين لمصدر واحد هو " العلم " وأحد الفعلين جاء منفياً والآخر مثبتاً .

ومثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ ... فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ... ﴾[1] فقد جمع في الآية بين فعلين لمصدر واحد وهو الخشية ، وأحدهما أمر والآخر نهي .

وهذا التقسيم للطباق باعتبار اشتمال أحد طرفيه على النفي من عدمه [2]

ولقد أشار الطاهر إلى الطباق في تفسيره لسورة البقرة ولكن إشارته كانت موجزة حيث لم يحدد نوعه أو أثره في السياق .

• يقول في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [3]

« وفي الجمع بين السماء والأرض وبين أحيا وموت طباقان » [4] هكذا فحسب دون أن يحدد نوع الطباق أو أثره في السياق,وهذا على خلاف طريقته التحليلية التي عهدناها في تفسيره خاصة في علمي المعاني والبيان وهو ما يؤكد تأثر الطاهر بنظرة البلاغيين إلى فن البديع على أنه تابع وذيل ، فهذا الموضع السابق يكاد يكون هو الموضع الوحيد للطباق في تفسيره للسورة وفاته مواضع أخرى كثيرة من السورة [5] اشتملت على الطباق بأنواعه المختلفة .

• **المقابلة** : وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب .

ومن صورة : المقابلة بين اثنين واثنتين ، كقوله تعالى :

﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [6]

---

(١) من الآية (٤٤) من سورة المائدة .

(٢) هناك تقسيمان آخران للطباق أحدهما : تقسيمه باعتبار الظهور والخفاء إلى ظاهر وخفي. ثانيهما : تقسيم وسط بين الظهور والخفاء .

(٣) الآية (١٦٤) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٨٣/٢

(٥) منها الآيات (٢٨) ، (٣٣) ، (٧٣) ، (١٠٤) ، (١٠٧) ، (١١٦) ، (١١٧) ، (١٥٤) ، (٢٤٣) ، (٢٥٥) ، (٢٦٠) ، (٢٨٤)

(٦) الآية (٨٢) من سورة التوبة .

فقد قابل بين الضحك والقلة ، وبين البكاء والكثرة .

* **ومنها : المقابلة بين ثلاثة وثلاثة ، كقوله تعالى :**

﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ ... ﴾(١)

فقد قابل بين يحل ، ولهم ، والطيبات من جهة ، وبين يحرم ، وعليهم ، والخبائث من جهة .(٢)

* ولقد أشار الطاهر إلى المقابلة في عدة مواضع ، ولكنه جعل التقابل بين الجمل لا الألفاظ المفردة ، ويبدوا لي أنه يريد أن يعتبر الهيئة والتركيب في المقابلة كما اعتبرها في بحث التمثيل في فن البيان . وهذه الطريقة فيها إثراء لبحث التقابل ، وتوسيع لدائرته .

* يقول في قوله تعالى :

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾(٣)

((الجملة استئناف بياني يفيد جواب سائل يسأل عن سبب كونهم لا يؤمنون ، وموقع هذه الجملة في نظم الكلام مقابل موقع جملة " أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِم " فلهذه الجملة مكانة بين ذم أصحابها بمقدار ما لتلك من المكانة في الثناء على أربابها .))(٤)

وفي كلامه إشارة إلى أثر التقابل في انسجام النظم القرآني !

* ويقول في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٥)

((واعلم أن قوله " فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ " مقابل لقوله " وباءوا بغضب من الله " ولذلك قرن بعند الدالة على العناية والرضى .وقوله " وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ " مقابل " وضربت عليهم الذلة " لأن الذلة ضد العزة فالذليل خائف لأنه يخشى العدوان والقتل والغزو ، وأما العزيز فهو لأنه لا يخشى ضراً ويعلم أن ما قدره له فهو كائن قال تعالى : **﴿ ... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾**(٦) وقوله " وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ " مقابل قوله " والمسكنة " لأن المسكنة تقتضي على صاحبها بالحزن

---

(١) من الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٢) وهناك مقابلة أربعة بأربعة وخمسة بخمسة ينظر الإيضاح ٤/١١-١٣

(٣) الآية (٧) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٥٤

(٥) الآية (٦٢) من سورة البقرة .

(٦) من الآية (٨) من سورة المنافقين .

يقول في الآية السابقة : ((... وانتصاب " صبغة " على أنه مفعول مطلق نائب عن عامله أي صبغنا صبغة الله ... ، أو منصوباً وصفاً لمصدر محذوف دل عليه فعل آمنا بالله والتقدير آمنا إيماناً صبغة الله ، وهذا هو الوجه الملائم لإطلاق صبغة على وجه المشاكلة **وما ادعاه صاحب الكشاف من أنه يفضي إلى تفكيك النظم تهويل لا يعبأ به في الكلام البليغ لأن التئام المعاني والسياق يدفع التفكك** ، وهل الاعتراض والمتعلقات إلا من قبيل الفصل يتفكك بها الألفاظ ولا تؤثر تفككاً في المعاني ... فقوله " صبغة الله " رد على اليهود والنصارى معاً أما اليهود فلأن الصبغة نشأت فيهم ، وأما النصارى فلأنها سنة مستمرة فيهم ، ولما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة المحسوسات على عقائدهم رد عليهم الإسلام الاعتقاد والعمل المشار إليهما بقوله " قولوا آمنا بالله " إلى قوله " ونحن له مسلمون " أي إن كان إيمانكم حاصلاً بصبغة القسيس فإيماننا بصبغ الله وتلوينه أي تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه ، فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة ، **والمشاكلة من المحسنات المعنوية ومرجعها إلى حسن الاستعارة ، وإنما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة ، وإنما سماها العلماء مشاكلة لخفاء التشبيه فأغفلوا أن يسموها استعارة وسموها مشاكلة ، وإنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه . فإن كان اللفظ المقصود مشاكلته مذكوراً فهي المشاكلة** ، ولنا أن نصفها بالمشاكلة التحقيقية كقول ابن الرَّقَعْمَق[1] :

قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طَبخَهُ ... قُلتُ اطبخُوا لي جُبّةً وقميصاً

استعار الطبخ للخياطة لمشاكلة قوله نجد لك طبخة ، وإن كان اللفظ غير مذكور بل معلوماً من السياق سميت مشاكلة تقديرية كقول أبي تمام :

مَنْ مُبْلِغٌ أفناء يَعْرُبَ كُلِّها ... أني بَنيتُ الجارَ قَبلَ المنزلِ

---

(١) هو أحمد بن محمد الأنطاكي ويكنى أبا حامد توفي سنة ٣٩٩ وكني أبا الرقعمق ولم يعرف معناه وهو ليس بعربي ولعلة لفظ هذلي وقبل هذا البيت :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة .·. فأتي رسولهم إلى خصيصاً

وتمني حسن العيش قال تعالى :

﴿ مَنْ عمِلَ صالحًا مِّن ذكرٍ أوْ أنثى وهُوَ مُؤمنٌ فلنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيِّبةً ... ﴾[1]

فالخوف المنفي هو الخوف الناشئ عن الذلة والحزن المنفي هو الناشئ عن المسكنة . »[2]

ويلاحظ هنا أيضاً حرص الطاهر على إظهار ترابط النظم واتصال أجزائه بعضها ببعض .

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ وقالتِ اليهُودُ ليْستِ النَّصارى على شيْءٍ وقالتِ النَّصارى ليْستِ اليهُودُ على شيْءٍ وهُمْ يتْلُونَ الكتابَ كذلِكَ قالَ الَّذينَ لا يعْلمُونَ مثْلَ قوْلِهِمْ فاللَّهُ يحْكُمُ بيْنهُمْ يوْمَ القيامةِ فيما كانُوا فيهِ يخْتلِفُونَ ﴾[3]

« وقوله " كذلِكَ قالَ الَّذينَ لا يعْلمُونَ مثْلَ قوْلِهِمْ " أي يشبه هذا القول قول فريق آخر غير الفريقين وهؤلاء الذين لا يعلمون هم مقابل الذين يتلون الكتاب وأريد بهم مشركو العرب ... »[4][5]

• المشاكلة :

وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ وجَزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثْلُها ... ﴾[6] والمشاكلة في إطلاق لفظ سيئة الثاني على جزاء السيئة .

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ صِبْغةَ اللَّهِ ومَنْ أحْسنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغةً ونحْنُ لهُ عابِدُونَ ﴾[7]

فلقد كان النصارى يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إن ذلك تطهيراً لهم ، وكان يسمون ذلك الفعل صبغة . والشاهد في قوله " صبغة " أي تطهيراً ، فالمؤمنون أمروا أن يقولوا طهرنا الله بالإيمان تطهيراً لا كتطهير النصارى الذي يسمونه صبغاً ، فجيء بلفظ الصبغة مقصوداً به التطهير بالإيمان على سبيل المشاكلة . »[8]

ولقد كان للطاهر جهد طيب في هذا الفن من فنون البديع .

---

(١) من الآية (٩٧) من سورة البقرة .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/٥٤١
(٣) الآية (١١٣) من سورة البقرة .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٧٧
(٥) ينظر تفسيره للآية (١٥٩) ٢/ ٦٥
(٦) من الآية (٤٠) من سورة الشورى .
(٧) الآية (١٣٨) من سورة البقرة .
(٨) ينظر الإيضاح ٤/ ١٨ - ٢٠

استعار البناء للاصطفاء والاختيار لأنه شاكل به بناء المنزل المقدر في الكلام المعلوم من قبل المنزل ، وقوله ((" صبغة الله " من هذا القبيل والتقدير في الآية أدق من بيت أبي تمام وهو مبني على ما هو معلوم من عادة النصارى واليهود بدلالة قوله " كونوا هوداً أو نصارى " على ما يتضمنه من التعميد))[١]

• ويتضح من كلام الطاهر عدة أمور :

الأول : اتفاقه مع البلاغيين حول المشاكلة في الآية ، وأنها مشاكلة تقديرية . غير أن أسلوبه في الكشف عن سر جمالها في الآية يختلف عن أسلوب البلاغيين .

الثاني : اعتراضه على صاحب الكشاف فيما ذهب إليه من أن إعراب " صبغة " على أنه بدل من " ملة إبراهيم " أو نصبه على الإغراء يؤدي إلى تفكيك النظم [٢] يراه الطاهر تعليل في غير محله لأن التئام المعاني والسياق يدفع التفكك كما في الاعتراض والمتعلقات فهي من قبيل الفصل في اللفظ مع الارتباط في المعنى . وهو كلام وجيه يبرز دور النظم وأهميته في ربط المعاني !

الثالث : فيما يتعلق بالعلاقة بين المشاكلة والاستعارة : فمما تجدر الإشارة إليه أن هناك خلاف بين البلاغيين حول المشاكلة هل هي من قبيل الحقيقة أو من المجاز أو هي واسطة بينهما ؟ وخروجها من الحقيقة لا جدال فيه ، ودخولها في المجاز أمر لا جدال فيه أيضاً ، فتتبع أمثلة المشاكلة وأساليبها يبرز لنا كثيراً من علاقات المجاز كالمشابهة وغيرها من علاقات المجاز المرسل [٣] ، والآية التي معنا تدخل في المجاز وعلاقته المشابهة فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة فبينها وبين الاستعارة علاقة وثيقة تجعلها باعث على الاستعارة في الآية ، وهذا يدل على أن المشاكلة كفن من فنون البديع وثيق الصلة بالاستعارة من علم البيان فكما يقول الطاهر " أن العلماء سموها مشاكلة لخفاء وجه التشبيه وأغفلوا أن يسموها استعارة " وعن أثر هذه المشاكلة في نظم الآية يقول

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٧٤٢ - ٧٤٥ باختصار .

(٢) ينظر الكشاف ١/ ٢٢٢ حيث يقول : " وقوله تعالى " ونحن له عابدون " عطف على " آمنا بالله " . وهذا العطف يرد على قول من زعم أن " صبغة الله " بدل من " ملة إبراهيم " أو نصب على الإغراء بمعنى : عليكم صبغة الله ، ولما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه ، وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام . "

(٣) ينظر الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي صـ ١٤٨ باختصار .

« إن المشاكلة زادت المناسبة بين الآية السابقة والآية التي معنا فهما تحذيـران مـن أمرين محرمين » ويلمح أن الطاهر ربط التقابل والمشاكلة بالنظم ، وهذا الربط تقديراً لـدور هذين الفنيين من فنون البديع وبيان لأثرهما في نظم القرآن وبلاغته ، وفي هذا رد على من يجعلون البديع وفنونه ذيلاً من ذيول البلاغة !

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[1]

« ... والعدوان هنا مصدر عدا بمعنى وثب وقاتل أي فلا هجوم عليهم ، وإما مصدر عدا ظلم كاعتدى فتكون تسميته عدواناً مشاكلة لقوله " على الظالمين " كما سمي جزاء السيئة بالسوء سيئة . وهذه المشاكلة تقديرية . » [2]

ولقد أشار صاحب الكشاف إلى المشاكلة في الآية ولم يحدد نوعها [3] [4]

• **الاستطراد :**

وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني . كقوله تعالى : **﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾** [5]

قال الزمخشري : « هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعار بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى » [6]

• ولقد أشار الطاهر إلى هذا الفن من فنون البديع في مواضع كثيرة من سورة البقرة ، وكانت إشارته في بعضها إشارات مقتضبة موجزة ، وفي بعضها الآخر مفصلة تكشف عن أثره في بلاغة القرآن .

---

(١) الآية (١٩٣) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢٠٩

(٣) ينظر الكشاف ١/٢٦٣

(٤) ينظر تفسير الطاهر للآية (١٤٣) وما فيها من المشاكلة .

(٥) الآية (٢٦) من سورة الأعراف .

(٦) ينظر الكشاف ٢/ ٩٣ والإيضاح ٤/ ٢٠ ، ٢١

• **يقول في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾**(١)

((وقوله " كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ " استطراد للإنحاء على المشركين فيما قابلوا به الدعوة الإسلامية أي قالوا للمسلمين مقالة أهل الكتابين بعضهم لبعض وقد حكي القرآن مقالتهم في قوله :

﴿ ... إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ... ﴾ (٢) (٣)

• **وعن مجيء الاعتراض مع الاستطراد يقول في قوله تعالى :**

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

((جملة معترضة بين جملة " ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب " إلخ ، وبين جملة " ولكل وجهة " اعتراض استطراد بمناسبة ذكر مطاعن أهل الكتاب في القبلة الإسلامية ، فإن طعنهم كان عن مكابرة مع علمهم بأن القبلة الإسلامية حق كما دل عليه قوله " وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم " فاستُطرد بأن طعنهم في القبلة الإسلامية ما هو إلا من مجموع طعنهم في الإسلام وفي الإسلام وفي النبي ﷺ ، والدليل على الاستطراد قوله بعده " ولكل وجهة هو موليها " فقد عاد الكلام إلى استقبال القبلة)) (٥)

• **ويشير إلى طريقة في الخطابة استخدمها القرآن ، فيقول في قوله تعالى :**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ (٦)

((فبعد أن أنحي القرآن على المشركين بقلة وفائهم لملة إبراهيم ووصاياه ، وبعد التنويه بإبراهيم وبالكعبة واستقبالها وتخلل ذلك رد ما صدر من اليهود من إنكار استقبال الكعبة إلى

---

(١) الآية (١١٣) من سورة البقرة .

(٢) من الآية (٩١) من سورة الأنعام .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٦٧٧/١

(٤) الآية (١٤٦) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣٩/٢

(٦) الآية (١٥٩) من سورة البقرة .

قوله " وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم الحق وهم يعلمون " (يريد علماءهم) ثم عقب ذلك بتكملة فضائل الكعبة وشعائرها ، فلما تم جميع ذلك عطف الكلام إلى تفصيل ما رماهم به إجمالاً في قوله " وإن فريقاً منهم " فقال " إن الذين يكتمون " المقصود خفة وتقصير الاعتراض والاستطراد الواقعين في أثنائه ثم الرجوع إلى ما يهم الرجوع إليه من تفصيل استطراد أو اعتراض تخلل الغرض المقصود .)) [١]

وهذه الطريقة التي أشار إليها الطاهر لم يسبقه إليها أحد من البلاغيين فيما أعلم ، وفيها تكثير لفوائد الاستطراد وربطاً له بنظرية النظم !

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [٢] " جملة " وَقَاتِلُواْ " معطوفة على جملة " وليس البر " الخ ، وهو استطراد دعا إليه استعداد النبي ﷺ لعمرة القضاء سنة ست [٣] وتوقع المسلمين غدر المشركين بالعهد ، وهو قتال متوقع لقصد الدفاع لقوله " الذين يقاتلونكم " [٤] ويلاحظ من خلال ما سبق حرص الطاهر على إظهار أثر الاستطراد في نظم القرآن ، وهذه هي بعض المواضع التي تمثل منهجه البلاغي في الكشف عن أثر هذا الفن من فنون البديع في بلاغة القرآن ، وهناك مواضع أخرى اكتفى الطاهر بالإشارة إلى أن فيها استطراداً دون أن يبين أثره في السياق [٥]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٦٦/٢ باختصار .

(٢) الآية (١٩٠) من سورة البقرة .

(٣) عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة ينظر صحيح البخارى بشرح العسقلاني ٥٦٥/٥ وصحيح مسلم بشرح النووي ٤٧٠/٤ ، وزاد المعاد ٣٩٩/١

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ١٩٩ ، ٢٠٠

(٥) من هذه المواضع الآيات (٢٩) ، (٨٣) ، (١١٤) ، (١٢٤) ، (١٩٦) ، (٢٠٧) .

• **اللـــف والنشــر :**

وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه .

فالأول : أي ذكر متعدد على جهة التفصيل ثم ما لكل واحد الخ

– ضربان : لأن النشر إما على ترتيب اللف ، كقوله تعالى :

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾[١]

وقد سلك في الآية طريقة اللف والنشر المعكوس فيعود " لتسكنوا فيه " إلى الليـــل ، ويعـود " ولتبتغوا من فضله " إلى النهار ، والتقدير : ولتبتغوا من فضله فيه ، فحذف الضميـر وجاره إيجازاً اعتماداً على المقابلة .

– وإما على غير ترتيبه ، كقول ابن حيوس :[٢]

كيف أسلوا وأنت حقفٌ وغصنٌ ... وغزالٌ لحظاً وقداً وردفاً

فاللحظ للغزال ، والقد للغصن ، والردف للحقف ، وهو النقاء من الرمل شبه به الكفل في العظم والاستدارة ، وهذا على غير ترتيب اللف .[٣]

والثاني : وهو ذكر متعدد على جهة الإجمال ثم ما لكل إليه الخ كقوله تعالى :

﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ... ﴾[٤] ((فإن الضمير في "قـالوا " لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا مـن كـان هوداً ، والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصاري ، فلف بين القولين ثقة بأن يرد إلى كل فريق قوله ، وأمناً من الإلباس ، لما علم من التعادي بيـن الفريقيـن وتضليل كـل منـهما لصاحبه))[٥]

• **ولقد أشار الطاهر إلى اللف والنشر المعكوس بقول في قوله تعالى :**

﴿ ... يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين ﴾[٦]

---

(١) الآية (٧٣) من سورة القصص .

(٢) هو أبو الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس . والحقف : مجتمع الرمل إذا عظم واستدار والردف : العجيزة .

(٣) ينظر الإيضاح ٤/ ٣٠ ، والمطول صـ ٤٢٦

(٤) من الآية (١١١) من سورة البقرة .

(٥) ينظر الإيضاح ٤/٣٠ ، ٣١

(٦) من الآية (٢٦) من سورة البقرة .

((وهذه الجملة بيان وتفسير للجملتين المصدرتين بأما[١] على طريقة النشر المعكوس لأن معنى هاتين الجملتين قد اشتمل عليهما معنى الجملتين السالفتين إجمالاً فإن علم المؤمنين أنه الحق من ربهم هدى ،وقول الكافرين " ماذا أراد الله " الخ ضلال ...)) [٢]

*** وعن اللف والنشر الإجمالي ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٣]

((وقد جعل القزويني في تلخيص المفتاح هاته الآية من قبيل اللف والنشر الإجمالي [٤] أخذاً من قول صاحب الكشاف " فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمناً من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين " [٥] فقوله فلف بين القولين أراد به اللف الذى هو لقب للمحسن البديعي المسمى اللف والنشر ولذلك تطلبوا لهذا اللف نشراً وتصويراً للف في الآية من قوله " قالوا " مع ما بينه وهو لف إجمالي بينه نشره الآتي بعده ولذلك لقبوه اللف الإجمالي ، ثم وقع نشر هذا اللف بقوله " إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى "فعلم من حرف " أو " توزيع النشر إلى ما يليق بكل فريق من الفريقين . وقال التفتازاني في شرح المفتاح [٦] جري الاستعمال الإجمالي أن يذكر نشره بكلمة أو .)) [٧]

*** هذا ولقد أغفل الطاهر موضع لطيف من مواضع اللف في سورة البقرة ، وأشار إليه صاحب الكشاف ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ ... يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٨]

((قوله " وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " علة للترخيص والتيسير ، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان .))[٩]

---

(١) وهما قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلاً ... ﴾

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٥/١

(٣) الآية (١١١) من سورة البقرة .

(٤) ينظر الإيضاح ٤/ ٣٠ وقد سبق ذكر ذلك .

(٥) ينظر الكشاف ٢٠٣/١

(٦) ينظر المطول صـ ٤٢٦

(٧) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٦٧٣

(٨) من الآية (١٨٥) من سورة البقرة .

(٩) ينظر الكشاف ١/ ٢٥٤

كما أشار إليه التفتازاني بقوله : ((وههنا نوع آخر من اللف لطيف المسلك وهو أن يذكر متعدد على التفصيل ثم يذكر ما لكل ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الإجمال ملفوظاً أو مقدراً فيقع النشر وذلك كما تقول : ضربت زيداً وأعطيت عمراً وخرجت من بلد كذا للتأديب والإكرام ومخافة الشر فعلت ذلك وعليه قوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... الآية ﴾[1]

• وفيما يبدوا أن الطاهر أغفل هذا الموضع مع علمه به ، والذي يؤكد ذلك أنه وقف على كلام صاحب الكشاف ، والخطيب والتفتازاني حول اللف والنشر كما ذكر في الآية قبل السابقة ، وذلك – فيما يبدوا – يرجع إلى أحد أمرين :

الأول : أن الطاهر يرى أن الآية السابقة ليست من اللف والنشر .

الثاني : اتفاق الطاهر مع البلاغيين فى أن اللف والنشر محسن من المحسنات البديعية وبالتالى لم يهتم به ، ويبدوا ذلك واضحاً من خلال كلامه ، فكلامه فى جملته لا يخرج عما ذكره البلاغيون ، وعلى ذلك يكون الطاهر قد تأثر بالبلاغين فى نظرتهم إلى هذا الفن على أنه محسن من المحسنات فحسب ، ويكون صاحب الكشاف قد كشف عن دقة مسلكه وتبعه على ذلك صاحب المطول فلله درهما !!

• **التقسيم** :

وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين [2]

ومنه قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3]

((حيث جمع بين النفسين فى حكم التوفى ثم فرق بين جهتى التوفى بالحكم بالإمساك والإرسال أى الله يتوفى الأنفس التى تقبض والتى لم تقبض فيمسك الأولى ويرسل الأخرى)) [4]

---

(١) ينظر المطول صـ٤٢٧ ، وينظر التحرير والتنوير ٢/١٧٥ حيث لم يشر الطاهر إلى ذلك .

(٢) يخرج بهذا القيد اللف والنشر لوجوب عدم التعيين كما سبق .

(٣) الآية (٤٢) من سورة الزمر .

(٤) ينظر شرح عقود الجمان صـ١١٩،١٢٠

• ولقد أشار الطاهر إلى التقسيم وإلى التوزيع الذى هو ضرب منه ، يقول فى قولـه تعـالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُـمْ صَادِقِينَ ﴾ (١)

« ... ومقول القول مختلف باختلاف القائل فاليهود قالت لن يدخل الجنة إلا من كان هـوداً ، والنصارى قالت لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فجمع القرآن بين قوليهما علـى طريقـة الإيجاز بجمع ما اشتركا فيه وهو نفي دخول الجنة عن المستثنى منه المحذوف لأجـل تفريـع الاستثناء . ثم جاء بعده تفريق ما اختص به كل فريق وهو قوله " هوداً أو نصارى " فكلمة " أو " من كلام الحاكى فى حكايته وليست من الكلام المحكى فأو هنا لتقسيم القولين ليرجع السـامع كل قول إلى قائله ... " ويقول بعد ذلك : " ... فأوهنا للتوزيع وهو ضرب من التقسيم الـذي هو من فروع كونها لأحد الشيئين » (٢)

والطاهر قد ذكر في هذه الآية أكثر من فن من فنون البديع فلقد سبق أن ذكر هذه الآية في اللف والنشر ، ثم هو يجعلها هنا من التقسيم وكأنه لا يرى فرقاً بين اللف والنشر والتقسيم ولعله يرى ما رآه الخطيب من خلال تعريف السكاكي للتقسيم بأنه : " أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثـم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك " (٣) يقول الخطيب : " وهذا يقتضي أن يكـون التقسيم أعم من اللف والنشر " (٤) عند السكاكي ، وعقب صاحب المطول بقوله : " ولقـائل أن يقول إن ذكر الإضافة مغن عن هذا القيد إذ ليس في اللف والنشر إضافة ما لكل إليه بل يذكـر فيه ما لكل حتى يضيفه السامع إليه ويرده عليه فليتأمل فإنه دقيق " (٥) فالتفتازاني يرى أن هناك فرقاً بين اللف والنشر والتقسيم قد أهمله السكاكي حيث إن اللف والنشر إضافة ما لكل من غير

---

(١) الآية (١١) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٧٣/١

(٣) ينظر المفتاح صـ ٢٣٢

(٤) ينظر الإيضاح ٤/ ٣٣

(٥) ينظر المطول صـ ٤٢٨

تعيين ، أما التقسيم فتكون إضافة ما لكل على التعيين وهذا ما أهمله السكاكي من وجهة نظر صاحب المطول . ويمكن أن يستخلص من تعريف السكاكي أنه يرى فرقاً بينهما كما سبق في توجيه التفتازاني لتعريفه !

• أما عن إشارته إلى الجمع مع التفريق والتقسيم : فلقد ذكر صاحب الإيضاح أن الجمع مع التفريق والتقسيم قد تأتي في الكلام[١] ولم يذكر صاحب الكشاف في الآية السابقة غير اللف والنشر[٢] وأشار الشهاب والألوسي إلى التقسيم في الآية[٣]

• ويقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ ... ﴾[٤]

((... و" أو " في قوله " أو نصارى " تقسيم بعد الجمع لأن السامع يرد كلا إلى من قاله ...))[٥]

وهذه الفنون البديعية التي أشار إليها الطاهر لها أثر في النظم القرآني . يقول عنه العلوي :

((وهذه الأمور (أي الجمع والتفريق والتقسيم) إذا وقعت في الكلام بلغ مبلغاً عظيماً في حسن التأليف وإعطاء الفصاحة حقها))[٦]

وكما يتضح أن بحث التقسيم والجمع والتفريق مع التقسيم لا تختلف في بحثها عند الطاهر عن بحثها عند البلاغيين[٧]

• **المبالغة :** وهي أن يُدَّعَى لوصف بلوغه في الشدة والضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف وتنحصر في التبليغ ، والإغراق ، والغلو ، وتفصيل هذه الأقسام لا حاجة إليه هنا لأمرين :

الأول : أن الطاهر لم يشر إليها إلا في موضع واحد من سورة البقرة فيما أعلم ، كما أنه لم يحدد نوع هذه المبالغة .

الثاني : الخلاف القائم بين البلاغيين حول إطلاق المبالغة على بعض أساليب القرآن ، فكما هو معلوم أن بعض البلاغيين ذهب إلى وقوع هذا اللون البديعي

---

(١) تأتي الثلاثة في الكلام على هذا الترتيب فيكون أولها : الجمع ، وثانيها : التفريق ، وثالثها : التقسيم ، وهو ما أشار إليه الطاهر في تفسير الآية . ينظر الإيضاح ٤/ ٣٤ ، ٣٥

(٢) ينظر الكشاف ١/ ٢٠٣

(٣) ينظر حاشية الشهاب الخفاجي ٢/ ٢٦٣ ، وروح المعاني ١/ ٣٥٩

(٤) من الآية (١٣٥) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٧٣٦

(٦) ينظر الطراز صـ ٣٦٦

(٧) ينظر تفسيره للآيتين (٨٣) ، (٢٥٣)

في بعض أساليب القرآن[١] منهم أبي هلال العسكري ، والباقلاني ، والخطيب ،وتابعهم شراح التلخيص [٢] ولم يرض بعض الشراح عن هذا التعبير ، وليس هذا محل ذكر الخلاف بين البلاغيين ، فالقرآن كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" «وإذا كان بإمكاننا أن نطلق هذا اللون من البديع على بعض الأساليب الشعرية فذلك أمر مقبول على رأى من يقبلها في الأساليب الشعرية ؛ حيث إن الشعر مجال فسيح لخيال الشعراء ، ويقولون أجود الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ فيه » [٣] وهذا الخلاف السابق حول وقوع المبالغة في القرآن الكريم . أما عن المبالغة كلون من ألوان البديع فمن البلاغيين من أجازها مطلقاً ، ومنهم من منعها مطلقاً ، ومنهم من توسط بين الأمرين فقبل بعض أنواعها ورفض بعضها الآخر .

- ويقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ ... وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾[٤]

« ... وإنما جعل حبهم العجل إشراباً لهم للإشارة إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربهم إياه كقولهم أُولِع بكذا وشُغِفَ ... وإسناد الإشراب إلى ضمير ذواتهم ثم توضيحه بقوله " في قلوبهم " مبالغة وذلك مثل ما يقع في بدل الاشتمال وما يقع في تمييز النسبة . وقريب منه قوله تعالى : **﴿ ... إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا... ﴾** [٥] وليس هو مثل ما هنا لأن الأكل متمحض لكونه منحصراً في البطن بخلاف الإشراب فلا اختصاص له بالقلوب » [٦]

وكما يلاحظ أن الطاهر لم يحدد نوع المبالغة في الآية ، ولقد أشار إلى هذه المبالغة بعد أن أجرى الاستعارة في الآية وبين أنها استعارة تبعية حيث استعار الإشراب لشدة التداخل .

---

(١) وهم يقصدون بها المبالغة المقبولة كقول صاحب الإيضاح في قوله تعالى : " يكاد زيتها يضيء ... " إنها من الغلو المقبول حيث أدخل عليها ما يقربها إلى الصحة . ينظر الإيضاح ٤/ ٤١

(٢) ينظر الصناعتين صـ ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وإعجاز القرآن صـ ٦٣ ، وشروح التلخيص صـ ٣٦٢/٤ ، والإيضاح ٤/ ٤١ ، ٤٢ ، والطراز صـ ٤٥٨ ، ٤٥٩

(٣) ينظر الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي صـ ١٢٦، ١٢٩ ، والبديع المصطلح والقيمة للدكتور / عبد الواحد علام صـ ٩٧ ، ١٠٨ ط مكتبة الشباب ١٩٩٢ م

(٤) من الآية (٩٣) من سورة البقرة .

(٥) من الآية (١٠) من سورة النساء .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٦١١/١ باختصار .

• **التفريـــع :**

وهو ضد التأصيل وضبطه بعضهم بالغين كأن المتكلم فرغ باله من الحكم أولاً إلى الحكم ثانياً ، وحده أن يرتب حكماً على صفة من أوصاف الممدوح أو المذموم ثم يرتب ذلك الحكـــم بعينـــه على صفة أخرى من أوصافه على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب كقول الشاعر :

أحلامُكُمْ لِسِقامِ الجهل شافية   كما دماؤكُم تشفي من الكَلَبِ[1]

فرع على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب .

وعرفه الخطيب بقوله : ((أن يثبت لِمُتَعَلَّقِ أمر حكمٍ بعد إثباته لمتعلق له آخر)) [2]

• والتفريع من فنون البديع التي اهتم بها الطاهر في تفسيره اهتماماً كبيراً . بل هو من أكـــثر فنون البديع التي عُني بها في سورة البقرة

• **يقول عن التفريع في قوله تعالى :**

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [3]

((تفريع على الشرط وجوابه ، أي فإن لم تأتوا بسورة أو أتيتم بما زعمتم أنه سورة ولم يستطع ذلك شهداؤكم على التفسيرين فاعلموا أنكم اجترأتم على الله بتكذيب رســوله المؤيـد بمعجـزة القرآن فاتقوا عقابه المعد لأمثالكم)) [4]

• **وعن مجيء التفريع مع الاعتراض ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [5]

((وجملة " فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ " إلى قوله " قالوا لن يدخل " تفريع مع اعتراض ... وقد جـــاء التفريع هنا بالفاء في معنى تفريع الكلام على الكلام لا تفريع معنى المدلول على المدلـــول لأن معنى العفو لا يتفرع عن ود أهل الكتاب ولكن الأمر به تفرع عن ذكر هذا الود الذي هـــو أذى

---

(١) البيت للكميت بن زيد الأسدي من قصيدة له في مدح بني هاشم . والأحلام : العقول والكلب : شبه جنون يحدث للشخص مـــن عض الكلب المصاب به ، ولم يكن له دواء في زعمهم ينظر الإيضاح ٤/ ٤٩ ، وشرح عقود الجمان صـــ ١٢٤

(٢) ينظر الإيضاح ٤/ ٤٩

(٣) الآية (٢٤) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٣٤٢

(٥) الآية (١٠٩) من سورة البقرة .

وتجيء الجملة المعترضة بالواو وبالفاء بأن يكون المعطوف اعتراضاً .))[1]

• **وعن فاء التفريع يقول في قوله تعالى :**

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ [2]

((الفاء للتفريع عاطفة جملة الأمر بذكر الله وشكره على جمل النعم المتقدمة [3] أي إذ قد أنعمت عليكم بهاته النعم فأنا آمركم بذكري ...)) [4]

• **وعن التفريع اللفظي ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ ... ﴾ [5]

((وقوله " فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ " تفريع لفظي للإذن بالرخصة في ترك بعض أيام منى لمن أعجله الرجوع إلى وطنه،وجيء بالفاء لتعقيب ذكر الرخصة بعد ذكر العزيمة رحمة منه تعالى بعباده.)) [6]

• **وعن ترتيب التفريع ، يقول في قوله تعالى :**

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ ... ﴾ [7]

((تفريع مرتب على قوله " الطلاق مرتان " وما بينهما بمنزلة الاعتراض ، على أن تقديمه يكسبه تأثيراً في تفريع هذا على جميع ما تقدم ، لأنه قد علم من مجموع ذلك أن بعد المرتين تخييراً بين المراجعة وعدمها ، فرتب على تقدير المراجعة المعبر عنه بالإمساك " فإن طلقها " وهو يدل بطريق الاقتضاء على مقدر أي فإن راجعها فطلقها لبيان حكم الطلقة الثالثة .)) [8]

• **وعن مجيء التفريع بالفاء للتأكيد يقول في قوله تعالى :**

﴿ ... أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [9]

((وقوله " فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " جيء فيه بالفاء للتفريع عن كونه مولى ؛ لأن شأن المولى أن ينصر مولاه وفي التفريع بالفاء إيذان بتأكيد طلب إجابة الدعاء بالنصر

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٦٧١ باختصار .

(٢) الآية (١٥٢) من سورة البقرة .

(٣) أي في قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية (١٥١)

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ٥٠ باختصار .

(٥) من الآية (٢٠٣) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢٦٣

(٧) من الآية (٢٣٠) من سورة البقرة .

(٨) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ٤١٤

(٩) من الآية (٢٨٦) ختام سورة البقرة .

لأنهم جعلوه مرتباً على وصف محقق وهو ولاية الله تعالى المؤمنين ...))[١]

ويلاحظ إشارات الطاهر الدقيقة في الآيات السابقة إلى التفريع اللفظي ، والتفريع المرتب ، ومجئ الاعتراض مع التفريع ، إلى غير ذلك مما ذكره ، وهي إشارات خاصة به لم يسبق إليها .

ومما تجدر الإشارة إليه ((أن هذا اللون من ألوان البديع قريب جداً من الاستطراد كما يقول السيوطي ، ويفارقه باشتراط كون المفرَّع في معنى المفرَّع عليه بخلاف الاستطراد)) [٢]

ومواضع التفريع في تفسير الطاهر لسورة البقرة كثيرة وهي لا تختلف في منهج تحليلها عما سبق [٣]

* **الإدماج** : وهو أن يُضَمَّن كلام سيق لمعنى معنى آخر . ومثال قول أبي الطيب المتنبي :

أُقلِّب فيه أجفاني كأنِّي　　　أعدُّ بها على الدهر الذُّنوبا [٣]

فإنه ضمَّن وصف الليل الشكاية من الدهر [٤]

- ولقد أشار الطاهر إلى تعريف هذا الفن من فنون البديع ، مبيناً منزلته البلاغية . يقول في قوله تعالى : **﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾** [٥]

((وقوله تعالى **﴿ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ ﴾** معطوف على **﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ ﴾** أي ائتوا بها وادعوا شهداءكم ... والمراد هنا ادعوا آلهتكم بقرينة قوله **﴿ مِّن دُونِ اللّهِ ﴾** أي ادعوهم من دون الله كدأبكم في الفزع إليهم عند مهماتكم معرضين بدعائهم واستنجادهم عن دعاء الله واللجأ إليه ففي الآية إدماج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة وهذا الإدماج من أفانين البلاغة

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٤٢/٣ باختصار .

(٢) ينظر شرح عقود الجمان صـ١٢٤

(٣) منها الآيات (٣٦) ، (١٠٢) ، (١٣٧) ، (١٤٤) ، (١٥٨) ، (١٧٣) ، (١٧٨) ، (١٨٢) ، (١٨٥) ، (١٨٧) ، (٢٠٩) ، (٢٣٩) ، (٢٥٦) ، (٢٨٢) .

(٤) الضمير في " فيه " يعود على الليل ، وقوله " أقلب فيه أجفاني " كناية عن طوله ، وقوله " كأني أعد بها على الدهر الذنوبا " كناية عن الشكاية منه . وبهذا تكون الشكاية غير مصرح بها في البيت كما أنه غير مسوق لأجلها . الإيضاح ٥٣/٤

(٥) ينظر الإيضاح ٥٣/٤

(٦) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

أن يكون مراد البليغ غرضين فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثانى وفيـــه تظـــهر مقدرة البليغ إذ يأتى بذلك الاقتران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام ولا تكلف .

قال الحرث بن حلِّزة :

آذنتنا ببينها أسماء ۞ رب ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

فإن قوله " رب ثاو " عند ذكر بعد الحبيبه والتحسر منه كناية عن أن ليست هى من هذا القبيـــل الذى يمل ثواؤه . وقد قضى بذلك حق إرضائهم بأنه لا يحفل بإقامة غيرها ، **وقد عـــد الإدماج من المحسنات المعنوية وهو جدير بأن يعد فى الأبواب البلاغية فى مبحث الإطناب أو تخريـــج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر . فإن آلهتهم أنصارهم فى زعمـــهم** . ويجـــوز أن يكـــون المراد ادعوا نصراءكم من أهل البلاغة فيكون تعجيزاً للعامة والخاصة .))[١]

*** ويلاحظ من خلال كلام الطاهر أمران :**

الأول : تعريفه للإدماج وهو تعريف دقيق يشرح فيه شروط الإدماج التى ذكرها البلاغيـــون ، وهى ألا يكون المعنى المضمن مصرحاً به ، وألا يكون فى الكلام مـــا يشـــعر بأنـــه مســـوق لأجله [٢] .

وقد عرف ابن أبى الإصبع الإدماج بقوله : " أن يدمج المتكلم غرضاً له فى ضمن معنى قد نحاه من جملة المعانى ليوهم السامع أنه لم يقصده وإنما عرض فى كلامه لتتمة معناه الـــذى قصـــد إليه " [٣] وإذا ضممنا هذا التعريف إلى تعريف الخطيب السابق وتعريف الطاهر اتضح أن هـــذه التعاريف لا تختلف فى مضمونها.

الثانى : ما رآه الطاهر من جدارة الإدماج بأن يعد فى الأبواب البلاغية فى مبحث الإطنـــاب أو تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يؤكد ما سبق ذكره من أن منزلة فنون البديع تتحـــدد بما لها من أثر فى بلاغة القرآن ، ويؤكد أن الطاهر يختلف مع البلاغيين فى نظرته إلى بعض

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ باختصار.

(٢) ينظر الإيضاح ٥٣/٤ والمطول صـــ٢٤٢ .

(٣) ينظر تحرير التحبير صـــ٤٤٩ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

فنون البديع فعلى حين يراها كثير منهم محسنات ومكملات يراها الطاهر من الأصول والمهمات !

واقتراح الطاهر بضم الإدماج إلى الإطناب أو تخريج الخبر على خلاف الظاهر اقتراح خاص به لم يشر إليه صاحب الكشاف ولا أحد من أصحاب البديعيات(١) . علماً بأن الربط بين الإطناب ، والإدماج لا يتعذر عند التأمل . فالإطناب : زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة ، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده والإدماج تضمين كلام سيق لمعنى معنى آخر . ففى الإطناب الزيادة فى اللفظ ، وفى الإدماج الزيادة فى المعنى !

• **وعن مجئ الإدماج مع الاستطراد ، يقول فى قوله تعالى :**

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

« لما كملت الحجج نهوضاً على أهل الكتابين ومشركى العرب فى عميق ضلالهم بإعراضهم عن الإسلام ، وتبين سوء نواياهم التى حالت دون الاهتداء بهديه والانتفاع بفضله ، وسجل ذلك على المعاندين أعنى ابتداءً بقوله ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيل** ﴾ مرتين ، وأدمج معهم النصارى استطراداً مقصوداً ، ثم أنصف المنصفون منهم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته ، انتقل إلى توجيه التوبيخ والتذكير للعرب الذين يزعمون أنهم أفضل ذرية إبراهيم وأنهم يتعلقون بملته ... » (٣)

فكما يتضح أن فى الآية إدماجاً واستطراداً ومما تجدر الإشارة إليه أن صاحب العمدة عد الإدماج نوع من الاستطراد ، وبعد أن مثّل له قال :

« وهذا النوع أقل فى الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب » (٤)

---

(١) ينظر الكشاف ١/١٢٧-١٣٣ ، وتحرير التحبير صـ٤٤٩-٤٥١

(٢) الآية (١٢٤) من سورة البقرة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٩٩ ، ٧٠٠ باختصار .

(٤) ينظر العمدة ٢/٤١،٤٢

ويقول الطاهر فى قوله تعالى :

﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ... ﴾[١]

« والمقصود من هذه الآية إتمام العمرة التى خرجوا لقضائها وذكر الحج معها إدماج ؛ لأن الحج لم يكن قد وجب يومئذ إذ كان الحج بيد المشركين ففى ذكره بشارة بأنه يوشك أن يصير فى قبضة المسلمين . »[٢]

وهذه هى بعض مواضع الإدماج فى تفسير الطاهر ، وهناك مواضع أخرى أشار فيها إلى الإدماج وهى مواضع لم يسبق إليها فيما أعلم[٣] وهى لا تختلف فى منهج تفسيرها عما سبق .

* **التوجيه :**

عرفه الخطيب بقوله : « هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين »[٤] . كقول بشار بن برد :

خاط لى عمروٌ قباء ليت عينيه سواءْ

فيحتمل أن يكون دعاء بصحة العوراء فيكون مدحاً ، أو بتعوير الصحيحة فيكون هجاءً .

ولم يوافق السيوطى على هذا التعريف ، وذكر أن الذى عليه حذاق الصنعة وأصحاب البديعيات وأولهم الصفى الحلى أن هذا التفسير للنوع المسمى بالإبهام كما اخترعه ابن أبى الإصبع وسماه وعرفه ... وأما تعريف التوجيه فيما حرره الصفى الحلى والمتأخرون فبأن يوجه المتكلم بعض كلامه إلى أسماء متلائمة اصطلاحاً من أسماء الأعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما تتشعب له الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقى . "[٥]

* ولقد أشار الطاهر إليه فى مواضع من تفسيره يقول فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٦]

« والغُلْف " بضم فسكون جمع أغلف وهو الشديد الغلاف من غلّفه إذا جعل له غلافاً وهو

---

(١) من الآية (١٩٦) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢/٢١٧

(٣) منها الآيات (١٠٥) ، (١٣٢) ، (٢١٤) ، (٢٢٢) ، (٢٥٨) .

(٤) ينظر الإيضاح ٤/٥٤

(٥) ينظر شرح عقود الجمان صـ١٢٧-١٢٩ باختصار .

(٦) الآية (٨٨) من سورة البقرة .

الوعاء الحافظ للشئ ... وفي الكلام توجيه لأن أصل الأغلف أن يكون محجوباً عما لا يلائمه فإن ذلك معنى الغلاف فهم يخيلون أن قلوبهم مستورة عن الفهم ويريدون أنها محفوظة من فهم الضلالات ولذلك قال المفسرون إنه مؤذن بمعنى أنها لا تعي ما تقول ولو كان حقاً لوعته وهذان المعنيان اللذان تضمنهما التوجيه يلاقيهما الرد بقوله " بل لعنهم الله بكفرهم " أي ليس عدم إيمانهم لقصور في أفهامهم ولا لربوها عن قبول مثل ما دعوا إليه ولكن لأنهم كفروا فلعنهم الله بكفرهم وأبعدهم عن الخير وأسبابه . وبهذا حصل المعنيان المرادان لهم من غير حاجة إلى فرض احتمال أن يكون غلف جمع غلاف لما فيه من التكلف في حذف المضاف إليه حتى يقدر أنها أوعية للعلم والحق فلا يتسرب إليها باطل))[1][2]

وإشارة الطاهر إلى التوجيه في الآية لم يسبق إليها .

• **الاحتباك :**

وهو أن تذكر جملتان في كل متقابلان ويحذف من كل ضد ما ذكر في الأخرى كقوله تعالى : ﴿ ... **فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ...** ﴾ [3] فحذف من الأول " مؤمنة " ومن الثاني " تقاتل في سبيل الشيطان " وهذا اللون من ألوان البديع عزيز كما يقول السيوطي " [4]

ولقد أغفله كثير من أصحاب البديعيات ، وأهمله البلاغيون مع وروده في القرآن ، ولقد أشار الطاهر إلى أحد مواضعه في سورة البقرة ، يقول في قوله تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [5]

((... يحتمل أن يكون قوله " وهو كره لكم " حكاية لحال مضت وذلك في أيام قلة المسلمين فكان إيجاب القتال ثقيلاً عليهم ... فلا يلزم أن تكون تلك الكراهية باقية إلى وقت نزول الآية ، ويحتمل أن تكون نزلت في شأن صلح الحديبية وقد كانوا كرهوا الصلح

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥٩٩/١ ، ٦٠٠ باختصار .

(٢) ينظر إشارته إلى التوجيه في تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة .

(٣) من الآية (١٣) من سورة آل عمران .

(٤) ينظر شرح عقود الجمان صـ ١٣٣

(٥) الآية (٢١٦) من سورة البقرة .

واستحبوا القتال لأنهم يومئذ جيش كثير فيكون تذكيراً لهم بأن الله أعلم بمصالحهم فقد أوجب عليهم القتال حين كانوا يكرهونه وأوجب عليهم الصلح في وقت أحبوا فيه القتال والمقصود الإفضاء إلى قوله " وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ " لتطمئن أنفسهم بأن الصلح الذي كرهوه هو خير لهم ... **ويكون في الآية احتباك إذ الكلام على القتال ، فتقدير السياق كتب عليكم القتال وهو كره لكم ومنعتم منه وهو حبٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا القتال وهو خير لكم وعسى أن تحبوه وهو شر لكم ، ... »**[1]

ولقد فات الطاهر موضع آخر للاحتباك في سورة البقرة أشار إليه السيوطي ، وهو قوله تعالى :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [2] يقول السيوطي :

« التقدير ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي يُنْعَقُ به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه » [3]

والطاهر وإن ترك الإشارة إلى الموضع الثاني للاحتباك في سورة البقرة فلقد أشار إلى الموضع الأول ، وهو ما أغفله البلاغيون [4]

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية بحث المحسنات المعنوية في تفسير الطاهر لسورة البقرة ، ومن خلال ما سبق يلاحظ عدة أمور :

الأول : تأثر الطاهر بالبلاغيين في نظرتهم إلى بعض فنون البديع على أنها من المحسنات المتممات وقد بدا هذا التأثر واضحاً في بحث الطباق.

الثاني : عناية الطاهر ببعض فنون البديع الأخرى كالمشاكلة ، والاستطراد ، والتفريع ، والإدماج حيث أظهر أثر هذه الفنون في بلاغة القرآن ، ووضح الصلة بين المشاكلة والاستعارة ، والصلة بين الإدماج والإطناب ، وبذلك يتضح أن بعض فنون البديع لا تقل في أهميتها وأثرها في بلاغة القرآن عن مسائل المعاني والبيان .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ٣٢١ باختصار .

(٢) الآية (١٧١) من سورة البقرة .

(٣) ينظر شرح عقود الجمان صـ ١٣٣

(٤) أشار الطاهر إلى الاحتباك في مواضع أخرى من تفسيره منها الآية (٥١) من سورة القلم . ينظر التحرير والتنوير ٢٩/١٠٩

الثالث : إشارة الطاهر إلى اجتماع فنون البديع مع فنون أخـــرى كمجـــيء الاعـــتراض مـــع الاستطراد ، والتفريع مع الاعتراض ، والإدماج مع الاستطراد ، والمشاكلة مع الاستعارة فـــي عدة مواضع .

الرابع : إشارته إلى مواضع أغفلها البلاغيون كما في التفريع والإدماج والاحتباك ، والمقابلـــة بين الجمل[١]

الخامس : إشارته إلى الطريقة الخطابية التي استخدمها القرآن في بحث الاستطراد ، وتعريفـــه للمشاكلة [٢] والإدماج .

السادس : إشارته إلى المبالغة في بعض المواضع على رأي من قال بوقوع المبالغة المقبولة في بعض أساليب القرآن ، وقد مضى تفصيل ذلك .

السابع : وهي ملاحظة عامة على بحث البديع المعنوي في تفسير الطاهر لسورة البقرة حيـــث يلاحظ صغر بحث البديع في تفسيره مقارنة ببحث المعاني والبيان ، وذلك يرجع كما سبق إلى تأثر الطاهر ببحث البلاغيين لهذه الفنون ، ففيما يتعلق بقواعد فن البديع يلاحظ أن الطاهر نقـــل كلام البلاغيين في بحث اللف والنشر ، وفي بحث التقسيم ، وفي المشاكلة فهو يتفق معهم فـــي قواعد البديع المعنوي ولكن يختلف معهم في طريقة تناول هذه الفنون والكشف عن أســـرارها ، وأثرها في بلاغة القرآن .

---

(١) وهذا النوع من المقابلة فيه إظهار لمزايا النظم القرآني ، واتصال معانيه ، وتناسب أجزائه ، وقد أشار إليه الطاهر كما ســـبق في بحث المقابلة .

(٢) وما اقترحه من إلحاقها بالاستعارة لوجود العلاقة بينهما .

المبحث الثانى

المحسنات اللفظية

وأسرارها البلاغية

فى تفسير

" التحرير والتنوير "

(سورة البقرة)

المبحث الثاني

المحسنات اللفظية وأسرارها البلاغية

من فنون البديع التي لم تحظَ باهتمام كبير من الطاهر في تفسيره لسورة البقرة " ألوان البديع اللفظي " وبحثها في تفسيره أقل بكثير من بحث البديع المعنوي حتى إن إشارته إلى هذه الألوان إشارات موجزة كما سيتضح في بحث الجناس،ورد العجز على الصدر ، والتضمين ، وهي أبرز ألوان البديع اللفظي التي أشار إليها في تفسيره لسورة البقرة .

• **الجناس :**

((الجناس فن واسع من فنون البديع اللفظي متشعب المسائل ، ونتيجة لذلك فإن وضع تعريف له يجمع شتاته من الصعوبة بمكان ، ولقد اكتفى البلاغيون بوضع تصور أو ضابط لنوع من أنواعه مما أدى إلى كثرة هذه التعاريف مع ما فيها من قصور ، ويفهم من كلام القدماء أن الجناس عندهم : اتحاد طرفيه أو تشابههما في الصورة والتلفظ مع اختلاف المعنى .)) [1]

ولقد أشار الطاهر في تفسيره إلى بعض أقسام الجناس وهي التام ، والمحرف ، والناقص ، والمضارع ، والمصحف .

• **والجناس التام** : أن يتفقا اللفظان في أنواع الحروف ، وأعدادها ، وهيئاتها ، وترتيبها كقوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ...** ﴾ [2]

فالساعة الأولى : القيامة ، والثانية : الساعة الزمانية

• **والمحرف** : هو أن يقع الاختلاف في هيآت الحروف ، كما في قوله تعالى :

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ○ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ** ﴾ [3] فالذال في قوله " مُنْذِرِينَ " مكسورة في الآية الأولى مفتوحة في الآية الثانية .

• **والناقص** : هو أن يختلف في عدد الحروف ، سواء كان الحرف المزيد أولاً أو وسطاً أو آخراً ، كقوله تعالى : ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ○ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴾ [4] فالحرف المزيد هنا في أول الكلمة .[5]

• **والمصحف** : ويسمى جناس الخط ، وهو أن تختلف الحروف في النقط

---

(١) ينظر الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي صـ١٩٠ والبديع المصطلح والقيمة صـ١١٥-١٢٩

(٢) من الآية (٥٥) من سورة الروم .

(٣) الآيتان (٧٢، ٧٣) من سورة الصافات .

(٤) الآيتان (٢٩، ٣٠) من سورة القيامة .

(٥) أي في قوله " المساق " .

كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[١]
فالجناس بين " يسقين ، ويشفين " والطرفان متماثلان في الخط فلو أزلت النقط الذي على حروفهما لحدث بينهما تماثل تام ، والاختلاف في النقط تبعه اختلاف في النطق .
• **والمضارع** : وهو أن يختلفا بحرف مقارب في المخرج ؛ سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عنه ... ﴾ [٢] فالجناس بين " ينهون ، وينأون "
• ولقد أشار الطاهر إلى أقسام الجناس السابقة في مواضع من تفسيره ، يقول في قوله تعالى :
﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [٣]
((وبين استوى وسواهن الجناس المحرف)) [٤]
• **وفي قوله تعالى :**
﴿ ... **وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾[٥]
((وفي قوله " ليعلمون " وقوله " عما يعملون " الجناس التام المحرف على قراءة الجمهور والجناس الناقص المضارع على قراءة ابن عامر [٦] ومن وافقه)) [٧]
• **وعن الجناس المصحف يقول في قوله تعالى :**
﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ...** ﴾ وقوله : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ...** ﴾[٨]
((وقد حصل من تمثيل حال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بـ " حبة " ثم بـ " جنة " جناس مصحف)) [٩]
• ويلاحظ أن الطاهر اكتفى بالدلالة على مواضع الجناس في الآيات السابقة ، ولم يبين أثره في بلاغة الكلام ، ولقد أشار السبكي إلى بلاغته حيث يقول : ((إن المتكلم يعمد إلى أسلوب الجناس لفائدتين : الأولى : الميل إلى الإصغاء إليه ؛ لأن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها .

---

(١) الآيتان (٧٩، ٨٠) من سورة الشعراء .
(٢) من الآية (٢٦) من سورة الأنعام .
(٣) الآية (٢٩) من سورة البقرة .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٣٨٥
(٥) من الآية (١٤٤) من سورة البقرة .
(٦) قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر بتاء الخطاب في " تعلمون " .
(٧) ينظر التحرير والتنوير ٣٥/٢
(٨) من الآيتين (٢٦٢، ٢٦٥) من سورة البقرة .
(٩) ينظر التحرير والتنوير ٥٢/٣

الثانية : القصد إلى تشوف السامع وتشوقه إلى معرفة أحد معنيي اللفظ ؛ لأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوف إليه[١]

ونبه الإمام عبد القاهر إلى فائدة ثالثة ، وهي أن في التجنيس خداعاً عن الفائدة مع إعطائه إياها ، وإيهام النقص وقد أحسن الزيادة ووفاها » [٢]

• ردُّ العجز على الصدر :

وهو في النثر[٣] أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها كقوله تعالى : ﴿ ... وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ... ﴾[٤] وهذا مثال رد العجز على الصدر في المكررين ومثال المتجانسين ، قولهم : " سائل اللئيم يرجع ودمه سائل "

ومثال الملحقين بالمتجانسين في الاشتقاق قوله تعالى :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [٥]

• ولقد أشار الطاهر إلى هذا اللون من ألوان البديع اللفظي في مواضع من تفسيره،يقول في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٦]

« وفي هذه الآية جعلت اليهود والنصارى مما تلين للمشركين في هذه المقالة لأن المشركين أعرق فيها إذ هم أشركوا مع الله غيره فليس ادعاؤهم ولداً بأكثر من ادعائهم شركة الأصنام مع الله في الإلهية فكان اليهود والنصارى ملحقين بهم لأن دعوى الابن لله طرأت عليهم ولم تكن من أصل ملتهم وبهذا الأسلوب تأتي الرجوع إلى بيان أحوال أهل الكتابين الخاصة بهم وذلك من رد العجز على الصدر .» [٧]

---

(١) ينظر الفنون البديعية صـ ١٩٥ نقلاً عن عروس الأفراح ٤/ ٤١٢ وما بعدها .

(٢) ينظر أسرار البلاغة صـ ٧، ٨ باختصار .

(٣) كما يكون في الشعر بأن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني . ينظر الإيضاح ٤/ ٧٤ — ٧٨

(٤) من الآية (٣٧) من سورة الأحزاب .

(٥) الآية (١٠) من سورة نوح .

(٦) الآية (١١٨) من سورة البقرة .

(٧) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٦٩٠

• ويقول في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [١] ((فقوله " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ " فذلكة لما تقدم وجواب قاطع لمعذرتهم المتقدمة وهو من باب رد العجز على الصدر .)) [٢]

• وفي قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [٣]

((أعيد نداء بني إسرائيل نداء التنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير في الغرض الذي سيق الكلام الماضي لأجله فإنه ابتداء نداءهم أولاً بمثل هاته الموعظة في ابتداء التذكير بأحوالهم الكثيرة خيرها وشرها عقب قوله " وأنهم إليه راجعون " فذكر هذه الجملة هناك كذكر المطلوب في صناعة المنطق عقب البرهان تأييداً لما تقدم وفذلكة له وهو من ضروب رد العجز على الصدر)) [٤]

• ويلاحظ أن الطاهر يطبق هذا اللون من ألوان البديع اللفظي على الجمل لا على الألفاظ ، وفي ذلك تكثيرٌ لفوائده وتوسعة لدائرته ، وربطاً له بالنظم الذي هو من صميم علم المعاني !

• **التضمين :**

والتضمين الذي يتصل بالبحث هنا – المتعلق بالقرآن الكريم [٥] ولقد ذكر السيوطي في الإتقان أن التضمين يطلق على أشياء منها ((إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم ، وهذا هو النوع البديعي .)) [٦]

وأشار ابن الأثير إليه بقوله : ((وهذا النوع فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة ... وهذا النوع الحسن هو : أن يضمن الآيات والأخبار النبوية ، وذلك يرد على وجهين : أحدهما : تضمين كلي والآخر: جزئي . فأما التضمين الكلي فهو : أن تذكر الآية والخبر بجملتها ، وأما الجزئي : فهو أن تدرج بعض الآية والخبر ضمن كلام فيكون جزءاً منه ... ومذهبي وأحسن الوجهين عندي أنه لا تؤخذ الآية بكمالها ، بل يؤخذ منها ويجعل أولاً لكلام أو آخراً ، هذا إذا لم

---

(١) الآية (١٢١) من سورة البقرة .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٩٦/١ باختصار .

(٣) الآية (١٢٢) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٦٩٧ ، ٦٩٨

(٥) وهناك التضمين في الشعر بأن يضمن الشاعر شعره شيئاً من شعر الغير – مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء لئلا يتهم بالأخذ والسرقة . ينظر الإيضاح ١١٥/٤

(٦) ينظر الإتقان ٢٤٣/٣

يقصد به التضمين ، فأما إذا قصد التضمين فتؤخذ الآية بكمالها وتدرج درجاً ، وهذا ينكره من لم يذق ما ذقته من طعم البلاغة ، ولا رأي ما رأيته .))[١]

• ولقد أشار الطاهر إلى تعريف التضمين في المقدمة العاشرة للتفسير بقوله : ((ومن بديع الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين ، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف ، **والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان .**))[٢]

ويلاحظ أن الطاهر يرجع التضمين إلى إيجاز الحذف من علم المعاني ، ولقد أشار السيوطي إلى شيء من ذلك حيث يقول : ((**التضمين يطلق على أشياء ... منها حصول معنى فيه من** غير ذكر باسم هو عبارة عنه ، وهذا نوع من الإيجاز))[٣]

فالسيوطي يشير إلى أن من الأشياء التي يطلق عليها التضمين بعض أنواع الإيجاز دون أن يحدد نوعه .

• وعن مواضع التضمين في سورة البقرة ، يقول الطاهر في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[٤]

((وإنما عدى نؤمن باللام لتضمينه معنى الإقرار بالله ولن نقر لك بالصدق والذى دل على هذا الفعل المحذوف هو اللام وهي طريقة المحذوف .))[٥]

• ويقول في قوله تعالى : **﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾**[٦]

((واللام في قوله " لكم " لتضمين " يؤمنوا " معنى يقرُّوا وكأن فيه تلميحاً إلى أن إيمانهم بصدق الرسول حاصل ولكنهم يكابرون ويجحدون على نحو قوله " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما

---

(١) ينظر المثل السائر ٣٢٣/٢ ، ٣٢٤ باختصار .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٢٣/١

(٣) ينظر الإتقان ٣/ ٢٤٣ ، ومعترك الأقران ٢٣٠/١

(٤) الآية (٥٥) من سورة البقرة .

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٥٠٦/١

(٦) الآية (٧٥) من سورة البقرة .

يعرفون أبناءهم فما أبدع نسج القرآن .)) [١]

• وعن التضمين في قوله تعالى :

﴿ وَأَوْصَى [٢] بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾[٣] يقول :

((وقوله " يا بني "الخ حكاية صيغة وصية إبراهيم وسيجيء ذكر وصية يعقوب . ولما كان فعل أوصى متضمناً للقول صح مجيء جملة بعده من شأنها أن تصلح لحكاية الوصية لتفسر جملة أوصى ...)) [٤]

وقوله تعالى : ﴿ ... وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [٥]

((وانتصاب " خيراً " على نزع الخافض أي تطوع بخير أو بتضمين تطوع معنى فعل أو أتى[٦] ومن خلال ما سبق يتضح أن الطاهر يرجع التضمين إلى إيجاز الحذف من علم المعاني، وقد نقل السيوطي عن الباقلاني أن من الإيجاز نوعاً يسمى التضمين)) [٧]

كما يلاحظ إشارته إلى وجود الدليل على المحذوف كما ذكر في تفسيره للآيتين (٥٥، ٧٥) وقد سبق في إيجاز الحذف أن الحذف على وجهين : أحدهما : ألا يقام شيء مقام المحذوف وتكفي القرينة الدالة على الحذف . والثاني : أن يقام مقامه ما يدل عليه ...)) [٨]

• ويلاحظ على بحث المحسنات اللفظية في تفسير الطاهر لسورة البقرة الإيجاز الشديد على خلاف ما عهدنا من طريقته التحليلية التي تكشف عن أسرار النظم ، فلقد اكتفى بالدلالة على مواضع الجناس في الآيات دون أن يبين أثره في نظم الآية ، وهو ما يؤكد ما سبق من تأثر الطاهر بنظرة البلاغيين إلى بعض هذه الألوان البديعية على أنها محسنات ومتممات .

على أن الطاهر برغم إيجازه في بحث البديع اللفظي قد أشار إلى مواضع أغفلها البلاغيون قبله وعلى رأسهم صاحب الكشاف كما سبق في الجناس ، ورد العجز على الصدر ، وبعض مواضع التضمين .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥٦٧/١

(٢) هذه قراءة في مصاحف أهل الحجاز والشام وبها أخذ الطاهر .

(٣) الآية (١٣٢) من سورة البقرة .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٧٢٨/١

(٥) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة .

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٦٤/٢

(٧) ينظر معترك الأقران ٢٣٠/١

(٨) ينظر الإيضاح ٢/ ١١٤


خاتمة

نتائـــج البحـــث

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبى الهدى الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

وبعـد

فلقد اتضح ما بذله الطاهر من جهد للكشف عن البلاغة القرآنية بداية من اتفاقه مع البلاغيين وأهل السنة فى أن إعجاز القرآن يرجع إلى بلوغه أعلى الدرجات فى الفصاحة والبلاغة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله ، وأضاف إلى وجوه الإعجاز التى ذكروها جهات أخرى يتجه التحدى بها إلى غير العرب ، وهو يتفق معهم فى أن الوقوف على إعجاز القرآن يكون بمعرفة ما دونه البلاغيون فى علمى المعانى والبيان ، وأنهما أساسيان لفهم النظم القرآنى والوقوف على أسراره ، واتضح اهتمامه بالنظم القرآنى إلى حد كبير ، فلقد أشار إلى ما أسماه بالتفنن وأنه من محاسن النظم ، واعتبر الالتفات أسلوباً من أساليبه ، وهو لا يفتأ يربط بين النظم ومسائل المعانى والبيان والبديع [١]

• وفى بحث الإسناد الخبرى رأيناه يوجه جهوده إلى خروج الخبر عن مقتضى الظاهر كاشفاً عن أسرار بلاغية لم يسبق إليها كما اتضح الجهد الذى بذله فى بحث التوكيد وأسراره وهو بحث قيم كانت له فيه إضافات طيبة ومناقشات ممتعة [٢]

• وفى بحث المسند إليه أشار إلى حذفه ، وتعريفه ، وتقديمه ، وفى بحث التعريف أشار إلى أكثر من غرض بلاغى للتعريف فى الآية الواحدة ، وفى بحث تقديم المسند إليه رأيناه يتفق مع الإمام عبد القاهر فى أن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى - فى حالة الإثبات - يفيد الاختصاص أو التقوى مبيناً أن صاحب الكشاف تابع الإمام عبد القاهر على ذلك ، وذكر الطاهر أنه لا مانع من اجتماع غرضى الاختصاص والتقوية فى آية واحدة لجواز ذلك فى مقاصد الكلام البليغ كما اتضحت مناقشته لصاحب المفتاح فى أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق قد يفيد الاختصاص بذاته ، وعقّب عليه الطاهر .

---

(١) كما مضى فى بحث الفصل والوصل ، والتمثيل البلاغى ، والمقابلة ، والتفريع والإدماج وهذا للتمثيل لا للحصر .

(٢) منها الآيات (٣٠) ،(٣٤) ، (١٦٤) ، (٢٠٩) ، (٢١١)

بأنه لا يفيد الاختصاص بذاته بل قد يستفاد من بعض مواقعه التخصيص بالقرائن .

• وفى بحث وضع المظهر موضع المضمر أشار إلى أسرار بلاغية لم يسبق إليها ، وفى بحث الالتفات ، ومخالفة مقتضى الظاهر فى صيغ الأفعال كذلك .

• وفى بحث أحوال المسند ركز الطاهر اهتمامه على أغراض كونه اسماً أو فعلاً وما وراء ذلك من أسرار مع تحديد الفرق بين دلالة الجملة الإسمية والفعلية ، وفى بحث تعريف المسند تأثر الطاهر بالبلاغيين فى دراسته من حيث الكم ؛ ولذلك كان اهتمامه به محدوداً ، وفى بحث تقديمه بين أن البلاغيين لم يفرقوا بين حالتى الإثبات والنفى وخلطوا بينهما فى مواضع .[1]

• وفى بحث أحوال متعلقات الفعل اتضح اهتمامه بتقييد الفعل بأدوات الشرط " إن ، وإذا ، ولو " مبيناً ما وراء هذا التقييد من أسرار بلاغية ، كما أشبع الكلام حول " لو " واستعمالتها ، وبحثه حولها فيه جدة وابتكار ، وفى حذف المفعول ذكر أنه يحسن ذكره إذا كان فى المفعول غرابة ولا يجب ذكره كما يوهم كلام أئمة المعانى ، وفى تقديم المتعلقات اتضح ما ذكره حول التقديم لرعاية الفاصلة ، وأن التقديم لهذا الغرض ناحية صوتية لها أثر فى نظم القرآن .

• وفى بحث القصر ظهرت عنايته بطريقين من طرق القصر أهملهما البلاغيون مع مالهما من أثر فى أساليب القرآن ، وهما "التعريف ، وضمير الفصل " كذلك إشارته إلى القصر الحقيقى المقيد وهو قسم لم ينبه إليه علماء المعانى [2] واتضح متابعة الطاهر للإمام عبد القاهر فى اختصاص " إنما " بقصر القلب [3]

• وفى بحث الإنشاء الطلبى اتضح ما ذكره من أن " لعل " الواقعة فى مقام تعليل أمر أو نهى لها استعمال يغاير استعمال " لعل" المستأنفة فى الكلام سواء وقعت فى كلام الله تعالى أو فى غيره ، وفى بحث الاستفهام يلاحظ إشارته إلى أكثر من معنى مجازى فى الآية الواحدة مع

---

(١) ينظر تفسيره للآية (٢٧٢)

(٢) ينظر تفسيره للآية (١٢٧)

(٣) وهو رأى لم يناقشه فيه البلاغيون وقرروا أنها تأتى لكل صور القصر .

تركيزه على أهمية السياق والقرائن فى تحديد المعنى المجازى ، ومن هنا فلقد خالف البلاغيين فى مواضع كثيرة حيث استنبط من الآيات معان مجازية غير التى ذكرها البلاغيون(١)

كما اتضح بحثه القيم حول " أم " المتصلة والمنقطعة ، ومناقشته للبلاغيين ، والنحويين فى الفرق بينهما (٢) كذلك تعقيبه على المفسرين بسبب غفلتهم عن الفرق بين الاستفهام الإنكارى والنفى المجرد ، واتضح بحثه حول الأمر ومعانيه المجازية واستعمال الخبر فى الأمر ، وعطف الأمر على النهى ، وعطف النهى على النهى والغرض من ذلك (٤)

• وفى بحث الفصل والوصل اتضحت عنايته الكبيرة ببحث الاستئناف البيانى من أحوال الفصل ، ولقد كشف عن أثره فى نظم القرآن وأساليبه ، كما أشار إلى الاستئناف الابتدائى ، وربط بينه وبين الاستئناف البيانى ، موضحاً أن الاستئناف الابتدائى يعنى ابتداء معنى له صلة بالكلام السابق ، وفى بحث الوصل رأينا إشارته إلى " واو الاستئناف " أو عطف القصة على القصة وإشارته إلى مواضعها فى سورة البقرة (٥)

• وفى بحث الإيجاز اتضحت إشارته إلى إيجاز الحذف والقصر معاً وهو قسم ثالث للإيجاز لم يذكره البلاغيون (٦)

وفى بحث الإطناب وأقسامه اتضح تعريفه للاعتراض وأغراضه ومجيئة بالواو والفاء وبدونهما واجتماعه مع الاستطراد فى مواضع ، ومعظم هذه المواضع التى أشار إليها لم يسبق إليها .

• وفى علم البيان يلاحظ جهود الطاهر القيمة حول التشبيه التمثيلى من خلال ما عرضه من تاريخ التمثيل عند العرب ، وكيفية انتقاله إلى البيانيين ، وأنه من مبتكرات القرآن التى تميز بها نظمه ، أضف إلى ذلك إشارته إلى أهمية التمثيل بالأمور المحسوسة وأثرها فى النفس ، وما ذكره من حرص البيانيين على اعتبار الهيئة فى التشبيه فلا يعدلون عنها مهما استقام حمله على المفرد ، كذلك حديثه عن بداعة التمثيل وهو أن أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهاً .

---

(١) منها الآيات(١٠١) ، (١٠٢) ، (١١٩)

(٢) ينظر تفسيره للآيتين (١٠٦) ، (١٠٧)

(٣) ينظر تفسيره للآية (١٣٣)

(٤) ينظر تفسيره للآيتين (٢٢٢) ، (٢٣١) وغيرهما .

(٥) واتفاقه مع البلاغيين فى أن الزمخشرى أول من فصّل القول فيها وحل الإشكال القائم حولها .

(٦) ينظر تفسيره للآية (١١٠)

بجزء من أجزاء المشبه به ، كذلك إشارته إلى عطف تشبيه على تشبيه ، والفرق بين مجيء التشبيه بحرف العطف وبدونه وما ذكره حول " تهيئة التشبيه "[١]
وهي بحوث طيبة لم يسبق إليها ، وقد استخلصها من كلام البلاغيين حول التشبيه ودعمها بكلام العرب شعره ونثره ، وهي بحوث تستحق العناية والدراسة والتطبيق على آيات القرآن لما فيها من خدمة لبلاغته ونظمه .

• وفي بحث المجاز المرسل رأينا إشارته إلى بعض علاقاته وهي اللزوم والإطلاق ، والجزئية ، والسببية ، كذلك إشارته إلى الفرق بين الإسناد في المجاز العقلي والمجاز المرسل ، وإلى أن تعدد اللوازم لا يوجب تعدد العلاقة ؛ لأن المعاني المجازية مستفادة من العلاقة لا من الوضع ، كذلك إشارته إلى المجاز المرسل التمثيلي [٢]
وجُلُّ المواضع التي أشار إليها من جهده الخاص .

• وفي بحث الاستعارة اتضح الجهد الكبير الذي بذله في حل الخلاف القائم بين البلاغيين حول نوع الاستعارة في الآية الخامسة من سورة البقرة [٣] حيث ذهب صاحب الكشاف وشارحوه إلى أنها تمثيلية تصريحية ، وذهب القزويني والسيد الجرجاني إلى أنها تبعية ، ولقد صحح الطاهر الجمع بين القولين وعرض رأيه موضحاً أنها تمثيلية مكنية ، كذلك إشارته إلى اجتماع التصريحية والمكنية [٤] ، والمكنية ، والتبعية [٥] والتبعية التمثيلية ، إضافة إلى ما بذله من جهد في الاستعارة التمثيلية ، وما ذكره حول بداعة التمثيلية في الآية (١٦٦) التي اشتملت على سبعة أشياء كل واحد منها يصلح لأن يكون مشبهاً بواحد من الأشياء التي تشتمل عليها الهيئة المشبهة موضحاً أن ذلك قلما يجتمع في التمثيلية وما ورد منه في كلام العرب كما في بيت بشار " كأن مثار النقع ... " لم يتعدى ثلاثة تشبيهات
وهي إشارة لم يسبق إليها .

---

(١) وذكر أنه ضربان : ضرب يهيأ فيه التشبيه وضرب لا يهيأ فيه وهو الغالب .

(٢) ينظر تفسيره للآية (٢٨)

(٣) وهي قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾

(٤) ينظر تفسيره للآية (٢٧)

(٥) ينظر تفسيره للآية (٦١)

• وفى بحث الكناية اتضح تعريف التعريض الذى استخلصه من كلام البلاغيين ، كذلك إشارته إلى أن بعض التعريض قد يستعمل فى الكناية متابعاً بذلك الإمام السكاكى ، ومخالفاً لصاحب الكشاف الذى يرى العلاقة بينهما التباين ، كما أشار إلى اجتماع التعريض مع فنون أخرى كالإيجاز والاحتراس من علم المعانى[1] كذلك إشارته إلى بعض أقسام الكناية باعتبار الوسائط عند السكاكى " الرمز ، والإيماء ، والتلويح ، والتعريض " وإلى باب " مثل " من الإرداف وهو أحد أقسام الكناية باعتبار الوسائط عند ابن الأثير .

• وفى علم البديع اتضح تأثر الطاهر بعض الشئ بنظرة البلاغيين إلى فنون البديع على أنها محسنات ومتممات متجاهلين ما لها من دخل فى إعجاز القرآن وبلاغته ، وظهر تأثر الطاهر بهم فى بحث الطباق فلقد أغفل كثير من مواضعه فى سورة البقرة مع ماله من أثر فى بلاغة الكلام ، وفى بحث المقابلة يلاحظ محاولة الطاهر أن يربط بينه وبين النظم مبيناً أثره فى بلاغة القرآن ، وفى بحث المشاكلة رأى أن البلاغيين أغفلوا أن يسموها استعارة لما بينهما من مشابهة [2] وفى بحث الاستطراد رأينا إشارته إلى الاستطراد المتفنن [3] ، وإلى الطريقة الخطابية التى استخدمها القرآن ، وهى إيفاء الغرض المقصود حقه وتقصير الاستطراد والاعتراض الواقعين فى أثنائه ثم الرجوع إلى ما يهم الرجوع إليه من تفصيل اعتراض أو استطراد تخلل الغرض المقصود " [4] وهى إضافات جديدة لم يسبق إليها ، وفى بحث التفريع رأينا إشارته إلى مجيئة بالفاء وبدونها ، وإلى مجيئه مع الاعتراض ، كذلك إشارته إلى التفريع المرتب ، والتفريع اللفظى ، والأغراض البلاغية التى يأتى لأجلها التفريع .

• وفى بحث الإدماج ، بعد أن بين الطاهر أثره فى بلاغة القرآن ، وضع له تعريفاً استخلصه من كلام البلاغيين ، واتضح ما رآه من إلحاقه ببحث الإطناب أو تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو رأى خاص بالطاهر يتضح من خلاله أن الإدماج لا يقل فى أهميته وبلاغته عن بعض مسائل المعانى ، كما اتضحت إشارته إلى الاحتباك ، وهو لون من ألوان البديع المعنوى أغفله البلاغيون [5]

---

(١) ينظر تفسيره للآيتين (١٢٤) ، (٢٢٨)

(٢) ينظر تفسيره للآية (١٣٨)

(٣) ينظر تفسيره للآية (٨٣)

(٤) ينظر تفسيره للآية (١٥٩)

(٥) أشار إليه السيوطى فى شرح عقود الجمان وذكر أنه لون عزيز !

وعن المحسنات اللفظية فلقد أشار الطاهر إلى بعض أقسام الجناس ، ورد العجز على الصدر ، والتضمين ، وهى إشارات موجزة لم يوضح الطاهر من خلالها أثر هذه الألوان فى بلاغة القرآن إلا أنه ألحق بحث التضمين بالإيجاز ، وهو ما أشار إليه السيوطى نقلاً عن الباقلانى ، ويؤخذ على الطاهر أنه لم يفصل أثر هذه الألوان فى بلاغة القرآن ، وفيما يبدوا أنه تأثر بالبلاغيين فى نظرتهم إلى هذه الألوان البديعية على أنها محسنات ومزينات .

• وفيما يتعلق بصاحب الكشاف وآرائه البلاغية :

فلقد كان لصاحب الكشاف وتفسيره أثر كبير فى آراء الطاهر البلاغية ، ولقد أشاد الطاهر بتفسير الكشاف فى مقدمة تفسيره ، وذكر أنه من التفاسير البلاغية التى يعول عليها وأن من جاء بعده نقل عنه وتأثر به فى هذا الميدان ، ورأيناه ينقل عنه فى مواضع كثيره متابعاً له كما فى بحث التأكيد[١] ، وفى بحث العطف بـ " واو الاستئناف " التى تعطف قصة على قصة [٢] وفى مواضع أخرى كثيرة ، وفى بعض المواضع الأخرى رأيناه يعارض صاحب الكشاف ويناقشه من ذلك ما سبق فى بحث الاستفهام وبحث الاستعارة التبعية [٤] وبحث المشاكلة [٥] وفى مواضع أخرى كثيرة ، وفى بعض المواضع كان يشرح كلامه ويحدد مقصده ، وذلك فى المواضع التى حمل البلاغيون فيها كلام صاحب الكشاف محملاً لم يقصده ، وفى المواضع التى أشكلت على كثير منهم ، من ذلك ما سبق فى بحث تقديم الظرف من أحوال متعلقات الفعل ، وفى بحث الاستعارة ، وبحث الاستفهام ، ومواضع أخرى كثيرة [٧] ، ولم تقتصر مناقشة الطاهر لصاحب الكشاف على المسائل البلاغية بل امتدت إلى بعض القضايا النحوية [٨]

• وفيما يتعلق بالبلاغيين والمفسرين غير صاحب الكشاف :

فلقد أشاد فى مقدمة التفسير بتفاسير ابن عطية ، والرازى ، والبيضاوى ، وحاشية الشهاب الخفاجى ، وتفسير أبى السعود ، والألوسى ونقل عنهم وناقشهم فى كثير من المواضع .

---

(١) ينظر تفسيره للآية (٥)

(٢) ينظر تفسيره للآية (٢٥)

(٣) ينظر تفسيره للآية (١٣٣)

(٤) ينظر تفسيره للآية (٣)

(٥) ينظر تفسيره للآية (١٣٨)

(٦) منها ١/٢٢٩،٢٣١،٢٣٤،٢٥٢،٣١٨،٣٢٠،٣٥٦،٣٧٨،٤٩٦،٥٠٧،٥٢٤-٢/٧٣،٩١،٣١٤،٣٢٠،٤٥٧

(٧) منها الآيات (٢) ، (٥) ، (٦٨)

(٨) من هذه المواضع ١/٢٣٤،٢٣٠،٢٥٢،٢٣٠،٣٧٨،٥٨٨-٢/١٨٣،٢٤٦

وفيما يتعلق بالبلاغيين فقد أشاد بفضل الإمام عبد القاهر والإمام السكاكي ، ونقل عنهما ، وناقشهما في بعض المسائل البلاغية . ففي بعض المواضع رأيناه ينقل عن الإمام عبد القاهر كما سبق في بحث الكناية والتعريض [1] ، وبحث القصر [2] ، وبحث التشبيه المركب [3] وفيما يتعلق بصاحب المفتاح رأيناه ينقل عنه كما سبق في بحث حذف المسند لاتباع الاستعمال الوارد [4] ، وبحث تعريف المسند إليه بالإشارة [5] وبحث القصر [6] وفي بحث الكناية والتعريض والفرق بينهما كما سبق .

وفي بعض المواضع رأيناه يعارضه ويناقشه ويعقب عليه من ذلك ما سبق في دلالة تنكير المسند على التعظيم [7] ، وبحث تقديم المسند إليه على المسند المشتق [8] وبحث استغراق المفرد باللام [9] ، وبحث تقييد الفعل بـ " لو " الشرطية [9]

• وفيما يتعلق بالبلاغيين أمثال التفتازاني ، والطيبي ، والقزويني وعبد الحكيم وأبي حيان ، وغيرهم ، رأيناه يناقشهم ويعقب عليهم في مواضع كثيرة من ذلك ما سبق في باب " مثل " من الكناية [10] وبحث كون المسند فعلاً [11] ، وبحث الاستفهام [12] ، وبحث الاعتراض [14] وبحث تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي [15] وهو من أوسع المواضع .

• **وفيما يتعلق بالبلاغيين المعاصرين الذين تأثر بهم الطاهر** اتضح لنا تأثره بجده الوزير ، والإمام محمد عبده ، وقد وجدت رسالة محفوظة من الإمام محمد عبده إلى الطاهر يرشده كيف يصبح من علماء البلاغة والأدب !

• **وفيما يتعلق بأسلوب الطاهر وطريقته في الكشف عن البلاغة القرآنية** ، فقد اتضح ما يتمتع به من طريقة تحليلية فريدة تتناول كل جزئية من جزئيات الآية موضوع التفسير ، ومن هنا لاحظنا إشارته إلى أكثر من نكتة بلاغية في الآية الواحدة لأن النكت لا تتزاحم ، وقد ظهرت هذه الطريقة واضحة جلية

---

(١) ينظر تفسيره للآية (٢٨٢)
(٢) ينظر تفسيره للآية (١١)
(٣) ينظر تفسيره للآية (٥)
(٤) ينظر تفسيره للآية (١٨)
(٥) ينظر تفسيره للآية (٢)
(٦) ينظر تفسيره للآية (١٢٠)
(٧) ينظر تفسيره للآية (٧)
(٨) ينظر تفسيره للآية (١٦٧)
(٩) ينظر تفسيره للآية (١٧٧)
(١٠) نظر تفسيره للآية (١٦٥)
(١١) ينظر تفسيره للآية(٢٣)
(١٢) ينظر تفسيره للآية(٦٩)
(١٣) ينظر تفسيره للآية(١٠٨)
(١٤) ينظر تفسيره للآية(٨٥)
(١٥) ينظر تفسيره للآية(١٥)

فى بحث الاستفهام من علم المعانى ، وفى بحث التشبيه التمثيلى ، والاستعارة التمثيلية ، من علم البيان حيث كان يحلل الصورة البيانية تحليلاً دقيقاً يتناول كل جزئية من جزئياتها ، واتضح ما يتمتع به من ذوق وحس فى إدراك أسرار النظم القرآنى ، وبدا ذلك فى بحث التمثيل السابق ، وقد مضى كلامه عن تصوير القرآن للأمر المعنوى فى ثوب محسوس .

كما اتضحت عنايته بالبحوث اللغوية ودلالات الألفاظ وأثرها فى المعنى ، وسر اختيار القرآن لهذه الألفاظ دون غيرها كما سبق فى حديثه عن معنى الختم [١]، ومعنى الصبغ [٢] فى فن المشاكلة ، وفى مواضع أخرى كثيرة .

واتضح ما يتمتع به من ثقافة أدبية واسعة تمثلت فى كثرة محفوظاته الشعرية ، وذلك من خلال ما استشهد به للمسائل البلاغية التى أضافها إلى ميدان البحث البلاغى كما سبق فى بحث العطف فى التشبيه ، وبحث تهيئة التشبيه ، وغيرها من المسائل التى ابتكرها واستخلصها لخدمة البلاغة القرآنية .

وما زال تفسير الطاهر بحاجة إلى الجهود المتواصلة للكشف عما فيه من جهود بلاغية تخدم نظم القرآن ، ولعل هذا العمل المتواضع يكون خطوة على هذا الطريق.

والله أسأل أن يلهمنى السداد والرشاد ، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى ، إنه سميع قريب مجيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) أى فى قوله تعالى :
﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ الآية (٧) من سورة البقرة

(٢) أى فى قوله تعالى :
﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ الآية (١٣٨) من سورة البقرة

الفهارس

وتتضمن :

(١) فهرس الآيات القرآنية .

(٢) فهرس الأحاديث النبوية .

(٣) فهرس الأشعار .

(٤) فهرس الأعلام .

(٥) فهرس المراجع .

(٦) فهرس الموضوعات .

فهرس
الآيات القرآنية

م	الآيــــة	رقم الآية	رقم الصفحــــة
	١- الفاتحــــة		
١	(ملك يوم الدين)	٤	٧٤
٢	(إياك نعبد وإياك نستعين)	٥	٧٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٤
	٢- البقــــرة		
٣	(الم)	١	٧٢ ، ١٦١
٤	(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)	٢	٣٧ ، ٤٢ ، ٦٢ ، ٩٥ ، ١١٨ ، ١٦١
٥	(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ...)	٣	٨٥ ، ١١٠
٦	(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)	٥	٨٨ ، ١١١ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٢٤٤ ،
٧	(إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)	٦	٤١ ، ٤٦ ، ١٦٥ ، ١٦٦
٨	(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ...)	٧	٥٢ ، ١٦٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٧٧ ،
٩	(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)	٨	٧٠ ، ٨٣ ، ٩١ ، ١٨٠
١٠	(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)	١١	١٢١
١١	(ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)	١٢	٤٧
١٢	(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ...)	١٣	٦٤ ، ١٣١
١٣	(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ...)	١٤	٣٩ ، ٩٨
١٤	(الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)	١٥	٦٨ ، ١٧٠
١٥	(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ...)	١٦	١٦٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥١
١٦	(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ...)	١٧	٢٨ ، ١٨٩ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٣١٢ ،
١٧	(صم بكم عمي فهم لا يرجعون)	١٨	٢٨ ، ٥٧ ، ٢٢٨
١٨	(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ...)	١٩	٢٨ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠
١٩	(يكاد البرق يخطف أبصارهم ...)	٢٠	٢٨ ، ١٠٣
٢٠	(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ...)	٢١	١٧٤
٢١	(الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ...)	٢٢	١٨٨
٢٢	(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ...)	٢٣	٢٩ ، ٤٢ ، ٩٥ ، ١٤٨ ، ٢٧٠ ، ٢٩٢
٢٣	(فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)	٢٤	١٠٤ ، ١٨٠ ، ٢٩٠
٢٤	(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ...)	٢٥	١٦٣ ، ١٨٠ ، ١٨١
٢٥	(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ...)	٢٦	٦٠ ، ٨٠ ، ١١٩ ، ١٤٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤
٢٦	(الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ...)	٢٧	٢٤٧

م	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٦	(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ...)	٢١٦	٣٥ ، ٣٦ ، ٢٩٦
١٣٧	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ...)	٢١٧	٢٦٨
١٣٨	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ...)	٢١٨	٤٨
١٣٩	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ...)	٢١٩	١٧٨
١٤٠	(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ...)	٢٢٠	١٠١
١٤١	(وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ...)	٢٢١	٢٣٣
١٤٢	(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ...)	٢٢٢	١٥٣
١٤٣	(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ...)	٢٢٣	١٤٦ ، ١٥٧
١٤٤	(لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ...)	٢٢٦	٩١
١٤٥	(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ...)	٢٢٨	١١٠ ، ١٥٧ ، ١٩٢
١٤٦	(فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ...)	٢٣٠	٢٩١
١٤٧	(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ...)	٢٣١	١٥٤
١٤٨	(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ...)	٢٣٥	٢٦٤
١٤٩	(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ...)	٢٣٨	٢٦٢
١٥٠	(فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ...)	٢٣٩	٩٨
١٥١	(ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك...)	٢٥٨	١٣٣
١٥٢	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...)	٢٤٦	١٤٠
١٥٣	(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ...)	٢٤٧	١٤٧
١٥٤	(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ...)	٢٥٢	٣٩
١٥٥	(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ...)	٢٥٣	٦٤
١٥٦	(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...)	٢٥٥	٤٨ ، ٦٠ ، ٩٢ ، ١٦٧
١٥٧	(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ...)	٢٥٩	١٥١
١٥٨	(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ...)	٢٦٢	٣٠٠
١٥٩	(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ...)	٢٦٥	٣٠٠

م	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٤	(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)	١٣٠	١٢٦
٢٠٥	(فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ ...)	١٣١	١٩٤
٢٠٦	(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ...)	١٥٧	٢٧٧
٢٠٧	(مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)	١٨٦	١٧٩
٢٠٨	(إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)	١٩٦	٦٧
	٨- الأنفـــال		
٢٠٩	(لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)	٨	١٨٤
	٩- التوبـــة		
٢١٠	(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ...)	٦	٩٨
٢١١	(قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ...)	٥٣	١٤٨
٢١٢	(فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)	٨٢	٢٧٦
	١٠- يونـــس		
٢١٣	(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...)	٢٢	٧٤
٢١٤	(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ...)	٢٤	٢١٤ ، ٢١٧
٢١٥	(وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	٢٥	١٠٢
	١١- هـــود		
٢١٦	(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ...)	٣٧	٣٧
٢١٧	(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي ...)	٤٤	٢٧
٢١٨	(إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)	٥٤	٧٧
٢١٩	(مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ)	٥٥	٧٧
٢٢٠	(فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ...)	٥٧	١٨٥
٢٢١	(وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ...)	٦٩	١٦٨
٢٢٢	(وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ...)	٧٧	٤٤
٢٢٣	(قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ...)	٩١	٦٩
	١٢- يوســـف		
٢٢٤	(وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ...)	١٨	٥٦
٢٢٥	(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ...)	٢٣	٦١
٢٢٦	(ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ)	٥٢	١٦٨
٢٢٧	(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)	٨٢	٥٤

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٦	(قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً)	٢	١
٢٤٧	(وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ...)	١٨	٢٥٧ ، ٨٢
٢٤٨	(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ...)	٧٩	١٨٤
	١٩ـ مريـــم		
٢٤٩	(قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ...)	٤	٢٧ ، ٤
٢٥٠	(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً)	٧٣	١٤١
	٢٠ـ طــه		
٢٥١	(قال فمن ربكما يا موسى)	٤٩	١٤١
٢٥٢	(فأوجس في نفسه خيفة موسى)	٦٧	١٠٦
٢٥٣	(فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم)	٧٨	٦١
٢٥٤	(فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)	١٢٠	١٦٢
٢٥٥	(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)	١٣١	١٥٢
	٢١ـ الأنبيـــاء		
٢٥٦	(فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين)	١٥	٢٢٣
٢٥٧	(لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين)	١٧	١٠٣
٢٥٨	(وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون)	٣٦	٦٢
٢٥٩	(قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)	٦٢	١٤٢
٢٦٠	(وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)	٨٠	١٣٨
	٢٢ـ الحـج		
٢٦١	(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب...)	٥	١٧٩
٢٦٢	(حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ...)	٣١	٢١٦
٢٦٣	(إن الله يدافع عن الذين آمنوا ...)	٣٨	٦٨
	٢٣ـ المؤمنـون		
٢٦٤	(قال اخسئوا فيها ولا تكلمون)	١٠٨	١٥١
٢٦٥	(قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين)	١١٢	١٤١

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٤٨- التحريم		
٣٢٧	(يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون)	٧	١٥١
	٤٩- الملك		
٣٢٨	(أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير)	١٩	٨٢
	٥٠- نوح		
٣٢٩	(فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا)	١٠	٣٠١
	٥١- المزمل		
٣٣٠	(قم الليل إلا قليلا)	٢	٢٣٣
٣٣١	(إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ...)	٢٠	٦٨
	٥٢- المدثر		
٣٣٢	(وربك فكبر)	٣	١٠٨
٣٣٣	(كأنهم حمر مستنفرة)	٥٠	٢١٤
٣٣٤	(فرت من قسورة)	٥١	٢١٤
	٥٣- القيامة		
٣٣٥	(والتفت الساق بالساق)	٢٩	٢٩٩
٣٣٦	(إلى ربك يومئذ المساق)	٣٠	٢٩٩
	٥٤- الإنسان		
٣٣٧	(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)	١	١٣٩
٣٣٨	(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)	٨	١١٠
	٥٥- النبأ		
٣٣٩	(عم يتساءلون)	١	١٤٣ ، ٢٦١
٣٤٠	(عن النبإ العظيم)	٢	١٤٣ ، ٢٦١
٣٤١	(إن جهنم كانت مرصادا)	٢١	٢٧
٣٤٢	(للطاغين مآبا)	٢٢	٢٧
٣٤٣	(إن للمتقين مفازا)	٣١	٢٧
٣٤٤	(وكأسا دهاقا)	٣٤	٢٧
٣٤٥	(لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا)	٣٥	٢٧
٣٤٦	(جزاء من ربك عطاء حسابا)	٣٦	٥٧
٣٤٧	(رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا)	٣٧	٥٧
٣٤٨	(إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ...)	٤٠	١٥٤

فهرس الأحاديث النبوية

مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١	((... تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ...))	١٩٧
٢	((لا عدوى ولا طير ولا هامة ...))	٣
٣	((ليس الخبر كالمعاينة))	ب
٤	((مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا))	٢٢٤
٥	((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ...))	٢٦٥
٦		١٧٥
٧	((حديث استعداد النبى صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء سنة سبع من الهجرة))	٢٨٣

فهـــــــرس الأشعار

(١) أو النابغة الجعدي كما قال القرطبي في تفسيره ٤٢٤/١ ط الشعب

بـــاب الصـــا د

بـــاب الــــعين

باب الفاء

باب القاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

فهرس الأعـــــــــــلام

الهـــــــمزة

البـــــــاء

التـــــــاء

الثـــــاء

الجيـــــم

الحــــــاء

الخــــــاء

الــــذال

الــــراء

الــــزاى

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطـــــاء

العيـــن

الفـــــاء

القـــاف

الكـــاف

الــلام

الميــم

النـــون

الهـــاء

الـــواو

اليـــاء

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم :

١- الإتقان في علوم القرآن للإمام عبد الرحمن جلال السيوطي ت (٩١١) هـ .
تحقيق الأستاذ / سعيد المندوه - ط دار الفكر - ط أولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٢- أدب الكاتب للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦) هـ
تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد - ط - دار المعرفة - بدون تاريخ .

٣- الأدب العربي المعاصر في مصر للأستاذ الدكتور / شوقي ضيف
ط دار المعارف - ط عاشرة - ١٩٩٢ م .

٤- الأزهر في ألف عام للدكتور / أحمد محمد عوف - ط مجمع البحوث الإسلامية
١٣٩٠ هـ -١٩٧٠ م .

٥- أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن علي النيسابوري ت (٤٦٨) هـ
تحقيق الأستاذ / رضوان جامع رضوان - ط مكتبة الإيمان - ط أولى - ١٤١٧ هـ .

٦- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للأستاذ الدكتور / محمد أبو شهبه -
ط مكتبة السنة - ط رابعة - ١٤٠٨ هـ .

٧- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر بن محمد الجرجاني ت (٤٧١) هـ
تحقيق الأستاذ / محمود شاكر - ط مطبعة المدني - ط أولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

٨- الأسلوب الكنائى - نشأته - تطوره - بلاغته - للأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون - بدون تاريخ

٩- إعجاز القرآن للإمام أبى بكر بن محمد بن جعفر الباقلانى ت (٣٧٢) هـ - تحقيق الأستاذ / أبو بكر عبد الرازق - ط مكتبة مصر - ١٩٩٤ م

١٠- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للأستاذ / مصطفى صادق الرافعى ت ١٣٥٦هـ ط مكتبة الإيمان - ط أولى - ١٤١٧ -١٩٩٧ م

١١- الأعلام لخير الدين الزراكلى - ط دار العلم للملايين - بيروت - ط تاسعة - ١٩٩٠م

١٢- الإمام محمد عبده ومنهجه فى التفسير للأستاذ الدكتور / عبد الغفار عبد الرحيم - ط الحلبى - بدون تاريخ .

١٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للإمام جمال الدين بن هشام الأنصارى ت (٧٦١) هـ - تحقيق الأستاذ / عبد المتعال الصعيدى - ط مكتبة الآداب - بدون تاريخ .

١٤- الإيضاح لتلخيص المفتاح للخطيب القزوينى ت (٧٣٩) هـ تحقيق الأستاذ / عبد المتعال الصعيدى - ط مكتبة الآداب - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .

١٥- بحوث فى البيان للأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون - بدون تاريخ .

١٦- بدر الدين بن مالك وجهوده البلاغية مع تحقيق كتابه المصباح - رسالة دكتوراه - للأستاذ الدكتور / محمود محمد السيد حسن - كلية الدراسات الإسلامية والعربية - القاهرة - ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

١٧- البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ت (٧٩٤) هـ تحقيق الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم - ط مكتبة التراث - بدون تاريخ .

١٨- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى ت(٨١٧) هـ - تحقيق الأستاذ / محمد النجار - ط المكتبة العلمية - بدون تاريخ

١٩- البلاغة تطور وتاريخ للأستاذ الدكتور / شوقى ضيف - ط دار المعارف -ط ثالثة ١٩٧٦م.

٢٠- البلاغة الواضحة للأستاذين / على الجارم ، ومصطفى أمين - ط دار المعارف - ١٩٩٩ م

٢١- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى - ط مكتبة وهبه - ط ثانية - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٢٢- البلاغة الفنية للأستاذ / على الجندى - ط نهضة مصر - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م

٢٣- البداية والنهاية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤) هـ - ط دار التقوى - ط أولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٢٤- البديع المصطلح والقيمة للدكتور / عبد الواحد علام - ط مكتبة الشباب - ١٩٩٢م.

٢٥- البيان والتبيين للإمام أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت (٢٥٥) هـ تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون - ط دار الفكر - بدون تاريخ

٢٦- البيان العربى للأستاذ الدكتور / بدوى طبانه - ط مكتبة الأنجلو - ط سادسة - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م

٢٧- تأويل مشكل القرآن للإمام عبد الله بن قتيبة - تحقيق الأستاذ / السيد صقر - ط دار التراث - ط ثانية - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٢٨- التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور - ت (١٣٩٤) هـ - ط دار سحنون التونسية - تونس - ١٩٩٧ م

٢٩- تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن للإمام ابن أبى الأصبع المصرى - ت (٦٥٤) هـ - تحقيق الأستاذ الدكتور / حفنى شرف - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

٣٠- التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ / سيد قطب - ط دار الشروق الطبعة الثالثة عشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .

٣١- التصوير البيانى - دراسة تحليلية لمسائل البيان للأستاذ الدكتور /محمد أبو موسى - ط مكتبة وهبة - ط رابعة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٣٢- التعريفات للإمام محمد بن على الجرجانى - ت (٨١٦) هـ - تحقيق الأستاذ / إبراهيم الإبيارى - ط الريان - بدون تاريخ .

٣٣- التفسير البيانى للأستاذة الدكتورة / عائشة عبد الرحمن - ط دار المعارف - ط سابعة - ١٩٩٠م .

٣٤- التفسير والمفسرون للأستاذ الدكتور / محمد حسين الذهبى - ط مكتبة وهبة - ط رابعة - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٣٥- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى - ت (٦٠٦) هـ - ط دار الغد العربى - ط أولى -١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٣٦- تفسير القرآن العظيم للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير -ط دار إحياء التراث العربى -ط أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٣٧- تفسير القرآن الحكيم المسمى " تفسير المنار " للشيخ / محمد عبده ، والشيخ / محمد رشيد رضا - ط دار المعرفة - ط ثانية - بدون تاريخ .

٣٨- تفسير الطبرى - المسمى ((جامع البيان فى تأويل القرآن)) للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠) هـ - ط دار الغد العربى - بدون تاريخ .

٣٩- تفسير الكشاف المسمى (الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للإمام أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى - ت (٥٣٨) هـ تحقيق الأستاذ / عبد الرازق المهدى - ط دار إحياء التراث - ط أولى - ١٤١٧هـ .

٤٠- تفسير البيضاوى المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين عبد الله بن محمد البيضاوى - ت (٦٩١) هـ - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .

٤١- تفسير البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ت (٧٥٤) هـ - ط دار الفكر - ط ثانية - ط دار الكتب العلمية - ط أولى ١٤١٣هـ.

٤٢- تفسير ابن عطية المسمى (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) لأبى محمد عبد الحق بن عطية الأندلسى - تحقيق الأستاذ / عبد السلام عبد الشافى - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٤٣- تفسير القرطبى المسمى (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبى عبد الله بن أحمد القرطبى - ت (٦٧١) هـ - ط دار الشعب - بدون تاريخ .

٤٤- تفسير أبى السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) للإمام محمد بن محمد العمادى - ت (٩٨٢) هـ - ط دار الفكر - بدون تاريخ .

٤٥- تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل فى معانى التنزيل) للإمام علاء الدين محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن ت (٧٢٥) هـ - ط دار الفكر - ١٣٩٩ هـ .

٤٦- تفسير البغوى المسمى (معالم التنزيل) للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى ت (٥١٦) هـ - ط دار الفكر - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤٧- تفسير النسفى المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ت (٧٠١) هـ - ط الحلبى - بدون تاريخ .

٤٨- تفسير الألوسى المسمى (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) لأبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى - ت (١٢٧٠) هـ - ط دار الفكر - ١٤٠٨ هـ - ط المنيرية - بدون تاريخ .

٤٩- تفسير القاسمى المسمى (محاسن التأويل) لجمال الدين القاسمى ت (١٣٣٢) هـ - تحقيق الأستاذ / محمد باسل - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤١٨ هـ.

٥٠- تفسير الجلالين المحلى جلال الدين محمد بن أحمد - ت (٨٦٤) هـ ، والسيوطى عبد الرحمن جلال الدين ت (٩١١) هـ - ط مطبعة الأنوار المحمدية - بدون تاريخ .

٥١- تقرير الشمس للإنبابى - ط مطبعة السعادة ١٣٣١ هـ .

٥٢- تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي أبي الحسن محمد بـن أحمد الحسين - ت (٤٠٦) هـ - تحقيق الأستاذ / محمد عبد الغني حسن - ط عيسى البابي - بدون تاريخ.

٥٣- تناسق الدرر في تناسب السور للإمام السيوطي - تحقيق / عبد الله محمد الدرويش - ط - عالم الكتب بيروت - ط ثانية ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

٥٤- جواهر البلاغة للأستاذ / السيد أحمد الهاشمي - ط دار ابن خلدون - بدون تاريخ.

٥٥- حاشية الصاوي على الجلالين للعلامة محمد الصاوي ت (١٢٤١) هـ - ط الأخيرة - تحقيق الشيخ / محمد علي الصباغ - ط دار الجيل - بدون تاريخ .

٥٦- حاشية شيخ زاده على البيضاوي للعلامة محي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي ت (٩٥٠) هـ - ط دار صادر بيروت - بدون تاريخ .

٥٧- حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) للعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ت (١٠٦٩) هـ - تحقيق الأستاذ / عبد الرزاق المهدي - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٨- حاشية المنياوي على شرح الدمنهوري لمتن الأخضري المسمى (الجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع) ط مكتبة المشهد الحسيني - بدون تاريخ .

٥٩- حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير ت (٦٨٣) هـ بهامش الكشاف - ط دار إحياء التراث السابقة .

٦٠- حاشية التجريد فى علم المعانى والبيان والبديع للإنبابى ط مطبعة السعادة - ١٣٣١ هـ .

٦١- حاشية الجمل على الجلالين المسماة (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية) للعلامة سليمان بن عمر العجيلى ت (١٢٠٤) هـ - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م .

٦٢- حاشية الدسوقى على مختصر سعد الدين التفتازانى - بهامش شروح التلخيص - ط دار الكتب العلمية - بدون تاريخ .

٦٣- حاشية السيد الجرجانى على المطول للعلامة على بن محمد المعروف بالسيد الشريف الجرجانى ت (٨١٦) هـ - ط المكتبة الأزهرية - ١٣٣٠ هـ .

٦٤- الاحتراس فى ضوء القرآن الكريم - دراسة بلاغية تطبيقية - للدكتور / قاسم على خليفة - حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية - بنين بالقاهرة - العدد السادس - ١٤١٨هـ -١٩٩٨ م.

٦٥- حول إعجاز القرآن للأستاذ الدكتور / على العمارى - ط مجلة الأزهر ١٤١٩هـ

٦٦- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ت (٣٩٢) هـ - تحقيق الأستاذ / محمد على النجار - ط المكتبة العلمية - بدون تاريخ .

٦٧- خصائص التراكيب للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى - ط دار التضامن ط ثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م مكتبة وهبة - ط خامسة ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م .

٦٨- خطوات التفسير البيانى للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ط مجمع البحوث الإسلامية - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .

٦٩- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبى - تحقيق الأستاذ / على معوض وآخرين - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٠- دراسات فى اللغة العربية وآدابها للأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون - ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٧١- دروس فى المذاهب النحوية للأستاذ الدكتور / عبده الراجحى ط دار المعرفة الجامعية -١٩٩٢م .

٧٢- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ت (٤٧١) هـ - تحقيق الأستاذ / محمود شاكر - ط مطبعة المدنى - ط ثالثة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٧٣- دلالات التراكيب للأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى - ط مكتبة وهبة - ط ثانية - ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٧٤- الرسالة الشافية فى الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى - ط مطبعة المدنى - الطبعة السابقة - ملحق بدلائل الإعجاز .

٧٥- زاد المعاد فى هدى خير العباد لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت (٧٢٨) هـ - ط أولى - ١٤٢٠هـ .

٧٦- الاستعارة التمثيلية فى تفسير التحرير والتنوير - رسالة دكتوراه للدكتور / على محمد أحمد العطار - كلية اللغة العربية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٧٧- الاستعارة - نشأتها - تطورها - أثرها فى الأساليب الشعرية للأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون - بدون تاريخ .

٧٨- شرح المعلقات السبع لأبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزنى - ط الحلبى - ط ثالثة - ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ م .

٧٩- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصارى تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد - ط دار الثقافة - بدون تاريخ .

٨٠- شرح عقود الجمان فى المعانى والبيان للسيوطى - ط الحلبى ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ م.

٨١- شرح المفصل للعلامة موفق الدين بن على بن يعيش النحوى توفى (٦٤٣) ط مكتبة المتنبى - القاهرة - بدون تاريخ .

٨٢- شروح التلخيص - ط دار الكتب العلمية - بدون تاريخ .

٨٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى أبى الفضل عياض اليحصبى ت (٥٤٤) هـ - ط دار الفكر - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٨٤- شيوخ الأزهر - ط الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٩٠م .

٨٥- صحيح مسلم بشرح النووي للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦) هـ - ط دار الفجر - ط أولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨٦- الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ت (٣٩٥) هـ - تحقيق الدكتور / مفيد قميحه - ط دار الكتب العلمية - ط ثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٨٧- الصورة البيانية - دراسة بلاغية نقدية - للأستاذ الدكتور / محمد عثمان خيمر - ط مصر للخدمات العلمية - ط أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٨٨- ضبط الأعلام للعلامة / أحمد تيمور - ط الحلبي - ط أولى ١٣٦٦هـ .

٨٩- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلامة يحيى بن حمزة العلوي اليمني ت (٧٤٩) هـ - ط دار الكتب العلمية - ١٤١٥ هـ .

٩٠- عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح للعلامة بهاء الدين السبكي ت (٧٣٣)هـ - ضمن شروح التلخيص - ط دار الكتب العلمية .

٩١- علم البيان للأستاذ الدكتور / بدوي طبانه - ط مكتبة الأنجلو - ط رابعة - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

٩٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني - ت (٤٥٦)هـ تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين - ط دار الجيل ١٤٠١هـ .

٩٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى - ت (٧٢٨) هـ - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٩٤- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام ابن حجر العسقلانى ت (٨٥٢) هـ تحقيق الشيخ / طه عبد الرؤف سعد - ط دار الغد العربى -ط أولى - ١٤١٢ هـ .

٩٥- الفرق بين الفرق لأبى منصور عبد القاهر بن محمد البغدادى ت (٤٢٩)هـ تحقيق الأستاذ / محمد عثمان الخشت - ط مكتبة ابن سينا ١٩٨٨.

٩٦- فصول من علم المعانى للأستاذ الدكتور / فوزى السيد عبد ربه - ط ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٩٧- فقه اللغة لأبى منصور بن عبد الملك الثعالبى - ط دار ابن خلدون - بدون تاريخ .

٩٨- الفنون البديعية فى دائرة البحث البلاغى للأستاذ الدكتور / فوزى عبد ربه ط مطبعة الحسين الإسلامية - ط أولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩٩- فى ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ت(١٣٨٧)هـ - ط دار الشروق - ط السابعة عشر - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

١٠٠- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصارى تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد - ط المكتبة العصرية - بدون تاريخ .

١٠١- الكناية وإعجاز القرآن للأستاذ الدكتور / محمد عثمان خيمر - ط دار الطباعة المصرية - ط أولى - ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٠٢- الكتاب لسيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق الأستاذ /عبد السلام هارون - ط دار الجيل - بيروت .

١٠٣- لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن على بن منظور ت (٧١١)هـ - ط دار المعارف - بدون تاريخ .

١٠٤- اللغة الشاعرة للأستاذ / عباس العقاد - ط نهضة مصر - بدون تاريخ .

١٠٥- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ت (٦٣٧) هـ- تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين - ط المكتبة العصرية -١٤١٦ - ١٩٩٥م .

١٠٦- مجلة الأزهر أعداد - رجب (١٤٢٠) ، وشعبان (١٤٢٠) ، وجمادى الآخرة (١٤٢١) ،ورجب (١٤٢١) ، وشعبان (١٤٢١) ، ورمضان (١٤٢١) هـ .

١٠٧- مجمع البيان فى تفسير القرآن لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى من علماء الإمامية فى القرن السادس - ط دار إحياء التراث العربى - ط أولى ١٤١٢ - ١٩٩٢ م .

١٠٨- محاضرات فى البلاغة العربية للأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون - بدون تاريخ .

١٠٩- مختار الصحاح للإمام الرازى - ط دار الحديث - ط أولى ١٤٢١ - ٢٠٠٠.

١١٠- مدخل إلى القرآن الكريم للأستاذ الدكتور / محمد عبد الله دراز - ط دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩م .

١١١- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للإمام السيوطى - تحقيق الأستاذ / محمد أحمد جاد المولى وآخرين - ط دار التراث - ط ثالثة - بدون تاريخ .

١١٢- مشاهد القيامة فى القرآن الكريم للأستاذ / سيد قطب - ط دار المعارف - ط خامسة ١٩٧٥م.

١١٣- المطول شرح تلخيص المفتاح للعلامة سعد الدين التفتازانى الهروى ت(٧٩١) هـ - ط المكتبة الأزهرية -١٣٣٠هـ.

١١٤- معانى القرآن وإعرابه للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج ت (٣١١)هـ - تحقيق الأستاذ الدكتور / عبد الجليل شلبى -ط دار الحديث - ط أولى -١٤١٤هـ -١٩٩٤م .

١١٥- معترك الأقران فى إعجاز القرآن للإمام السيوطى - تحقيق الأستاذ / أحمد شمس الدين - ط دار الكتب العلمية - ط أولى - ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

١١٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى ط دار الحديث - ط أولى -١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

١١٧- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - ط وزارة التربية والتعليم ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١١٨- معجم المؤلفين لعمر كحالة - ط دار إحياء التراث العربى - بدون تاريخ .

١١٩- معجزة القرآن للشيخ / محمد متولى الشعراوى - ط مطابع أخبار اليوم ١٩٨٨م.

١٢٠- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى - تحقيق الشيخ /محمد محيي الدين - ط المكتبة العصرية ١٤١٦ - ١٩٩٦م.

١٢١- مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف بن محمد السكاكى ت (٦٢٦) هـ - ط الحلبى - ط ثانية -١٤١١هـ -١٩٩٠م .

١٢٢- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت(٥٠٢) هـ - ط دار المعرفة بيروت - ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

١٢٣- المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين للأستاذ الدكتور / فوزى عبد ربه - ط دار الثقافة للنشر والتوزيع - ١٩٨٣م .

١٢٤- مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى ت (٨٠٨) هـ - ط دار ابن خلدون - بدون تاريخ .

١٢٥- من أسرار القرآن للأستاذ الدكتور / على حسن العمارى - ط مكتبة وهبة ط أولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .

١٢٦- مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى ط عيسى البابى الحلبى - ط ثالثة - بدون تاريخ .

١٢٧- مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى ت (١١١٠) هـ ضمن شروح التلخيص - ط دار الكتب العلمية بدون تاريخ .

١٢٨- النبأ العظيم للأستاذ الدكتور / محمد عبد الله دراز - ط دار المرابطين الإسكندرية - ط أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢٩- نظرات فى التمثيل البلاغى للأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون - ط مطبعة أسامة - ١٩٨١م .

١٣٠- نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربى الحديث للأستاذ الدكتور / محمد نايل أحمد - ط دار المنار - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م .

١٣١- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسين بن إبراهيم بن عمر البقاعى ت (٨٨٥) هـ . ط دار الكتاب الإسلامى - ط ثانية - ١٤١٣هـ / ١٩٨٩م .

١٣٢- نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازى - ط المكتب الثقافى للنشر والتوزيع - ط أولى - ١٩٨٩ م.

فهرس الموضوعات